شرح

مَنظُومَةُ جُمْلَةُ العَقَائِدِ

عَلَى طَرِيقِ السَّلفِ الأمَاجِدِ

نَظمُ

الشَّيخِ العَلامةِ مُحَمَّد سَالم بنِ مُحَمَّد عَلِيّ بن عبدِ الوَدُودِ الشَّنقِيطِيِّ

حَفِظَهُ اللهُ تَعَالى

شرحها

فضيلةُ الشيخِ العلامة

محمد الحسن الددو حفظه الله

قام بتفريغها

أثير بن اسماعيل بن احمد السامرائي

غفر الله له ولوالديه

مقدمة المفرغ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على من بعث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فإن علم المعتقد هو من أهم علوم الدين على الإطلاق، فالعقيدة أهمُّ من الأخلاق، والعقيدة أهم من الآداب، والعقيدة أهم من العبادات، والعقيدة أهم من المعاملات؛ إذ هي أوَّل واجبٍ على المكلف، فعند دخول الشخص الإسلامَ يجب عليه معرفة التوحيد قبل تعلُّم العبادات.

وعندما بعَث النبي – صلى الله عليه وسلم – معاذًا إلى أهل اليمن، قال له: ((فليَكن أوَّل ما تدعوهم إليه أن يُوحدوا الله تعالى، فإذا عرَفوا ذلك، فأخْبِرهم أن الله فرَض عليهم خمس صلوات))[1]

والعقيدة تحوي التوحيد الذي هو معرفة ما ينبغي لله وما لا ينبغي لله، ومعرفة الله أصلٌ من أصول الخشية، فكلما ازدادَت معرفة العبد بالله، ازداد خشيةً ، فمن ثَمّ كان لزاماً الاهتمام بها ، وخصوصاً في منظومها :

لأنه يسهل للحفظ كما .. يروق للسمع ويشفي من ظما

ومن تلك المنظومات التي نُظمت نظم (مجمل اعتقاد السلف) للعلامة محمد سالم بن محمد علي بن عبد الودود ،والذي ضمنه في نظمه لمختصر خليل في الفقه المالكي ، وقد بحثتُ عن تفريغ لشرح ابن اختِ الناظم ، الشيخ محمد الحسن ولد الددو –حفظه الله– فلم أجد الا الشروح الصوتية ، فاستعنت الله لتفريغها ، مع ما واجهني من صعوباتٍ في التفريغ ،وختاما أسأل اللهَ أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به كل من قرأه ونشره واهتم به ، إنه هو المستعان وعليه التكلان .

تنبه:

للشيخ الشارح شرحان على المنظومة ، وقد قمت بنقل بعض التعليقات من شرحه الثاني على المنظومة –وشرحه الثاني موجود بعضه على الشبكة العنكبوتية–واظنه موجود ايضا في المكتبة الشاملة ...

[1] رواه البخاري في صحيحه، رقم (7372)، والترمذي في سننه، رقم (2901).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى اله واصحابه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته الى يوم الدين، هذه المنظومة هي مقدمة لنظم طويل في الفقه المالكي في حدود سبعة عشر الف بيت وقد قدم بها المؤلف حفظه الله بين يدي النظم لتتم الفائدة وتكمل، وقد ضمنها اغلب المسائل العقدية التي يحتاج اليها مقتصرا على مذهب السلف الصالح قبل نشوء الفرق، ولا يذكر فيها الخلافات وفي اغلبها لا يذكر المسالة الا بدليلها ملمّحا الى الدليل سواء كان في الكتاب و السنة قال فيها حفظه الله :

بِالبَـــــدءِ بِاســـــمِ اللهِ في التَّقـــــدِيمِ وَالوَصـــــفِ بِالــــرَّحمَنِ وَالــــرَّحِيمِ

ابتدء هذا النظم ببسم الله الرحمن الرحيم على السنة في ابتداء كل امر ذي بال ببسم الله الرحمن الرحيم وقال (**في البدء بسم الله في التقديم**) اي بتقديم هذا النظم ومقدمته والوصف اي الوصف لله سبحانه وتعالى بالرحمن والرحيم كما وصف بذلك نفسه، واثنى بذلك على نفسه وهذا ابتداء بالبسملة كاملة.

قَـــالَ مُحَمَّـــدٌ بِسَـــالِمٍ شُـــفِعْ نَجْـــلُ مُحَمَّـــدٍ بعَـــالٍ قَـــد تُبِـــعْ

(**قال محمد**) ، وهذا متعلق بالبدء اي بالبدء بسم الله قال محمد، واسمه هو مركب من كلمتين ،محمد سالم ،قال محمد بسالم شفع، اي ثني الاسم، شفع اي بعد ان كان وترا، شُفَعَ بسالم نجل اي: ابن محمد بعال قد تبع اي اسم والده ايضآ مركب وهو محمد عال، فاما ان تلفظ بعلي بالقصر واما ان تلفظ بعال بمعنى مرتفع بالألف.

الهَـــــــاشِمِيُّ المُنتَمِـــــــي بِالأُسّ إلى المُبَـــــارَكِ الـــــذِي للخَمْـــــسِ

الهاشمي من ذرية الحسين ابن علي ابن ابي طالب رضي الله عنهم اجمعين المنتمي بالاس اي: المنتسب بالاصل الى المبارك وهو جده الاعلى الذي للخمس ينتمي اي: ينتسب والخمس خمس قبائل تآنفت وتحالفت على نصرة الله ورسولة والعمل بالكتاب والسنة والجهاد في سبيل الله في ذلك الصقع النائي من بلاد المسلمين .

بِأُسِّـــهِمْ إلى يَعقُـــوبَ مِنهَـــا يَنتَمِـــيْ بِاللهِ رَبِّي اعتَـــــــزِي وَاحتَمِـــــــي

ثم الى يعقوب وهي احدى هذه القبائل الخمس اليها ينتمي (**بِاللهِ رَبِّي اعتَزِي وَاحتَمِي**) اي انه يذكر النسب للتعريف فقط لا للتعزي ولا للفخر بل قال :

(**بِاللهِ رَبِّي اعتَزِي وَاحتَمِي**) اي لا احتمي ولا اعتزي الا بالله ربي وحده.

أحمَـــــدُهُ جَـــــلَّ كَمَــــا ابتَـــدَانِي بِـــــنِعَمٍ مَــــا لِي بِهَـــا يَـــــدَانِ

افتتح النظم بالثناء على الله سبحانه وتعالى وحده فقال احمده جل وثناءه وقوله (**جل**) بعد قوله:(**احمده**)اي: احمده سبحانه وتعالى،(**جل**) اي: على (**كما ابتداني**) اي: لاجل ان ابتداني والابتداء معناه: ان يعطي الانسان دون ان يسال بنعم فهي جمع نعمة مالي بها يدان اي لا قدرة لي على تحصيلها لولا عطاء الله سبحانه وتعالى والله سبحانه وتعالى يعطي قبل المسالة ويعطي اذا سئل ويبتدأ الانسان بنعمة كما قال ابن ابي زيد القيرواني في رسالته الحمد لله الذي ابتدأ الانسان بنعمته ابتداء الانسان بنعمته، اي اعطاه النعمة قبل ان يساله اياها .

ثُمَّ أُصَـــــــلِّي وَأُسَـــــــلِّمُ عَلَـــــى مُحَمَّــــــدٍ وَآلِـــــهِ وَمَــــــنْ تَــــــلا

بعد حمد الله والثناء جل بما هو له اهل والاقرار له بنعمه سبحانه وتعالى قال: (**ثم اصلي**) عطف بثم التي تدل ترتيب للخصال (**اصلي**) اي اطلب من الله صلاته اي رحمته المقرونة بالتبجيل (**واسلم**) اي اطلب منه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم وهذا اسمه الذي سماه الله به وقد قيل لعبد المطلب حين اختاره له كيف تسميه باسم ليس في ابائك؟ قال رجوت ان يحمده الاولون والاخرون فحقق الله رجاءه وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: الا ترون كيد لي وقد صرف عني مذمة المشركين يذمون مذمما وانا محمد والنبي صلى الله عليه وسلم له اسماء سوى هذا وقد ختم مالك موطاه بالحديث الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء فانا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمه وانا العاقب هذه من اسمائه صلى الله عليه وسلم وكلها تدل على المكانة التي تدل على عظم المكانة التي بوءه الله سبحانه وتعالى واله اي المؤمنين من بني الهاشم وبني المطلب ايضا كما سبق بيان ذالك وتطلق على كل من اتبعه مؤمنا به ومن تلا اي من تبعهم ويدخل في الال ضمنا دخول الاولية لانهم من المتقدمن به المتبعين له والال هذا اللفظ في الاصل من ال اليه بمعنى رجع وهو مشتق لمن يؤول اليهم الانسان اي يرجع اليهم في شؤونه ولا يضالف هذا اللفظ الا الى العالم من ذوي الشرف لذالك فان اطلاقه ليس كاطلاق اهل فاهل تضاف الى كل اسم وال لا تضاف الا الى

ذوي الشرف وقد اعترض على هذا بقول الله تعالى ادخلوا ال فرعون اشد العذاب واجيب عن ذالك بانهم لهم شرف باعتبار الدنيا وكذالك اعترض عليه بقول الشاعر

من الجرد من ال الوجيه ولاحق تذكرنا اوتارنا حين تصهل

فاضاف لفظة ال الى غير العاقل وهو الفرس ال الوجه واجيب عن ذالك بان العرب تنزل الخيل والطير والطلول والاصنام منزلة ذوي العقول

وشبهوا بمن حواه قولا الخيل والاصنام والطلولا

ومن تلا اي من تبعهم باحسان

وبعد فالعبد الفقير نظما نظما بفقه مالك يجلو الظما

وبعد اي اما بعد ثنائه على الله تعالى والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فالعبد يقصد نفسه وهذا ابلغ ما يثنى به على مخلوق ان يوصف بالعبودة لله كما اثنى الله على محمد صلى الله عليه وسلم في مقام المدح بالعبودية فقال:سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً ولم يقل سبحان الذي اسرى برسوله او خليله قال بعبده فذلك ابلغ في مدح المخلوق وابلغ في الثناء على الخالق ان يوصف بالربوبية للخلق لان الله تعالى وصف نفسه بذلك فقال : الحمد لله رب العالمين

والفقير المحتاج الى نعم الله سبحانه وتعالى والناس كلهم كذلك فقد قال الله تعالى : ياايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد

نظما نظماً بفقه مالك يجلو الظما ،وهذا بمعنى ان هذا النظم سبق المقدمة لانه قد نظم اولاً فقه مالك ثم بعد هذا نظم هذه المقدمة لذلك قال :نظما نظماً بفقه مالك يجلو الظما، يجلو أي يزيل الظمأ وهو العطش لان ذلك النظم من احرزه وفهمه زال عنه العطش الى مذهب مالك لاحتوائه على جمور مسائله.

رام به نعش ذماء المختضر مما خليل قد وعى في المختصر

رام اي قصدبه اي بذلك النظم (نعش ذماء المختضر)والنعش والانعاش بمعنى انقاذ المشفي على الهلاك ومنه العناية المركزة تسمى انعاشاً (نعش ذماء) الذماء بقية الروح الذي يبقى في الجسم في آخر حياته من الروح يسمى ذماءا (نعش ذماء المحتضر) اي الذي قد حضره الموت (مما خليل قد وعى في المختصر) اما

خليل فهو خليل ابن اسحاق بن موسى المالكي الجندي المصري مؤلف المختصر والتوضيح قد وعى اي قد جمع في المختصر وهو مختصره المشهور الذي هو من اشهر كتب المالكية واقواها

وليدع بالتسهيل والتكميل لفقه متن سيدي خليل

وليدع اي هذا النظم وذالك النظم سماه بالتسهيل والتكميل لنظم فقه سيدي خليل والتسهيل التليين في الاصل والمقصود به هنا التبيين والايضاح والتكميل لانه عليه ما اخطا فيه ويزيده ببعض ما ترك لفقه متن سيدي خليل اي هو المختصر نفسه سيدي هذا اللقب اشتهر به خليل ابن اسحاق ويطلق عليه سيدي خليل ويطلقه عليه المتاخرون كثيرا

واسال الله تعال النفعا لكل من فيه سعى والرفعا

في هذه المقدمة ذكر الدعاء فقال واسال الله تعالى النفعا لكل من فيه سعى كل من سعى بهذا النظم او شرح او طبع او نشر او غير ذالك يسال الله له النفع به ان ينتفعوا به بالعلم والاجر بالعلم بان ينتفع بما فيه من العلم وان ينتفع بالاجر ايضا اي يحصل له اجر ذالك لكل من فيه سعى والرفعا اي يسال الله له الرفعا الذي وعد الله به المشتغليين بالعلم فانه تعالى يقول يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس ففسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا فانشزوا يرفع الله الين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات

فهو يسال الله لمن اشتغل به ان يكون من اهل العم الذين وعدهم بالرفع وان يحقق له ذالك الرفع درجات

والحفظ والتوفيق في القصود وقبل ان اشرع في المقصود

والحفظ والتوفيق في القصود اي واسال الله لكل من فيه سعى الحفظ اي يحفظه الله سبحانه وتعالى والحفظ يشمل الحفظ من الذنوب والحفظ من المكاره كلها وكل ذلك يدخل في الحفظ

(والتوفيق في القصود) اي ان يوفق في القصود جمعَ قصد وهي كل ما يقصده اليه الانسان اي ان يكون مقصده موافقاً لما شرع الله سبحانه وتعالى وبين رسوله صلى الله عليه وسلم

وقبل ان اشرع في المقصود اذكر جملة من العقائد

وقبل ان اشرع في المقصود اي قبل ان يبدأ في المقصود الذي هونظم في الفقه المالكي ولانعاش مختصر خليل به اذكر جملة من العقائد اذكر في هذه المقدمة جملة اي عدداً من المسائل متناسقة فيما بينها متفقة واشتقاق الجملة من اجمل الشحم اذا اذابه والجملة كأنها جمعت اطرافها فأذيبت فأصبحت كتلة موحدة اذكر جملة من العقائد والعقائد جمع عقيدة وهي مايعقده الانسان ويدين به والاعتقاد هو اليقين الجازم وقد اشتهر اطلاق العقائد على ما يتعلق بتفصيلات الايمان فإن الايمان بالله سبحانه وتعالى بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل فبين ان لاحكام الايمان الستة هي ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ويتعلق بهذه الاحكام الستة كثير من الجزئيات التي هي المسماة بالعقائد (على طريقة السلف الاماجد) على طريق اي على مذهب السلف والسلف في اللغة من تقدم مطلقاً كل من تقدم في امر يسمى سلفاً والمقصود بهم هنا القرون الثلاثة المزكاة اي الصحابة والتابعون واتباعهم والمقصود بطريقهم اي ما كان معروفاً في زمانهم ومن المعلوم ان الصحابة في زمانهم لم تكن المذاب فلم يكن لهم رأي ولا اشتغال بجمع الجزئيات ولا التآليف لان الكتاب والسنة يبحث فيهما من جهتين :

الوورود ، والدلالة

والصحابة لم يحتاجوا الى البحث في جهة الوورود لسماعهم من الرسول المعصوم صلى الله عليه وسلم ولم يحتاجوا الى البحث في جهة الدلالة

لانهم اهل اللسان العربي على وجه السليقة والتابعون كذلك لم يحتاجوا الى البحث الى جهة الوورود لسماعهم من الصحابة المعدلين بتعديل الله لهم لان الله تعالى قال {والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه} ويقول { ان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين} فإذا انتفى عنهم الفسق وجب لهم ضده وو العدالة بالضرورة لانها ذد الفسق والصحابة حل عليهم رضوان الله والله لا يرضى عن القوم الفاسقين فانتفى عنهم الفسق فحينئذ تثبت لهم العدالة وهي ضد الفسق وحاجة التابعين كذلك الى البحث في جهة الدلالة لانهم ما زالو اهلى اللسان العربي كذلك على وجه السليقة ولم يطرأ كثيرٌ من التغير على واقع حياتهم عما كان الواقع عليه في ايم النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لما جاء اتباع التابعين احتاجوا الى البحث في الجهتين احتاجوا الى البحث في جهة الوورود لانهم لم يدركوا النبي المعصوم صلى الله عليه وسلم ولم يدركوا الصحابة المعدلين بتعديل الله لهم وانما ادركوا التابعين وفيهم العدول وغير العدول فبدأت المذاهب من ذلك الوقت من ايام اتباع التابعين وهم المقصود باطلاق (السلف) في العقائد وفي العبادات والاحكام اذا قيل مذهب السلف قالمقصود فيهم

اتباع التابعين ومن وراءهم لان من بعدهم لم يتكلموا في تلك المسائل الجزئية ولا روي عنهم شيء في اغلبها

(الاماجد) جمع ماجد وهذا ثناء عليهم وقد ارشد الله الى ذلك بقوله (والين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا لربنا انك رؤوف رحيم) ولهذا فإن مالكى رحمه الله حين سمع رجلاً يتنقص معاوية ابن ابي سفيان والمغيرة بن شعبة وغيرهما من جِلة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين قال له ياهذا أأنت من المهاجرين الاولين قال لا قال أفأنت من الانصار الذين آوو ونصروا قال لا قال فأنا اشهد انك لست من الذين اتبعوهم باحسان لان الله اثنى على الذين اتبعوهم باحسان بثنائهم عليه(يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا) فهو يخالف ذلك فلا يثني عليهم ولا يدعو لهم وكذلك قال مالك رحمه الله في الذين ينتقصون من الصحابة(لا يستحقون من الفيء شيئآ لان الله قسم الفيء قال (للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يتغون فضلاً من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون والين تبوءوا الدار والايمان من بعدهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدروهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) فمن ليس كذلك لا يستحق شيئآ من بيت المال ولا من الفيء ومن هنا فمن كان ينتقص الصحابة من الفرق ولو لم يكفر لتقليده او لجهله او لغير ذلك لا يستحق شيئآ من المال العام ولا من الفيء لانه قد قسمه الله تعالى ولم يجعل له فيه نصيبآ

ولست ذاكرآ سوى المتفق عليه من قبل نشوء الفرق

لست ذاكرآ في هذه العقيدة في هذا النظم سوى المتفق عليه اي الذي لم يقع فيه اختلاف في ذلك العصر

(من قبل نشوء الفرق) من قبل ان تنشأ الفرق فأصل الافتراق في هذه الامة وبدايته كان خلافآ سياسيآ ثم تأطر وصار خلافآ عقديآ فيما بعد فأول خلاف ظهر هو الاختلاف في شأن الخلافة والولاية اختلف الناس فيها على ثلاثة مذاهب:

المذهب الاول : الذين حصروها في اسرة واحدة في اسة علي ابن ابي طالب وهم الشيعة

المذهب الثاني:الذين حصرواها في قبيلة واحدة وهي قريش وهم السنة

المذهب الثالث: الذين علموها لكل المسلمين وهم الخوارج

وتأطّر هذا الخلاف فيما بعد فاصبحت الفرق ماعدا اهل السنة يرجعون الى مسائل عقدية تميزهم ويحرصون عليها فأصبحت مذاهبهم تلك تابعة لنحلهم العقدية فلهذا قال من قبل نشوء الفرق والفرق جمع فرقة بالكسر وهي الطائفة المتميزة عن غيرها بأصل عقدي وتعصبٍ له فليس اصحاب المذاهب مثلآ المذاهب الفقهية حتى المذاهب العقدية في المجال الاجتهادي ليسوا من اصحاب الفرق ومن ذلك جماعات الجهاد وجماعات الدعوة وجماعاة نصرة الاسلام من اي وجه لا تدخل في الفرق لان الفرقة لا بد ان تكون متميزة عقديآ اخذت بشيء تميزها عمن سواها وتعصبت عليه فذلك مخرج لكل اولئك فأصحاب المذاه وان تبعهم انواع من الناس وا تعصب لهمانواع من الناس لكن ليست لهم نحلة عقدية تميزهم وكذلك الجماعات الاسلامية والعاملون على الاسلام عمومآ لا يتعصبون على اساس عقدي يميزهم عن غيرهم من الامة فليسوا فرقآ فالفرق مختصة بالذين بأخذون بما يميزهم عقديآ ويتعصبون له

مما اليه الاشعري قد رجع .. متبعآ احمد نعم المتبع

اي الذي يذكره المتفق عليه وهو مذهب ابي الحسن علي ابن اسماعيل الاشعري الذي رجع اليه وابو الحسن امام من ائمة الشافعية في الفقه ومن ائمة الحديث والقراءات من اهل البصرة وهو من القرون الثلاثة المزكاة فقد عاش في القرن الثالث الهجري ومات في الرابع قبل منتصفه وهو من ذرية ابي موسى الاشعري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان معتزليآ في بداية شبابه ثم اشتغل بالكتاب والسنة قرجع الى مذهب الاعتدال واكنت له اراء في كثير من المسائل لا تخلو من التأثير بمذهبه الاول المعتزلي ثم رجع عنها وصرح بأنه موافق لاهل السنة والحديث والذي بقي في مذهبه الاخير من الخلاف بينه وبين من سواه من اهل السنة خلاف في امور اجتهادية لا يمكن ان يعتبر شذوذآ وقدحآ بل هو منه الى الخلافات الفقهية في المسائل الاجتهادية فيعلم ان من اصاب منهم من المجتهدين فله اجران ةمن اخطأ فله اجر وهو معذور في خطئه

(مما اليه الاشعري قد رجع متبعآ احمد ...) فقد صرح الاشعري بذلك فقي ابانته صرح بانه متبع لاحمد بن حنبل واحمد هو الامام ابو عبد الله احمد بن حنبل الشيباني من بني ذهل بن شيبان من بني بكر بن وائل وهو من ائمة اهل السنة اهل الحديث واشتهر بذلك حيث ادرك فتنة تولي المعتزلة للسلطة ووصولهم الى محل اتخاذ القرار فأرادوا ان يفرضوا مذهبهم على الناس وبالاخص في مسألة خلق القرآن فامتحنوا

الناس على ذلك وكانوا يتخلصون من كل من خالفهم فإن كان اسيرآ عند العدو امتحنوه فإن المتنع عن القول بخلق القرآن تركوه للعدو ولم يفكوا اسره وان كان قاضيآ او واليآ في بلاد الاسلام امتحنوه فإذا انكر خلق القرآن عزلوه من ولايته وعذبوا كثيرآ من العلماء الذين امتنعوا عن اجابة تلك الفتنة واشهر هئلاء العلماء الذين صمدوا في تلك الفتنة هو الامام احمد بن حنبل رحمه الله وقد مكث ثمانية عشر سنة تحت التعذيب والضغوط فلم يرجع عن مذهب السنة فصمد فيه فقال الناس وقف احمد في الفتنة كما وقف ابو بكر في الردةفأبو بكر رضي الله عنه وقف في الردة موقفه الشجاع وان خالفه فيه بعض الصحابة في البداية لكنهم جميعآ اطاعوه وانقادوا له فيما بعد واحمد بن حنبل كذلك وقف ذلك الموقف الشجاع في قضية الفتنة فلذلك اثنى عليه فقال (نعم المتبع) اي نعم هو فيستحق الاتباع لانه من اولي الامر من هذه الامة واولي الامر هم العلماء يستتنبطون العلم لان الله تعالى يقول : ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يسنبطونه منهم

(لا من يقول من لذا او ذا انتمى .. زعمآ ولم يسر على مارسما)

اي الذي يذكره هنا ليست مما يقول (من لذا) اي الاشعري او(ذا) اي احمد (انتما) اي انتسب(زعمآ)اي بمجرد الانتماء والزعم ولم يسر على ما رسما اي لم يوافقهما في المذهب فإن المتأخرين من اهل السنة انقسموا الى ثلاثة مذاهب:

1.في المجال لاجتهادي اي من امور العقائد فأمور العقائد منها ما لا يقبل الاجتهاد اصلآ وهو المسائل المحسومة بالنص كأركان الايمان الستة ونحو ذلك والمسائل الاجتهادية اختلفوا فيها على ثلاثة أقوال :

1.مذهب الاشعري 2.مذهب ابي منصور الماتريدي 3.مذهب الحنابلة

وهذه انما يميز بينها مسائل محصورة ترجع الى خمس مسائل كلها اجتهادية لكن توسعت اتباع هذه المذاهب في الاقوال التي لم يقل فيها اصحاب هذه المذاهب فحصل فيها غلط كثير وخلط وابتداع فكثير من المنتسبين للاشعري أتوا بأقوال لم يقلها الاشعري ولا يمكن ان يرضاها بل يخالفها واصبح كثير من الناس ينسبها للمذهب الاشعري ويظنون انها من المذهب الاشعري مع انه لم تقع في زمانه اصلآ ولم يقلها في كتاب من كتبه وانما قالها المتأخرون الذين ينتسبون لمذهبه فخالفوه فيه ومثل ذلك المسائل التي قول بها بعض المتأخرين من الحنابلة مما ليس في زمان احمد ولا ذكر عنده ولا تكلم فيه ايضآ كل ذلك ليس من مذهب احمد في شيء بل هو من الاحداث ولذلك قال :

(لا ما يقول من لذا او ذا انتما .. زعمآ) اي بزعمه فقط ولم يسر على ما رسما اي ما رسمه هذان الشيخان.

الله حقٌ أولٌ كان ولم ..يكن سواه ثم من بعد العدم

أنشأ خلقه

أول ما افتتح به العقائد وصف الله تعالى نفسه بانه حق فقد قال الله سبحانه وتعالى : والله هو الحق المبين

والحق معناه الموجود القائم القيوم الذي لا يفنى ولا يبيد وهذا الذي يستعمل اهل الكلام بدله (موجود) وقد عدل عنها الشيخ وأتى (بحق) لان موجود لم ترد بالنص بهذا اللفظ و (حق) وردت في عدد من الايات والاحاديث (أول) أي متصف بالاولية وهي نفي العدم السابق للوجود اي ان وجوده لم يسبقه عدم وهي التي يعبر عنها المتكلمون بالقدم والشيخ عدل عنها لان القدم لم ترد هذه الصفة بالنص بلفظها وانما جاءت الاولية في قول الله تعالى : {هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم} وفي عدد من الاحاديث كقول النبي صلى الله عليه وسلم"اللهم انت الاول فليس قبلك شيء وانت الآخر فليس بعدك شيء وانت الظاهر فليس فوقك شيء وانت الباطن فليس دونك شيء إقض عنا الدين واغننا عن الفقر"

(كان ولم يكن سواه) هذا شرط الاولية فليس لأوليته ابتداء وليس لآخريته انتهاء فقال: (كان ولم يكن سواه) كان الله ولم يكن معه اي كل الخلائق احدثها الله سبحانه وتعالى بعد ان لم تكن والله سبحانه وتعالى كان ولم يكن سواه

(. . . . . . ثم من بعد العدم)

(أنشأ خلقه اختيارآ بقدر . . . . . .)

أي بعد ماكانوا معدومين لم يكن احدٌ منهم أنشأهم الله سبحانه وتعالى من العدم وخلقه هنا مخلوقاته جميعآ اختيارآ اي غير محتاج اليهم ولا مضطر بل انما{ يخلق مايشاء ويختار ماكان لهم الخيرة} وكل ذلك لحكم ، اختيارآ بقدر كل ذلك بقدر والقدر اربع مراتب هي :

1.المرتبة الاولى : علم الله السابق بجيمع الاشياء اجمالآ وتفصيلآ فإنه لا يخفى عليه شيءٌ من الخلق هذه المرتبة الاولى وهي قديمة

2.المرتبة الثانية : كتابة كل ما هو كائن في الصحف التي عنده فوق عرشه وهي ام الكتاب فإنه سبحانه وتعالى لما خلق القلم أمره أن يكتب فقال : وما أكتب يارب فقال اكتب ما هو كائن الى قيام الساعة فكتب ذلك فجرى القلم بذلك فهو في الصحف التي عنده فوق عرشه وهي ام الكتاب التي لا محو فيها ولا تبديل { يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده ام الكتاب} وهاتان المرتبتان قديمتان اجتمعتا في قول الله تعالى: {وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم مافي البر والبحر وما تسقط من ورقة يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين}

3.المرتبة الثالثة: توزيع كل مل ما هو كائن على الزمن ، ففي كل وقت يأمر الله تعالى بما يقع في ذلك الوقت، واذا تكلم بما شاء من خلقه كتب ذلك في اللوح المحفوظ فينفذ المأمور به من ملائكته الكرام بعد أن يفزع عن قلوبهم فيقولون ماذا قال ربكم؟ {قالوا الحق وهو العلي الكبير} وجبريل عليه السلام هو الذي يبلغهم أوامر الله عز وجل،

توزيع ما هو كائن على الزمن ففي كل زمن ليلة يفرق فيها كل امر حكيم امرآ من عندنا ليلة القدر يكتب فيها كل ما يقع في السنة في اللوح المحفوظ مع كل جنين يكتب اجله وعمله وشقي او سعيد رزقه وعمله وشقي او سعيد فهذ من التوزيع ومثل الاجنة الاشجار والثمار ان لهذه الاشجار لآجالآ كآجآلكم كم قال النبي صلى الله عليه فكلها يكتب معها كل شجرة يكتب معها عند اول نشأتها مايعروها من الاوراق وما يتمدد منها من الاغصان وما تشربه من المياه وما تشربه من الاوكسجين ومن يستظل بها ومن ينتفع بأي ثمرة من ثمراتها حتى تموت واجلها الوقت الذي تموت فيه كحال الانسان تمامآ المرحلة الرابعة : هي القضاء وهي تنفيذ ماعلم الله كنهه على وفق ماعلمه فجلوسنا هذا مجلسنا هذا علمه الله قبل ان يخلق آدم وقبل ان يخلق السموات والارض وكتبه في ام الكتاب عنده وكتبه فيما يقع هذه السنة في هذا اليوم في هذا الشهر وقدره الان حين كان فهو على وفق ما خلق الله قبل ان يخلق السموات والارض وقبل ان يخلق آدم لا يختلف فيه شيءٌ عما علمه الله من قبل والفرق بين كتابة ماكتب في ام الكتاب وكتابة مايكت في اللوح المحفوظ ان ما كتب في ام الكتاب ليس فيه محو ولا تبديل كما ذكرنا في قول الله تعالى {يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده ام الكتاب} فالمحو والتبديل في غير ام الكتاب في اللوح المحفوظ ثانيآ ان ام الكتاب ليس فيه ربط بالشروط وانتفاء الموانع واللوح المحفوظ تربط الامور فيه بالشروط وانتفاء الموانع ولذلك فإن الملائكة الذين يطلعون على مافي اللوح المحفوظ ولا يطلعون مافي ام الكتاب قد يظنون ان اجل احد قد حان ولم يحن بعدُ كقصة ملك الموت حين ارسل الى

موسى ليقبض روحه فأتاه بصورة فصكه ففقء عينه اي فقء عين تلك الصورة التي تمثل لها الملك فرجع الى ربه فقال ياربّ ارسلتني الى عبد لا يريد الموت فحينئذٍ قد بقي من عمر موسى شيءٌ لم يعلم به الملك لانه مرتبط بالشروط وانتفاء الموانع مثلاً يقال : إن وصل رحمه زِيدَ في عمره كذا، وان تصدق بالصدقة كذا زيد رزقه بكذا او زيد عمره بكذا فالملك يعرف انه ان تصدق بكذا سيزداد عمره بكذا لكن لا يعرف هل سيتصدق بتلك الصدقة اولا، والله تعالى يعلم ماهو كائن والله تعالى يعلم ماسيتحقق من الشروط وما سينتفي من الموانع وما لا يتحقق من الشروط وما لا ينتفي من الموانع والملائكة لا يطلعون على ذلك الا بعد حصوله الا ما اخبروا عنه من عند الله مثل الاوامر والنواهي أذا القدر إذاً بهذه المراتب الاربعة يجب الايمان به وهو ايضاً اربعة أنواع : أنواع القدر اربعة :

النوع الاول :القدر الخير الحلو وهو ما يُرفد الله به عباده المؤمنين من النعم الظاهرة والباطنة التي تعينهم على طاعة الله وتكون موافقة لما يحبون ما اعطاك الله من الصحة والعافية وما اعطال من الفهم والاستيعاب وما اعطاك من المال لتصرفه في مرضاته كل هذا من القدر الخير فهو خير لك لانه معين لك على الطاعة "الحلو" لانه موافق لما تحب إذآ هذا النوع الاول "القدر الخير الحلو"

النوع الثاني : القدر الخير المر وهو ما يقدره الله على عباده المؤمنين من الامراض والاعراض وما يصيبهم من البلاء فكله من القدر الخير لانه خير لهم فيه تكفير ورفع درجة واعلاء لمنزلة لكنه مرٌّ لانه غير موافق لما يحبون وهذان القسمان مختصان بالمؤمنين لقول النبي صلى الله عليه وسلم :((عجبآ لأمر المؤمن كل امر المؤمن له خير إن اصابته سراء شكر فكان خيرآ له وان اصابته ضراءُ صبر فكان خيرآ له وليس ذلك لاحد الا للمؤمن)) فالمؤمن وحد هو الذي له هذان النوعان "إن اصابته سارءُ شكرَ فكان خيرآ له وان اصابته ضراء صبر فكان خيرآ له

النوع الثالث : القدر الشرُّ الحلو قدر الشر الحلو وهو مايعجله الله لاعدائه من امور الدنيا التي تزيدهم طغيانآ وعدوانآ وتبعدهم عن منهج الله وطاعته مايعطيهم من المال والاولاد والصحة وما يفتح لهم من اوجه التكنولجيا والتقدم فكل ذلك من القدر الشرِّ الحلو فهو شر لانه يزيدهم طغيانآ وبعدآ عن الله ولكنه حلوٌ لانه موافق لهواهم

النوع الرابع: القدر الشر المر وهو ما يسلطه الله على اعدائه من الكوارث والمصائب التي تعجلهم على النار تحطم الطائرات والسيارات والكواارث الكبيرة مثل تحطم المفاعلات النووية والمراكب الفضائية ونحوِ ذلك كلها مصائب يعجلها الله لاعدائه فهي من القدر الشر المر فهي شر لهم لانها تعجلهم على سخط الله وعقوبته وهي مرة لانها مخالفة لهواهم وهذه الاقسم الاربعة يجب الايمان بها أن تؤمن بالقدر خيره وشره فخيره قسمان وشره قسمان "خيره حلوٌ ومرٌّ "وشره حلو ومرٌّ" مسائل هذه القدر التي يمكن ان اعرج عليها هنا ترجع في عمومها الى ما يتعلق بمسائل الارادة والاستطاعة وخلق افعال العباد ونحوِ ذلك وسيأتي بعض مسائل القدر المتفرقة مثل ما يتعلق بالطيرة ونحوها فما يتعلق بالارادة لا بد ان نعلم فيه ان لله سبحانه و تعالى نوعين من انواع الارادة" إحداهما "الارادة الكونية" والثانية " الارادة التشريعية"

فالارادة الكونية هي المشيئة وبها يرتبط كل مابي العالم من الحركات والسكنات { لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاءون الا ان يشاء الله رب العالمين }
والثانية الارادة التشريعية وهي أمر الله سبحانه وتعالى الاوامر التي يقدمها لعباده
فالارادة الكونية تصدر بالكلمات الكونية والارادة التشريعية تصدر بالكلمات التشريعية وكلمات الله تنقسم الى قسمين :
1.الى كلمات كونية 2. كلمات تشريعية فالكلمات الكونية لا يتعداها بر ولا فاجر فإن قال للبَر مت هل يستطيع أن يتأخر ؟ أبداً وإذا قال للفاجر مت هل يستطيع أن يتاخر؟ لا فهذه الكلمات لا يتعداها بر ولا فاجرولا ينزل بها الوحي بل يخاطب الله بها الخلائق فيقول كن كما قال تعالى: { إنما قولنا لشيءٍ اذااردناه ان نقول له كن فيكون}وكما قال تعالى : { انما امره اذا اراد شيئاً أن يقول له كن فيكون } وكما قال الله تعالى : { إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون } وهذه الكلمات لا حصر لها ولا نهاية كما قال تعالى : { قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً} وكما قال تعالى : { ولو أن ما في الارض من شجرة أقلامٌ والبحر يمده من بعده سبعة ابحرٍ مانفدت كلمات الله } هذه الكلمات الكونية وهي التي ليس فيها تبديل { ولا مبدل لكلمات الله } أي الكلمات الكونية أما الكلمات التشريعية فيقع فيها التبديل كما قال تعالى: { وإذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون } وكما قال تعالى: { ما ننسخ من آية أو ننسها نأتِ بخير منها او مثلها ألم تعلم ان الله على كل شيءٍ قدير } فالكلمات التشريعية يقع فيها النسخ والتبديل والكلمات الكونية لا نسخ فيها ولا تبديل والكلمات التشريعية ينزل بها الوحي على من شاء الله من عباده وقد ختمت الكلمات التشريعية بموت محمد صلى الله عليه وسلم فلا نبي بعده ولا يمكن أن يأتي من عند الله امر بوحي منزل بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم أبدآ وهي المحصورة بين دفتي المصحف فهذا كلام الله الذي انزله على محمد صلى الله عليه وسلم وهو مابين دفتي المصحف كما في حديث عائشة رضي الله عنها ((مابين دفتي المصحف كلام الله))فإذآ الارادتان الارادة الكونية والارادة التشريعية لا تعارض بين مجاليهما فالارادة الدونية يمكن ان تتعلق بما لم يامر الله به بالارادة التشريعية والارادة التشريعية يمكن ان تتعلق بما لم ياذن الله به في الارادة الدونية وقد يقع تعارض الارادتين بالارادة الكونية مثل قوله تعالى فيما روى عنه رسوله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي الصحيح وما ترددت في شيئ انا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت ويكره مساءته ولابد له منه فهذا تجاذب الارادتين هو من قدر الله سبحانه وتعالى فالقدر يرد بعضه بعضا كرد المرض بالدواء مثلا فهذا قدر يرد قدرا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ولا يرد القدر الاالدعاء ان الدعاء يصطرع في السماء مع البلاء ولا يرد القدر الا الدعاء يبقى ان افعال المخلوقين افعال المكلفين التي هي من خلق الله ومن فعل المكلفين باعتبار هاتين الارادتين تنقسم الى اربعة اقسام القسم الاول مالم تتعلق به واحدة من الارادتين كالافعال السيئة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرده الله ارادة كونية لانها ما وقعت ولم يردها ارادة تشريعية لان الله لا يأمر بالفحشاء

،القسم الثاني "ماتعلق به الارادتان معآ" ;الاعمال الصالحة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ارادها الله ارادة كونية لانها وقعت، وارادها ارادة تشريعية لانه امره بها، "القسم الثالث" ماتعلقت به الارادة الكونية دون التشريعية كالاعمال السيئة من ابي جهل مثلآ ارادها الله ارادة كونية لانها وقعت ولم يردها ارادة تشريعية لانه لا يأمر بالفحشاء،" القسم الاربع" مات تعلقت به الارادة التشريعية دون الكونية كالاعمال الصالحة من ابي جهل ،أرادها الله ارادة تشريعية لانه امره بها ، ولم يردها ارادة كونية لانه ما وفقه لها ،ما وقع ، إذآ واضح جدآ أن الاعمال الصالحة اذا وقعت تعلقت بها الارادتان معآ وما لم يقع منها تعلقت به الارادة التشريعية دون الكونية والاعمال السيئة ما وقع منها تعلقت به الارادة الكونية دون التشريعية وما لم يقع منها لم تتعلق به واحدة من الارادتين ،

كذلك من هذه المسائل المهمة ما يتعلق بالاستطاعة فهي من مسائل القدر التي جال الناس فيها وخاضوا ولا بد من فهمها فلا بد ان يعلم أن الناس في سبيل افعال العباد اختلفوا على اربعة اقول :

القول الاول : مذهب القدرية وهم نفاة القدر الذين يزعمون ان الامر أُنُفٌ وان الله لا يعلم بفعل المخلوق حتى يقع تعالى الله عما يقولون علوّآ كبيرآ وهؤلاء هم مجوس هذه الامة وهم شر الفرق ينكرون ركنآ من اركان الايمان وهو القدر ومذهبهم أسوأ المذاهب واكثرها انحرافآ يظنون ان الله تعالى لا يعلم بالامر حتى يقع وان المخلوق هو الذي يخلق فعله فيجعلون الخالقين كُثُرآونحن نعلم ان الخالق واحدٌ والله تعالى يقول : { الله خالق كل شيء } وهم يزعمون ان كل مخلوق يخلق فعله

المذهب الثاني : مذهب الجبرية ومذهبهم ضد مذهب القدرية تمامآ وهو الذي يليه في الشر والانحراف حيث يزعمون ان المخلوق ليس له اي فعل لا يفعل شيئآ فيعترضون على الله سبحانه وتعالى اذا اثابه او عاقبه يقولون اثابه على امر لم يفعله وعاقبه على امر لم يفعله لانهم يظنون ان الله هو الذي يفعل الافعال كلها حسنها وقبيحها تعالى الله عن ذلك علوّآ كبيرآ وهؤلاء ايضآ غاية في الانحراف حيث نسبوا الكذب والخيانة والزنا والقتل والسرقة وشرب الخمر الى تعالى تعالى الله عما يقولون علوّآ كبيرآ ولذلك يقول احدهم :

القاه في اليم مكتوفآ وقال له.. اياك اياك أن تبتل بالماء

المذهب الثالث: مذهب الكسل وقد قال فيه ابو الحسن الاشعري وهو ان الله سبحانه وتعالى يخلق الافعال وان المخلوق له قدرة وارادة لا يقدر بقدرته ولكن الله اذا خلق الفعل قربه اليه وبعث فيه ارادته وجعل له استطاعة تتعلق به يقع الفعل عندها لا بها فالاستطاعة اذا مُحدَثةٌ وكل لحظة يحدث فيها للانسان استطاعة غير الاستطاعة السابقة الاستطاعة التي تكتب بها الالف غير الاستطاعة التي تكتب بها اللام بعدها وغير الاستطاعة التي تكتب بها الهاءمثلآ اذا كتبتَ فكل حركة هي باستطاعة جديدة يخلقها الله فيك ويعدمها وقبل ذلك الوقت لا تستطيع انت ذلك الفعل لان الفعل له وقت محدد يخلقه الله فيه فيلتقي مع وجود الاستطاعة والدافع عندك وهذه النظرية صعبة الفهم جدآ حتى قيل هي من المسائل التي لا تفهم وقد ذكروا ان اربع مسائل لا تفهم :

1.الطفرة عند النظام 2.والكسب عند الاشعري 3. وحوداثُ لا اول لها عند شيخ الاسلام ابن تيميةَ 4. والمصلحة عند الطوفي

هذه الاربعة لا تفهم نظريات صعبة جدآ وهذا المذهب هو الذي يقول به الناس يقولون عندها لا بها اي عند الاسباب اي ان الفعل يحصل عند الاسباب لا بالاسباب

المذهب الرابع : هو مذهب اهل الحق وهو ان الله سبحانه وتعالى هو خالق كل شيء "أما الفعل " فإن الله سبحانه وتعالى يفعل مايشاء من افعاله هو وافعاله لا يمكن ان يفعلها المخلوق كإنزال المطر وانبات الحرث وخلق الانسان وتدبير شؤون الكون فهذا من افعال الله لا يمكن ان يفعله المخلوق أما افعال المخلوق فهي من فعل المخلوق وليست من فعل الله فالمخلوق هو الذي يفعل العمل الصالح وهو الذي يفعل العمل السيء فهو من فعله هو بقدرته وارادته فقد اعطاه الله قدرة يقدر بها على ما هو من جنس ما يقدر عليه المخلوق لكن لا يقدر بها على افعال الله واعطاه ارادة يريد بها ما يستطيعُ فعله فإرادته وقدرته كلتاهما له هو يفعل بهما فعلى هذا يثاب على الفعل الصالح الذي صدر بإرادته وقدرته ويعاقب على الفعل السيء لانه من فعله الذي فعله بقدرته وإرادته ,الثواب والعقاب يتعلقان بالفعل لا بالخلق كون الاعمال السيئة من خلق الله وكون الاعمال الصالحة من خلق لا يقتضي ذلك ان يترتب عليها الثواب والعقاب بل الثواب والعقاب يترتبان على الفعل لا على الخلق وقد رتب الله الثواب على العمل الصالح الذي هو من فعلك انت ورتب العقاب على العمل السيء الذي هو من فعلك انت ومن هنا فأنت مسير بالقدر مخير بالشرع فالشر انت فيه مخيرٌ لانك مأمور بأوامر تستطيعها واعطيت القدرة عليها والاستطاعة والقدر قد نفذ بما انت فاعله وما انت تاركه لكن تسييرك بالقدر ليس على وجه الاكراه بل على وجه الطوع وهذا من عجائب ملك الله أن يجبر العبد بالاختيار

العبد في الظاهر باختيارِ .. والجبر باطلآ عليه جارِ

فكان من عجائب الجبارِ .. أن يجبر العبد بالاختيارِ

كفعله لما له فيه ضرر.. يفعله طوعآ على وجه النظر

اذا اراد الله ان يقع حادث سير فإن الانسان هو الذي يختار ان يشغل سيارته وينطلق بها مسرعآ الى المكان الذي فيه موعده مع ملك الموت فهل احد اكرهه على ان ينطلق في ذلك المنطلق لا احد يكره على ذلك بل اتى به بإرادته هو وقدرته فهو اذآ مسير بالاختيار بوفق اختياره

اذا ما حمام المرء كان ببلدةٍ .. دعته اليها حاجة فيطيرُ

ومن عرف هذه الرباعيات التي ذكرناها

وهي "مراتب القدر الاربع" وانواع القدر الاربع" وأنواع تعلق الارادتين بأفعال العباد الاربعة" واقوال الناس في القدر الاربعة فهم القدر ومن لم يستوعب هذه الامور بقي القدر مشكلآ لديه ويزول اشكاله اذا عرف الانسان ان هذا العالم كله لا يمكن ان يسير الا على وفق خطة وخطته التي رسمها الله له هي التي يسير عليها وهي قدر الله فاستراتيجية الكون التي يسير عليها هي القدر وهي مجهولة بالنسبة لنا ولم يتعبدنا الله بعلمها فعلمان من علم الله احدهما الشرع والاخر القدر "الشرع تعبدنا الله بعلمه"والقدر لم

يتعبدنا بعلمه بل تعبَدَنا بجهله فلا يحل لنا التطلع الى القدر كالتطلع على الغيب عن طريق التنجيم او الكهانة او الاتصال بالجن او غير ذلك هذا الحرام لانه نقصٌ للإيمان بالقدر واما الشرع فأوجب علينا تعلمه والزمَنا به فأنت تعلم انك يجب عليك صيام رمضان القادم وتعرف حكم ذلك لكن هل ستبلغ رمضان حياً مكلفاً حتى تصومه ذلك الى القدر فلا تستطيع الكلام فيه انت تستطيع فقط ان تبين الحكم الشرعي أما الحكم القدري فهو عند الله لا تستطيع ان تطلع عليه لا تعلم هل ستصوم رمضان القابل او لا تصومه لذلك قال (اختياراً بقدر .. لحكمٍ) كل افعال الله سبحانه وتعالى غير معطلة عن الحِكَم بل لا يفعل فعلاً الا على وفق حكمته البالغة لكنّ تلك الحِكمَ قد يطّلع عليها المخلوقون وقد تخفى عليهم قد يبينها للمخلوقين وقد تخفى عليهم فلا يعرفونها ولا يكتشفونها وتلك الحِكمِ ليس فيها مصلحة ترجع الى الله سبحانه وتعالى بشيء فإنه هو الغني الحميد لا يحتاج الى شيء من خلقه والعباد هم الفقراء اليه فإذا اوجب على العباد شيئاً فلمصلحتهم واذا حرّم عليهم فلمصلحتهم كل ذلك لمصلحة العباد لكنّ تلك المصلحة قد تكون اخروية في الاخرة لا يطلع العباد عليها مثل رمي الجمار " الطواف بالبيت" السعي بين الصفا والمروة لا يعرف العباد مصلحة ذلك في الدنيا لكنّ مصلحته أخروية وهذا الذي يسمى بالتعبدات يقال هذا الحكم ام تعلليٌّ واما تعبديٌّ مامعنى التعللي ؟ تعللي ماعرف العباد مصلحته وكانت مصلحته ترجع الى الدنيا والتعبدي ما لم يعرف العباد مصلحته وكانت مصلحته ترجع الى الاخرة فكل ماكانت المصلحة فيه اخروية هو الذي يسمى بالتعبدي وكل ما كانت المصلحة فيه دنيوية هو الذ يسمى بالتعلليّ اي الذي له علة وهنا يلزم تذكر الفرق بين العلة والسبب وهما قسمان من اقسام خطاب الوضع وقد سبق بيانهما "فالسبب" لا يدرك العقل وجه ترتيب الحكم عليه هل فيكم احد يستطيع ان يعرف لماذا رتب الشارع على غروب الشمس وجوب ثلاث ركعات وعلى غروب الشفق وجوب اربع ركعات في الحضر واثنتين في السفر وعلى طلوع الفجر وجوب ركعتين مطلقاً في الحضر والسفر وعلى زوال الشمس وجوب اربع ركعات في الحضر واثنتين في السفر وعلى دلوكها وجوب اربع ركعات في الحضر واثنتين في السفر هل فيكم احد يستطيع ان يعرف الفرق؟أبداً هذا سبب تعبدي امره الى الله نحن لا نستطيع ان نعرفه كلن نعلم ان لله فيه حكمة بالغة وانه لو كشفها لنا لكانت العقول منقادة اليها واضحة لها لكنه سترها عنا لنؤمن بالغيب "أما العلة" فهي ماعرف العقل وجه ترتيبه ،قد حرم الله تعالى الخمر لماذا حرم الله الخمر ؟لانه يغطي العقل فإذآ انت عرفت السبب الذي من اجله حرمت الخمر

فإذآ هذه علة فالحكم تعللي واضح لك علته لانها مصلحة دنيوية (لا عبثآ) الحكمة لا يقابلها الا العبث فإذا سُلبت الحكمة اقتضى ذلك إثبات العبث والعبث نقص وهو محال على الله سبحانه وتعالى ولهذا قال :{ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثآ وانكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم } وقال تعالى :{ وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ماخلقناهما الا بالحق }

(كما ذكر) أي كما ذكر ذلك في كتابه بقوله { أفحسبتم أنما خلقناكم عبثآ وانكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم } وفي قوله :{ وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ماخلقناهما الا بالحق }

بقوله كن فيكون ما طلب .. بلا علاج اولغوب او نصب

(بقوله كن فيكون ما طلب) اي ان خلقه للكون كله هو بأن يقول له كن فيكون كما قال تعالى : { إنما قولنا لشيءٍ اذا اراده ان نقول له كن فيكون } {إنما أمره اذا اراد شيئآ ان يقول له كن فيكون }
(بقوله) اي بقوله لذلك الذي يريد فعله يريد خلقه كن(فيكون ماطلب) اي فيكون على وفق ما طلب سبحانه وتعالى

(بلا علاجٍ)اي انه في خلقه سبحانه وتعالى لا يحتاج الى العلاج والعلاج هو مكابدة الشيء فلا يحتاج لذلك فالمخلوق مثلآ اذا اراد ان يكتبي سيحرك اصابعه ويحتاج الى مداد ويحتاج الى قلمٍ ويحتاج الى ورق يكتب عليه ويحتاج الى تفكيرٍ ويمكن ان يخطئ مع كل هذا والله سبحانه وتعالى لا يحتاج الى علاج بل يقول كن ، فيكون ماطلب على وفق ماعلم

(او لغوبٍ)المخلوق اذا فعل فعلآ ربما تعب فيه تعبآ شديدآ وهو اللغوب اللغوب التعب الشديد والله سبحانه وتعالى خلق السماوات السبع والارضين السبع في ستة ايام وما مسنا من لغوب كما قال سبحانه وتعالى السموات السبع والارضون السبع وما فيهن كل ذلك في ستة ايام وما مسنا من لغوب
(او نصب) النصب اقل من اللغوب اللغوب االتعب الشديد والنصب هو التعب فإنه سبحانه وتعالى لا يصيبه النصب ولا التعب ولا تعروه سنة ولا نوم كما قال تعالى { لا تأخذه سنة ولا نوم } { وما مسنا من لغوب }

(قل صدق الله) لا بد للاستسلام للقدر بأن تصدق بما اخبر الله سبحانه وتعالى به مطلقآ وهذه قاعدة عامة في العقائد ان منطلقها من التسليم المطلق لامر الله لان عقلك جارح من جوارحك وجوارحك محصورة فلا تستطيع ان تتبع الا ماهو محصور ما اقرب شيءٍ الى عينك؟ الجفن الذي ينطبق عليها هذا الجفن فيه الوان هل تراها لا تراها لا ترى العروق الحمراء ولا الالوان التي في جفني السبب ماهو؟أنه اقرب الى عينك من مدى البصر واذا وقفت على شاطئ المحيط على شاطئ البحر هنا هل ترى ايران ؟لا تراها لماذا؟هل هي غير موجودة؟ بلى موجودة لكنّ مدى بصرك واقف دونها وفي هذا يعلم ان كل جارحة من جوارحك لها حدان "حدٌ أسفل "وحدٌ أعلى" فأذنك لا تسمع دبيب الدمِ في دورة دمك مع ان للدورة الدموية صوتآ كبيرآ تسمعه بالتكثير عن طريق جهاز التصنت وتبلغ قوة الانفجار او الصاعقة بحيث لا تتحمل الاذن سماعها لا تسمعها مثل الامواج المحيطة بنا الان وحركة الاشياء كلها من حولنا لها اصوات كبيرة جدآ لكننا لا نسمعها واصوات المعذبين في القبور اصوات كبيرة جدآ لكننا لا نسمعها الا من اسمعه الله بعضها فالنبي صلى الله عليه وسلم سمع هو واصحابه ليلة اصواتآ مزعجة فقال تلك يهود تعذب في قبورها اسمعه الله جزءآ من عذاب القبر وفي حديث اسماء في الصحيحين ان النبي

صلى الله عليه وسلم قال : ((فيضربانه بمطارق معهما بين فوديه او بين قرنيه فيصيح صيحةً يسمعها من يليه الا الانس والجن)) الانس والجن لا يسمعون عذاب القبر في الاصل الا من اسمعه الله ماشاء منه هذا يدلك على ان لسمعك حدوداً الى اعلى وحدوداً الى اسفل نفس الشيء ما لعقلك عفقلك له له حدود الى اعلى وحدود الى اسفل فأنت لا تبحث عما قبل الاوليات كالمشاهدات والمشهورات

والحدسيات انت تحس بأنك جائع أو بأنك ظمآن او بأنك راضٍ او بأنك غضبان ولكن لا تستطيع ان تقنعنا نحن بذلك لانه امر وجداني تجده في نفسك ولا تستطيع ان تقيم عليه الحجة وتحس باللذة وبالالم وهو امر وجداني في نفسك ولا تستطيع ان تفهم السبب تفهمَ لماذا

نفس الشيء بالنسبة لعقلك له حدودٌ في النهايات فاجتماع الضدين لا يمكن ان يستوعبه العقل وانتفاء النقيضين لايمكن ان يستوعبه العقل واجتماعهما ايضاً لا يمكن ان يستوعبه العقل وكل شيء لا نهاية له لا يستوعبه العقل فلذلك لا بد ان تعلم ان عقلك جارح من جوارحك القاصرة ومن هنا لا تكلفه عناءً في ما لا يمكن ان يصل اليه فانطلق من مبدأ التسليم وقل صدق الله فكل ما جاء عن الله سبحانه وتعالى وما جاء عن رسوله صلى الله عليه وسلم فهو صدق سواء بلغه عقلك او لم يبلغه فليست العلة مما جاء من عند الله ليست العلة من الوحي بل العلة من العقل ولذلك يتفاوت الناس بعض الناس يقع لديه اشكال في امر لا يقع الاشكال فيه لدى غيره فهذا يدل على ان الاشكال ليس راجعاً الى النص نفسه بل هو راجع الى العقول وتفاوتها فلذلك قال : (قل صدق الله) وهذا اللفظ قد جاء في كتاب الله فقد قال الله تعالى: { قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين } قال قل صدق الله وهذه هي التربية الصحيحة التي ربى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه فالاستسلام المطلق لامر الله وما جاء من عنده ومعرفة ان ذلك حق وانه لا احد اصدق من الله قيلاً ولا احد اصدق من الله حديثاً وان ذلك مقدم على مقتضى العقل لان مقتضى الوحي مقدم على مقتضى العقل وهو الذي يزيل الاشكال كله ,لهذا فإن زوجة ابن رواحة رضي الله عنه عندما رأته يغشى جاريته وغضبت من ذلك أنكر ان يكون فعل فقالت قد علمت ان القرآن لا يقرأه جنبٌ فاقرأ عليّ من كتاب الله فقال:

شهدت شهادة لا ريب فيها.. بأن الله ليس له شريكُ

وان محمداً عبدٌ رسولٌ .. الى الثقلين ارسله المليكُ

فقالت صدَّقتُ اللهَ وكذبت عيني هي قد شاهدته بعينها لكن قالت صدقت الله وكذبت عيني فلذلك ينبغي للمؤمن الا يوغل في اطراء عقله وان يعرف ان عقله قاصر وناقص وان ما لم يستوعبه من الامور ليس معناه انه غير صحيح كما انك الان لا تدرك نفسك التي بين جنبيك ولا تبحث عن صفاتها وانت تؤمن بها تؤمن بأن لك روحاً وانها تعرج وتدخل وتنزل تتحرك ولا تنكرها لا تنكر روحك هل كلفت نفسك يوماً العناء في البحث عن روحك هل هي طويلة او قصيرة كبيرة او صغيرة سمينة او نحيفة بيضاء او سوداء ما كلفت نفسك هذا العناء ولن تصل اليه لن يصل اليه العقل لو اعطيناك اسبوعاً من التفكير تفكر لنا في صورة روحك هل ستأتي بنتيجة؟ لن تأتي بنتيجة لن يصل العقل في هذا الى اشياء فإذا كنت عاجزاً عن ادراك اقرب شيء اليك وهو روحك التي بين جنبيك فلا بد ان تعرف انك عاجز

عن ادراك ذات الله سبحانه وتعالى واذا كنت عاجزآ عن ادراك صفات روحك فعجزك عن ادرك صفات الله اولى ومن هنا فكما تسلم ان لك روحآ وانها موجودة وتؤمن بها وتحقق كذلك آمن بذات الله وصفاته واعلم انها لا سبيل الى الوصول الى معرفة شيءٍ من ذلك الا بالوحي لا يمكن ان تثبت صفة ولا ان تنفي صفة الا بالوحي ومن هنا فكل ما اثبته الله لنفسه او اثبت رسوله صلى الله عليه وسلم فهو حق ولا بد من اثباته على وفق ما اثبته الله عليه ورسوله صلى الله عليه وسلم ونفي ما نفياه مانفاه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم

(قل صدق الله) فما في الله شك فكل الانبياء قالوا لرسلهم : { أفي الله شك } وهذا الاستفهام انكاري ومعنها ليس في الله شك فما في الله شك لان الشك هو من توهمات العقول والعقول لا تبلغ الى ما هنالك فلا بد ان تقول ليس في الله شك فما في الله شك ثم بدأ في عدِّ بعض الصفات فقال:

(مالك كل مالك وما ملك) والله سبحانه وتعالى هو مالك الملك ذو الجلال والاكرام مالك كل مالك وما ملك اي ما ملكه ذلك المالك فكل ذلك ملك لله سبحانه وتعالى فالسموات السبع والارضون السبع ومن فيهن كل ذلك ملكه وفي قبضة يمينه { وما قدروا الله حق قدره والارض جميعآ قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون } وانما يستخلف الناس في ما آتاهم من ملكه يستخلفهم فيه مدة محددة ثم يعزلهم عنه ويولي عنهم من سواهم فلو كان البشر يملكون لما ماتوا عما ملكوه الذي يموت لا يملك لان الملك معناه الاستمرار والسلطة الدائمة والمخلوق سيموت ويترك ما خوِّل وراء ظهره ويأخذه من سواه فيتصرف فيه

وسيدعي انه ملكه ثم اذا مات وتركه اخذه من سواه ادعى انه ملكه وهكذا فما ننتفع به اليوم هذه الارض التي نحن عليها كل ما فيها من الخيرات وما يستخرجه الناس منها الى نهاية الدنيا من البركة التي قدرها الله فيها عندما خلقها { قدّر فيها اقواتها في اربعة ايام سواءآ للسائلين } وقد جعل فيها ما يكفي اهلها كفاتآ احياءآ وامواتآ فيمكن لكل قوم فيها في وقت ثم يعزلهم عندما تحين آجآلهم ثم يمكن لمن سواهم وهكذا بالتفاوت والتناوب حتى يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين فالجميع مصيرهم اليه كل شيء صائر اليه سبحانه { الا الى الله تصير الامور } فكل ذلك يرجع اليه سبحانه وحده (مالك كل مالك وما ملك)

خالق كل فاعل وما فعل .. مسبب الاسباب واضع العلل

(خالق كل فاعل وما فعل) هذا هو ما سبق بيانه من مسألة القدر وهو التفريق بين الخلق والفعل فقال: (خالق كل فاعل)الله خالق كل شيء (وما فعل) {الله خلقكم وما تعملون} فأفعال العباد مخلوقة لله سبحانه وتعالى وان كانت مفعولة للعباد فالفعل يتعلق به امران :

1. الخلق من عند الله 2. والفعل من عند فاعله

(مسبب الاسباب واضع العلل) اي انه سبحانه وتعالى هو مسبب الاسباب اي واضعها ومرتب مسبباتها عليها فالسبب لو لم يجعل الله به خاصيتَه لما اثّر في مسببه فالنار تحرق من سلطها الله عليه ولا تحرق من لم يسلطها عليه ولذلك قا الله تعالى : { ياناُر كوني بردآ وسلامآ على ابراهيم } فلم تضره وهكذا

سبحانه وتعالى (مسبب الاسباب واضع العلل) فالعلل التي تترتب عليها معلولاتها كلها من وضع الله فيبدأ الشيء بأمر منافٍ له مغاير له تماماً كما ان الانسان الجميل النظيف خُلق من نطفة امشاج كذلك جميع الخلائق تبدأ هكذا بأسباب مخالفة لها منافية لها في الصورة ،النار من الشجر الاخضر النبات الجميل جداً مما كل شيء حي مما فهذا هو تسبيب الاسباب واضع العلل إذا نقف هنا عند قوله : وهو تعالى احد فرد صمد الى الاذان ان شاء الله

***أسئلة الشريط الاول ***

(1)

هذا السؤال عن دراسة علم الفلك والتخصص فيه هل يحل ؟ هل يدخل ذلك في التطلع على الغيب أم لا؟

الجواب:

أنها ليس من التطلع على علم الغيب بل هو من الامور الجائزة ولا يمكن ان يُطَّلَع من خلاله على شيءٍ من المغيبات والغيب قسمان :

الغيب الحقيقي " والغيب النسبي

فالغيب الحقيقي مفاتح الغيب { وعنده مفاتح الغيب لا يعلما الا هو ويعلم مافي البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولاحية في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين } وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم (مفتح الغيب وقال هن خمس لا يعلمهن الا الله) { ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفسٌ بأي ارض تموت ان الله عليم خبير }

*.أولاً الساعة متى تكون علم الساعة وعلم كيفيات ما يقع فيها فهذا من مفاتح الغيب لا يمكن ان يعلمه الا الله

*.ثانياً تنزيل الغيث ما يصل الى الارض منه وعدد قطره وعدد البركة فيه والنفع وما يترتب عليه من النبات وما يأتي به من البركة وما يأتي به من الوخم كل ذلك معلوم عند الله مجهول لدى عباده حتى لو اطلع العباد على جزئية من ذلك لا يمكن ان يعرفوه جميعاً لا يمكن ان يقدروا مافيه من الوخم وما فيه من البركة ولا يمكن ان يقدروا عدد القطر ولايمكن ان يقدروا عدد الاستفادة منه ولا المواقع التي يصيبها

*.ثالثاً ويعلم مافي الارحام هذا يشمل مايتعلق بالاجنة من علم بالشقاوة والسعادة والتعمير وقصر والحياة والموت وما يصاب به الجنين من الامراض وما يرزق به من الارزاق وطول امعاءه وعرضها وما في دمه من الكريات الحمراء وما فيها من الكريات البيضاء وعدد انفاسه وعدد ذريته من بعده كل ذلك من علمه حتى لو اطلع الناس على بعض هذا اطلعوا على انه جنين ذكر او انه انثى او انه عدل مثلاً لا يمكن ان يطلعوا هل هو شقي ام سعيد ولا يمكن ان يطلعوا هو مرزوق او محروم غني او فقير عالم او

جاهل لا يمكن ان يطلعوا على عدد ذريته من بعده لا يمكن ان يطلعوا على عدد انفاسه ولا على عدد كرياته الحمراء والبيضاء

*.رابعآ وما تدري نفسٌ ماذا تكسب غدآ مايتعلق بالارزاق الكسب في المستقبل لا يمكن ان يطلع عليه احد بحال من الاحوال ولو احكم التخطيط واحكمه لا يمكن ان يعرف مايصل اليه من الارزاق وما يصاب به من البلايا ايضآ { ماتدري نفس ماذا تكيب غدآ }

*.خامسآ وماتدري نفس بأي ارض تموت مايتعلق بالموت لا يمكن ان يطلع عليه الناس لا يمكن ان يعرفوا متى يأتِ الموت ولا في اي مكان ولا في اي وقت يأتي ولا السبب الذي يأتي به لأي شخص من الاشخاص هذا لا يمكن ان يُطَّلع عليه لانه من الغيوب الحقيقة

"أما الغيوب النسبية" فهي ما يمكن ان يطلع عليه بالوسائل فمثلآ الذي ينظر بمنظار فيرى القمر او يرى بعض الكواكب ويرى بعض الجزئيات في اماكن نائية هذا اطلع على امرغيبي بالنسبة لنا حيث لم ننظر بالمنظار لكنه من الغيب النسبي فقد انكشف لبعض الناس دون بعض كحالنا نحن في هذا المسجد من ليس معنا في الدرس فنحن غيب بالنسبة اليه ولو كان وراء الجدار وهو غيب بالنسبة الينا نحن لانه وراء الجدار لكن هذا الغيب نسبي لانه يعرفه بعض الناس دون بعض كمن هو في مكان ومن هو ليس في ذلك المكان دراسة علم الفلك وكذلك دراسة مايتعلق بالحساب الزمني كالبروج والمنازل منازل القمر والفصول وما يصلح فيها من انواع الزراعات ونحوها هذا من فروض الكفايات ومن العلوم التي يحتاجها الناس لكنه ليس تطلع على الغيب ولا ادراك له وقد ذكر اهل العلم ان معرفة الاشتغال بدراسة بسبب الكسوف ليس من المهمات العينية لكنه قد يكون من المهمات الكفائية فقط

(2)

هل يجوز اخذ الاجرة على الأذان والتعليم الشرعي والامامة؟

الجواب:

ان هذه المسألة محل اختلاف بين اهل العلم فقد ذهب الشافعي رحمه الله الى حرمة الارتزاق على اعمال القرب كل قربقة لله قال لا يجوز الارتزاق عليها اي اخذ الاجرة عليها

وذهب الجمهورالى اباحة الارتزاق اذا كان من مال عام كبيت المال واذا كان من مال خاص فإن تعينت على الانسان لم يكن بالمكان من يتقنها الا هو لم يجز له اخذ الاجرة عليها ولن لم تتعين عليه جاز له والامامة اذا كانت من غير خطابة ولا تدريس ولا اذان فقد كره كثير من اهل العلم اخذ الاجرة عليها اما اذا كان معها الخطابة او التدريس او الاذان فلا كراهة في ذلك وبعض اهل العلم يرى كراهة اخذ الاجرة على الا الاذان لقول النبي صلى الله عليه وسلم لمالك بن الحويرث واصحابه:

(واتخذوا مؤذنآ لا يأخذ على ذلك أجرآ) لكنّ هذا الحديث لا يدل على كراهة اخذ الاجرة الاذان بل بينا ان ذلك افضل لمن يستطيعه وقد حصلت في هذه المسألة نكتتة عجيبة لاحد القضاة من الشافعية

أتاه معلم صبيان حنفي يشهد في واقعة فردّ القاضي شهادته فقال له المعلم لم ترد شهادتي ايها القاضي قال لانك تأخذ أجرآ على كتاب الله قال وانت ايها القاضي تأخذ أجرآ على كتاب الله قال انا مكره قال اكرهوك على القضاء فهل اكرهوك على اخذ الدراهم؟ قال هاتِ شهادتك قبل شهادته

3.

هذا سؤال ماحكم التحدث باللغة الاعجمية بدون حاجة؟

الجواب :

أن ذلك اذا كان في المسجد فقد كرهه عمر ابن الخطاب وعدد من اهل العلم بعده فقالوا يكره التحدث في المساجد باللغة الاعجمية الا لحاجة فسمع عمر رجلان يتكلمان بالفارسية في الحرم فقال ابغيا الى العربية سبيلا امرهما ان يتعلما العربية وقد اجاز ابو حنيفة رحمه الله الدعاء في الصلاة باللغة الاعجمية حتى للقادر على العربية واجاز الخطبة خطبة الجمعة والعيد وغير ذلك بالعجمية حتى مع القدرة على العربية واجاز التشهد بالعجمية حتى مع القدرة على العربية ومذهب الجمهور ان ذلك انما هو في حق العاجز من لا يستطيع العربية يدعوا بالاعجمية ويخطب بها ومن يستطيع العربية لا يتركها الى غيرها لكن ان كان جميع السامعين من غير الناطقين بالعربية فليبدأ الانسان خطبته بخطبة عربية بما تسميه العرب خطبة يكملها بالاعجمية بما يفهون

4.

هل حفظ المتون مهم وهل الفهم يغني عن الحفظ أم لا ؟

الجواب:

ان حفظ المتون مهم جدآ وهو قيد العلم وقديمآ قال الحكماء :

ليس بعلم ما حوى القمطرُ .. ما العلم الا ما حواه الصدرُ

قال الشافعي رحمه الله:

علمي معي حيثما يممت يتبعني

قلبي وعاءٌ له لا جوف صندوقِ

إن كنت في البيت كان العلم فيه معي

او كنت في السوق كان العلم في السوق

وقال ابن حزمٍ رحمه الله :

فإن يحرقوا القرطاس لا يحرقوا الذي ..تضمنه القرطاس بل هو في صدرِ

يسر معي حيث استقلت ركائبي .. ويمكث ان امكث ويدفن في قبري

وقد ارشد تعالى الى حفظ كتابه وامر به وكذلك حظ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو كان الفهم كافيآ لكفى مع حفظ القرآن فلا بد من الحفظ والفهم ايضآ ولا بد ان يجمعهما الانسان ولا تعارض بينهما فكل في مجاله

اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

الشريط الثاني

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله واصحابه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته الى يوم الدين أما بعد :

قال الشيخ حفظه الله :

وَهْـــوَ تَعَـــالَىَ أَحَـــدٌ فَـــردٌ صَـــمَدْ أَلْحَـــدَ مَـــن قَـــالَ : بِخَلقِـــهِ اتَّحَـــدْ

بدأ هنا في عدِّ بعض الصفات لله سبحانه وتعالى فقال : (**وَهْوَ تَعَالَىَ أَحَدٌ**) **وهذه صفة الاحدية التي اثبتها الله لنفسه بقوله : { قل هو الله احد } وهي أول مقتضىً من مقتضيات شهادة ان لا اله الا الله ويؤكدها مابعدها من الصفات** كقول : (فَرْدٌ)[2] فذلك فيه نفيٌ للتعدد ونفي للصاحبة والولد وكذلك

2 [بالنسبة للفظ (الفرد) فقد جاء في أحاديث ولم يرد في القرآن، وأما (الصمد) فإن صفة الصمدية مثبتة له، وهي الغنى المطلق عن خلقه، والغنى المطلق معناه: الاستغناء عن المحل والمخصص جميعاً. والأشياء فيما يتعلق بالحاجة والغنى عن المحل والمخصص أربعة أقسام: النوع الأول: ما يحتاج إلى المحل والمخصص معاً: وهو صفات المخلوقين، فهي محتاجة إلى المحل الذي تقوم به؛ لأنها صفة والصفة لا تقوم بنفسها بل تحتاج إلى محل تكون فيه، وذلك مثل البياض والسواد، والطول والقصر، فهذه لا بد لها من ذات تقوم بها، وتحتاج إلى المخصص. والمخصص المقصود به الخالق الذي يميز هذا المخلوق بست من اثنتي عشرة، وهي المسميات من الممكنات المتقابلات. والممكنات المتقابلات هي: إما الوجود وإما العدم وهما متقابلان فيخصصه بواحدة منهما. والصفات مثلاً البياض والسواد، صفتان متقابلتان يخصصه بواحدة منهما. والأمكنة: هذا المكان والمكان الآخر كل ذلك ممكن فيخصصه الله تعالى بواحد

صمدٌ أي غنيٌّ عن كل ماسواه فلا يحتاج الى شيء من خلقه وهذا ما اثبته لنفسه بقوله : { الله الصمد }

(ألحد من قال بخلقه اتحد) الحد أي كفر ومال عن الطريق والالحاد في الاصل الهروب والملتحد المكان الذي يهرب اليه الناس ويختفون فيه فلما كان الالحاد الميل عن الطريق السوِيّ المستقيم سمي بهذا الاسم

(ألحد[3] من قال بخلقه اتحد) هذا ردٌّ على القائلين بالاتحاد وهذا القول في الاصل للنصارى ثم وقع فيه بعض الغلاة من الطوائف المنحرفة من المسلمين،فالنصارى يزعمون ان الالوهية معنى وانها تحل بالاجساد فيقولون: " اتحد اللاهوت بالناسوت "[4] ويزعمون ان سبحانه وتعالى اتحد بخلقه تعالى الله عما يقولون

منهما. والأزمنة: اليوم وأمس وغداً، هذه أزمنة متقابلة يخصصه بما شاء منها. والجهات: الشرق والغرب، والجنوب والشمال، والفوق والتحت ونحو ذلك، هذه جهات متقابلة يخصصه بما شاء منها. المقادير: الضخامة والصغر، الكبر والصغر، وكذلك الزيادة والنقص، وغيرها من المقادير، وهي متقابلة وكلها ممكنة، فالشيء قبل وجوده يمكن في حقه ست من اثنتي عشرة، وهي الممكنات المتقابلات التي ذكرناها، وقد نظمها أحد العلماء بقوله: الممكنات المتقابلات وجودٌ العدمُ والصفات أمكنة أزمنة جهات ثم المقادير روى الثقات هذه الاثنتا عشرة كلها ممكنة عقلاً، كل اثنتين منها ممكن عقلاً أن يتصف بإحداهما، فمثلاً هذا ولد يولد لرجل فيمكن في حقه هذه الاحتمالات كلها: الوجود والعدم، والطول والقصر، والبياض والسواد، الوجود في هذا المكان وفي مكان آخر، في الليل أو في النهار، هذه كلها ممكنة، والذي يخصصه ببعضها هو المخصص، وهو الخالق، والشيء قبل أن يكون كان بالإمكان أن يكون وألا يكون، فلما كان دل ذلك على رجحانه، ولا ترجيح بدون مرجح، فالمرجح هو المخصص. ومن هنا فإن صفات المخلوق محتاجة إلى المحل ومحتاجة إلى المخصص، فمثلاً: الفهم، هذا صفة من صفات المخلوق، لا يمكن أن يقوم بنفسه، أي: لا يمكن أن تجد فهماً يمشي في الشارع ليس له ذات يدخل فيها، ويحتاج أيضاً إلى مخصص؛ لأنه بالإمكان أن يكون كبيراً وأن يكون قليلاً وكذلك يمكن وجوده وعدمه إلى آخر الصفات، فإذا وجد وكان بقدر معين فهذا دليل على أن المخصص أراد له ذلك وخصصه به. النوع الثاني: ما يحتاج إلى المخصص لكنه غني عن المحل: وهو ذات المخلوق: ذات المخلوق لا تحتاج إلى ذات أخرى تقوم بها، لكنها محتاجة إلى المخصص الذي يخلقها، ويميزها بالصفات التي تحتاج إليها، فهذا هو الفرق بين ذات المخلوق وصفات المخلوق، فصفات المخلوق تحتاج إلى الأمرين معاً (المحل والمخصص)، وذات المخلوق تحتاج إلى المخصص لكن لا تحتاج إلى المحل. النوع الثالث: ما هو غني عن المحل وعن المخصص معاً: وهو ذات الله سبحانه وتعالى: فإنه غني عن المحل وعن المخصص معاً، لا يحتاج إلى المحل لأن له ذاتاً، ولا يحتاج إلى المخصص لأنه قديم. النوع الرابع: صفات الله سبحانه وتعالى، فهذه غنية عن المخصص؛ لأنها قديمة، لكن هي قائمة بالمحل، ولا يقال محتاجة إلى المحل؛ لكن يقال: قائمة بالمحل؛ لأنها لا تفارق ذاته تعالى. فإذاً الأشياء كلها أربعة أقسام: ما يحتاج إلى المحل والمخصص معاً، وما يستغني عن المحل والمخصص معاً، وما يحتاج إلى المحل فقط، وما يحتاج إلى المخصص فقط، فإذاً هذه أربعة أقسام، قد نظمها الشيخ محمد بن فال المتالي رحمه الله بقوله:

الأشياء أربع فمنها غني.. عن المحل والمخصص الغني

وضده وهو صفات الخلق ..وقام بالمحل وصف الحق

وما إلى المخصص احتاج فقط.. فهو بذات حادث قد ارتبط

والصفة الثالثة: هي قوله: لَمْ يَلِدْ [الإخلاص:3] فإنها تقتضي البقاء؛ لأن المخلوق الذي يفنى فهو غير باق وهو الذي يحتاج إلى ولد يكون استمراراً له، والله سبحانه وتعالى لا يحتاج إلى ولد؛ لأنه باق, فوجوده لا يلحقه العدم، فإذاً هذا أثبت له صفة البقاء، والبقاء معناه: نفي العدم اللاحق للوجود. والصفة الرابعة قوله: وَلَمْ يُولَدْ [الإخلاص:3] وهي إثبات لصفة الأولية التي سبقت، ومعناها نفي العدم السابق للوجود. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ [الإخلاص:4] هذه الصفة الخامسة وهي المخالفة للحوادث، أي: المخالفة لخلقه. فإذاً هذه خمس صفات تسمى بالسلبية؛ لأن كل واحدة منها تفسر بالعدم. الوحدانية: هي عدم التعدد، والغنى المطلق: هو عدم الاحتياج إلى المحل وإلى المخصص، والقدم: هو عدم الحدوث، والبقاء: هو عدم الفناء، والمخالفة للحوادث: وهي عدم المشابهة للحوادث، فهذه تسمى الصفات السلبية؛ لأن تفسيرها نفي فكلها يبدأ تفسيرها بعدم كذا، وهي التي ذكرها هنا في قوله: (وهو تعالى أحد فرد صمد) .

[3] ومعنى الاتحاد: التقاء ذات الخالق بذات المخلوق حتى تتشكل منهما ذات واحدة، وهذا مستحيل في كل شيء، حتى المخلوق لا يمكن أن يتحد بالمخلوق فضلاً عن الخالق، فهذا الماء إذا خالطه سكر وذاب فيه فلا يمكن أن يقال اتحد الماء والسكر؛ لأن خاصة الماء بعد ذوبان السكر فيه غير خاصته قبله وغير خاصة السكر، وهذه القاعدة قاعدة فقهية أصولية وهي: (الشيء مع غيره غيره، لا هو مع غيره) فكل شيء إذا كان مع غيره فهو مادة غيرهما لا

هو مع غيره. والاتحاد بالنسبة لذات الخالق بذوات المخلوقين أشد بعداًّ، فالصفات متباينة تماماً، والمشابهة منتفية، والمخلوق محصور والخالق غير محصور، والمخلوق سبقه العدم وسيلحقه العدم، والخالق لم يسبقه عدم ولا يلحقه عدم فكيف يقع الإتحاد؟! فمن أبلغ المستحيلات الاتحاد

[4] واللاهوت: يقصدون به خصائص الألوهية، والناسوت: يقصدون به خصائص الإنسانية، وهذا في الأصل قال به النصارى حين زعموا أن الله واحد وهو في نفس الوقت ثلاثة، وهم يربون أولادهم على هذا، يقولون: هو واحد وهو في نفس الوقت ثلاثة، وعقولهم تتشرب هذا؛ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، يقولون: الثلاثة اتحدت فحصل منها واحد. وقال بهذا بعض الطوائف المنحرفة من الشيعة والصوفية، فبعض طوائف الشيعة المنحرفة وهم الذين يسمون بالحشاشين، وينتسبون إلى إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر ، ولذلك ينسبون إليه ويقال فيهم الإسماعيلية، ويسمون أيضاً بالقرامطة نسبةً إلى رجل اسمه : حمدان بن قرمط ، ونشأ منهم طوائف منها النصيرية، ومنها الدروز، فكلهم في الأصل من الحشاشين الإسماعيلية القرامطة، ومعنى الحشاشين: أنهم كانوا يسكنون في الحشوش ويغتالون الناس، ويسطون على أموالهم في الليل، ويقطعون الطرق في الشام فهؤلاء يسمون الحشاشين، وقبل ذلك تمركزوا في القرن السادس والسابع في بعض المناطق في الشام وبالأخص في لبنان، وحصلت بينهم وبين أهل السنة حروب حين قطعوا الطرق وأهانوا الناس وأذلوهم، وساعدوا التتار لما أتوا إلى الشام، وكان ممن قاتلهم شيخ الإسلام ابن تيمية فقاتلهم بنفسه وشارك في قتالهم، وهؤلاء يزعمون أن الله سبحانه وتعالى اتحد بأئمتهم، تعالى عما يقولون علواً كبيراً. ومثلهم بعض غلاة أهل

علوّاً كبيراً ،

والذين قالوا بهذا من ضلّال المنتسبين الى الاسلام لهم فيه ثلاثة مذاهب :

المذهب الاول : هو الذي يسمى بمذهب الاتحاد

والمذهب الثاني : مذهب الحلول

التصوف الذين يزعمون أن الله سبحانه وتعالى مكن لبعضهم تمكيناً مطلقاً حتى اتحد العابد والمعبود، ويظنون أنه يصل إلى ذلك بمستوىً من العبادة فترتفع عنه التكاليف به، ويسمون هذا المقام: مقام وحدة الوحدة. وعندهم مقامات مختلفة: مقام الوحدة فقط، ومقام الجمع، ومقام الفرق، ومقام جمع الجمع، ومقام فرق الفرق، وكل هذه اصطلاحات لهم، بعضها مسلم صحيح مثل ما تقرءونه في كتاب مدارج السالكين لـ ابن القيم يشرحها شرحاً صحيحاً في مقام الجمع، ومقام الفرق، ومقام جمع الجمع إلى آخره، لكن بعضها يرجع إلى الاتحاد

وترتب على نظرية الاتحاد هذه نظرية أخرى أخطر منها، وهي نظرية وحدة الوجود التي يقول بها ابن عربي الحاتمي، فهو لما عرف أن الاتحاد بين أبدان المخلوقين مستحيل فكيف بالاتحاد بين ذات الله وذوات الخلق، صرف الأمر فأتى بنظرية فلسفية وهي أنه قال: إنّ (لا إله إلا الله) معناها: لا موجود إلا الله، فليس في الوجود شيء إلا الله، لكنك لا تعرف هذا إلا إذا وصلت إلى مقام الذوق فعرفته معرفةً حقة، فقبل أن تعرفه يمكن أن تزعم أن في الكون شيئاً سواه، وحينئذٍ يختلف عليك العابد عن المعبود، لكن إذا عرفته ووصلت إليه لم يكن هناك عابد ولا معبود، حيث إن فرعون أعلم بالله من موسى، يقول: فإن فرعون قال: أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى [النازعات:24] ؛ لأنه بلغ مقام وحدة الوجود، وموسى لم يبلغ هذا المقام، ولذلك يقول أبياته المشهورة:

بذكر الله تزداد الذنوب ..وتنطمس البصائر والقلوب

إلى آخر ما قاله ، وهو بهذا يزعم أن كلام المخلوقين كله من كلام الله كما قال: وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه وأراد بهذا تطوير نظرية الاتحاد التي قال بها قبله الحلاج وقتل بسببها بعد أن حاكمه المسلمون، لكنه وجد طوائف تدافع عنه، ووجد من يعتقد أقواله، وألف عدداً من الكتب منها: الفصوص، ومنها: الفتوحات المكية.. وغيرها، واليوم يتبنى أفكاره عدد من الناس وينشرون كتبه من مطابع في الشام، ومكتبات تنشر كتبه الآن وتتبنى أفكاره، وقد ألف البقاعي رداً عليه، ومن أحسن الردود رد يسمى: (تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي) وقد طبع اليوم مع كتاب آخر للبقاعي بعنوان: مصرع التصوف، وهو عنوان أحدثه الطابع فقط وليس هو اسم الكتاب.

نظرية وحدة الشهود التي جاء بها الغزالي

ثم جاء الغزالي بعد هذا فطور النظرية، فأتى بنظرية وحدة الشهود، فقال: الواقع أن المخلوق لا يمكن أن يتصل بالخالق بوجه من الوجوه، لكن يصل المخلوق من تطهير نفسه وتزكيتها وصقل بصيرته إلى أن يكون بحيث لا يشاهد غير الله سبحانه وتعالى، وتكون المخلوقات عنده وإن كانت موجودةً إلا أنها في قيمة المعدوم، فلا يخاف شيئاً، ولا يرجو شيئاً، ولا يحس بشيء غير الله سبحانه وتعالى. وهذه بعضها يصل إلى درجة التكفير، وبعضها ليس كذلك، فهي نظرية عموماً فيها المقبول والمردود، ما كان منها مقبولاً هو: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وهو مقام المراقبة، وما كان منها مردوداً فهو ما زاد على هذا من الغلو الذي أضافه من وحدة الشهود، وهي أيضاً من المزالق الصعبة، ولذلك أخذ بها بعض الذين اقتدوا بـ الغزالي من بعده، ومنهم: الهروي الحنبلي مؤلف كتاب منازل السائرين، وقد دافع عنه ابن القيم وأراد أن يلتمس له العذر في كتابه مدارج السالكين، وكذلك تأثر به الشيخ عبد القادر الجيلاني ودافع عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في بعض المواقف، وإن كان بعض كلامه لا يحتمل الدفاع، لكن شيخ الإسلام يقول عنه: إنه قاله في الشطح بزوال العقل فهو مرفوع عنه التكليف في ذلك الوقت، وهذا مثل قوله: (قدمي هذه على رقبة كل ولي لله تعالى في السماء أو في الأرض..) ونحو هذا من الكلام، وهو الذي يقول: زيارة أرباب التقى مَرْهمٌ يُبري ومفتاح أبواب الهداية والخير وتحدث في القلب الخلي إرادةً وتشرح صدراً ضاق من شدة الوزر وتنصر مظلوماً وترفع خاملاً وتكسب معدوماً وتجبر ذا كسر إلى أن يقول: ولا فرق في أحكامها بين سالك ورب ومخدوم وحي وذي قبر وذي الزهد والعباد والكل منعم عليهم ولكن ليست الشمس كالبدر فزر وتأدب بعد تصحيح نية تأدب مملوك مع المالك الحر البيت الأخير فيه مبالغة واضحة. ونظير هذا ما حصل لعدد من المنتسبين إليه في مختلف الفترات، فكلهم يدخل في مقام وحدة الشهود هذه، فيتكلمون بكلام من باب الشطح، مثل ما حصل لـ زروق مما يروى عنه أنه قال: أنا لمريدي جامع لشتاته إذا ما سطا طور الزمان بنكبة فكم كربة تجلى إذا ذكر اسمنا وكم طرفة تجنى بأثمار صحبتي فإن كنت في هم وضيق وكربة فناد أيا زروق هات بسرعة ومثل هذا حصل لعدد من الناس حتى لوالد أبي بكر ابن العربي رحمه الله في قصة ذهابه إلى الغزالي ، لكن كل هذه الأقوال إنما تصدر ممن كان منهم صالحاً في وقت غيبوبة عقله، ومن كان منهم فاسداً مثل عدد منهم يقع منه هذا لفساد عقيدته وفساد حقيقة أمره، فمن كان منهم صالحاً التمس له من عرفه العذر، مثل عبد القادر الجيلاني ، ومثل زروق ، ومثل ذي النون المصري وغيره، ومن كان معروفاً بعدم الالتزام والصلاح لا يلتمس له العذر في مثل هذا، ومع هذا فإنه لا يلتمس العذر لأتباعهم الذين وافقوهم على هذا مطلقاً؛ لأن أتباعهم ليسوا مثلهم فيما يتعلق بالشطح الذي قالوه في هذا الكلام، ومن هنا فكان كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على الإخنائي ورسالته للبكري ، وكذلك وصيته الكبرى التي يرد بها على أتباع عدي بن مسافر ، كلها من هذا القبيل، يقول: إن هؤلاء المشايخ عرفوا بالصلاح والورع، وحصلت منهم أقوال غير مرضية، وكل أحد يؤخذ من قوله ويرد، فلا تتبعوهم في تلك الأقوال التي أخطئوا فيها.

منقول من شرح الشيخ على المنظومة "الشرح الثاني لها بعنوان : الدعاة والتوسل والاستغاثة "وهي شرح مفرغ ايضاً وسأنقل منها لتمام الفائدة .

والمذهب الثالث : مذهب وحدة الوجود

أما مذهب الاتحاد فهو الزعم ان الاله اتحد بغيره من مخلوفاته تعالى الله عن ذلك

وأما مذهب الحلول فهو الزعم انه مجرد معنىً يحل في الاجساد فيزعمون انه هو التصرف فمن حل فيه يزعمون انه حلت فيه الالوهية تعالى الله عن ذلك علوّآ كبيرآ

والمذهب الثالث هو الذ اشتهر بمذهب وحدة الوجود وهو الزعم ان الانسان يمكن ان يصل برياضاته الى حيث لا يحس بشيءٍ من الموجودات الا الله سبحانه وتعالى والقائلين به يزعمون ان معنى لا اله الا الله لا موجود الا الله فيرون انه ليس في هذا الكون موجود الا الله وحده وهذا غاية في الضلال والانحراف لانه لو كان كذلك فلا معنى للتكليف ولا للرسالة ولا لبعث الرسل اصلآ فكل هذا من الغلو الذي لم يأذن الله به والانحراف عن طريق الحق ولهذا قال : (ألحد من قال بخلقه اتحد)[5]

لَيسَـــــتْ لَـــــهُ صَـــــاحِبَةٌ وَلا وَلَـــــدْ أوْ وَالِـــــدٌ لَـــــيسَ لَـــــهُ كُفُـــــواً أَحَـــــدْ

ما يتعلق بالصفات جاءت النصوص فيه على قسمين :

نصوص في الايجاب ، ونصوص في السَلْب

فالنصوص بالايجاب جاءت مفصلة أي جاء الاثبات بالتفصيل في كثير من المواضع من الكتاب والسنة واما نصوص السلب وهي النفي فقد جاءت مجملة في اغلبها ولم يأتِ منها تفصيلآ الا ما يتعلق بالصاحبة والولد ونحو ذلك فالسلوب كلها مجملاتٌ والاثباتات اغلبها تفصيلاتٌ ولهذا قال

(لَيسَـــــتْ لَـــــهُ صَـــــاحِبَةٌ وَلا وَلَـــــدْ)

وذلك لتمام غناه ولذلك قال : { لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوآ احد} ولم يكن له كفوآ احد هذا نفي للصاحبة[6] لانه ليس له كفؤٌ حتى تكون له صاحبة). كما قال تعالى { انى يكون له ولدٌ ولم تكن له صاحبة }

---

[5] (ألحد من قال بخلقه اتحد): جعل هذا من باب الإلحاد، والإلحاد في الأصل التكذيب، ويقال: الإلحاد في آيات الله، والإلحاد في أسماء الله، والإلحاد في صفات الله، فكل ذلك يسمى إلحاداً. فالإلحاد في آيات الله معناه: ضرب بعض القرآن ببعض أو الأخذ بمتشابهه، والإلحاد في أسماء الله معناه: إقرار الاسم وإنكار مدلوله كما هو حال المعتزلة، فالمعتزلة يثبتون أسماء الله وينفون الصفات ويرون أنها أسماء لا تدل على مسمىً ولا تدل على صفات أصلاً. والإلحاد في صفات الله معناه: إنكارها وتعطيلها، فكل هذا يدخل في الإلحاد. والإلحاد هو أعم من هذا، فمنه الإلحاد المطلق، ومعناه: إنكار وجود الله سبحانه وتعالى، وإنكار بعثة الرسل ونحو ذلك، فهذا أعظم الإلحاد، وأما الإلحاد بتحريف الأسماء ونقص بعضها كما يحصل لبعض ناقصي العقل حيث يحذفون بعض الحروف من بعض أسماء الله كما قال أحد العلماء: نفوا من اسم الله لفظ الهاء فألحدوا في أعظم الأسماء بعض الناس يقول: الل، عبد الل وهكذا يحذفون الهاء من اسم الله، فرأى العلماء أن هذا من الإلحاد في اسم الله؛ لأنهم حذفوا بعض حروفه. فالذين يلحدون في أسمائه توعدهم الله تعالى في كتابه.

[6] والصاحبة: تطلق على القرينة فهي مؤنثة الصاحب بمعنى المصاحب، والمقصود بذلك: ما يخيل إلى بني آدم من أن حاجة الكائن أياً كان تقتضي وجود قرين له من جنسه. ومن هنا نتذكر بعض الفوائد العقلية التي ذكرناها سابقاً والتي تفيد العقل من الإيمان، وقد ذكرنا أن الإيمان لمصلحة العقل، ومن فوائده: أنه ينفي الخرافات عن العقل؛ لأن الخرافات هي متاهات العقول، فلو لم ترد هذه النصوص من الوحي لبقيت عقائد الناس مثل ما كانت عقائد الإغريق اليونانيين، عندهم الآلهة ذكور وإناث، وهناك عندهم بعض الآلهة ابن زناً من الإله، أي: إله زنى بإلهة فأنجبت له ابناً من زناً وأصبح إلهاً لديهم!! وهكذا من خرافات عقلية لا نهاية لها، ولذلك هذا الإله (أولمبيك) يسمونه إله الرياضة، وهو ابن زنا عندهم، زنت إلهة بإله آخر فأنجبت منه هذا الولد فسميت عليه الرياضة، وإلى الآن تسمعون بالملاعب الأولمبية ونحو ذلك وكله من أولمبيك. فعلى هذا فإن هذه النصوص هي التي حررت العقول من هذه الأوهام وهذه الخيالات التي منشؤها التشبيه بما يعهده العقل؛ ولذلك فإن نصوص التنزيل في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كثيرة جداً،

ليست له صاحبة ولا ولد .. أو والدٌ

فالولد انما يحتاج اليه من يفنى ويبيد والله سبحانه وتعالى هو الباقي الوارث والوالد انا يحتاج اليه من سبق وجوده العدم والله سبحانه وتعالى هو الاول الذي ليس لاوليته ابتداء ولذلك ليس له والد ولا ولد (ليس له كفؤً أحد) ولم يعطفها[7]

وَلَــيسَ مِثلَــهُ – عــلاَ – شَــيءٌ وَلاَ   يُلْـــزِمُ ذَا نَفْــيَ صِــفَاتِهِ العُلَـــى

(وَلَيسَ مِثلَهُ – علاَ – شَيءٌ) هذا من السُلوب المجملة وقد جاء فيه عدد من النصوص كقول الله تعالى :

{ ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير } فقد نفى الله سبحانه وتعالى المماثلة عنه فلا يماثله شيءٌ من خلقه ولا يماثله شيئآ من خلقه { ليس كمثله شيء }[8]

وهي التي تقتضي سد القلب بالكلية عن هذه الأوهام والتخيلات التي هي متاهات تضيع فيها العقول. وكان العرب في الجاهلية يذهبون إلى أن الملائكة بنات الله، والتصور العقلي يقتضي أن البنات لا يمكن أن يوجدن إلا بعد أن توجد أم، والله سبحانه وتعالى فند هذه الفكرة تفنيداً قاطعاً في كثير من الآيات، ومن أبلغ ذلك ما كان فيه خطاب للعقل والعاطفة معاً، فقد جاء الخطاب في ذلك للعقل فقط في مثل قوله: لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ [الإخلاص:3]، وجاء الخطاب فيه للعقل والعاطفة معاً في مثل قوله: وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ * أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ * وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ [الزخرف:17-18] وفي القراءة السبعية الأخرى: (وجعلوا الملائكة الذين هم عند الرحمن إناثاً أأُشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون

[7] يمكن أن تقول: لماذا لم يقل: (وليس لَهُ كُفُواً أَحَدٌ)؟ والجواب: أن معنى أنه (ليس لَهُ كُفُواً أحد): أنه لا صاحبة له ولا ولد ولا والد؛ لأن الكفء هو النظير، يقال: الكفو بالواو، والكفء بالهمزة، والكفؤ بضمتين، وهذه كلها مقروءة، فقراءة نافع و ابن كثير و ابن عامر (كفؤاً) بالهمزة، وقراءة الكوفيين: (كفواً) بالواو لكن شعبة يقرؤها (كفْواً) بإسكان الفاء بالإسكان وغيره يقرؤها بالضم. والمقصود بهذا أمران: أحدهما: نفي التشبيه مطلقاً؛ لأن الكفاءة مقتضية لقدر من الاشتراك في الشبه، فالبشر من جهة التمثيل أكفاء، لا أحد منهم يزيد على آخر بعضو مثلاً، بل هم صورة واحدة؛ ولهذا قال الشافعي رحمه الله: الناس من جهة التمثيل أكفاء أبوهم آدم والأم حواء والثاني: وهو المقصود الأساس من نفي الكفء: أنه لا يمكن أن يكافئه ولا أن يناظره أحد حتى يتزاوج معه، أو حتى يحصل بينهما اتحاد، أو حتى يحصل بينهما الاشتراك في أي شيء، فلذلك لا يمكن أن يحصل أي شرك به من أي وجه من الوجوه، فهذا ينفي الصاحبة، والولد، وينفي الوالد، وينفي كذلك المشابهة مطلقاً بأي شيء من مخلوقاته، وينفي كذلك استعانته بأي مخلوق من خلقه، وينفي الحاجة إلى أي مخلوق؛ لأن الخلق كلهم محتاجون إلى الخالق، ويحتاج بعضهم إلى بعض، والخالق غني لا يحتاج إلى شيءٍ من خلقه، فلم يستفد منهم أية صفة، أي: لم يستفد منهم صفة الخلق بعد أن خلقهم، ولا صفة الرزق بعد أن رزقهم، فقد كان خالقاً ولا مخلوق، وكان رازقاً ولا مرزوق، وهو على ما عليه كان، لا تحله الحوادث والآفات، و لا تأخذه سنة ولا نوم، هو الحي القيوم كما كان. وهذه الصفات المذكورة في هذا البيت فيها نفي الصاحبة، ونفي الولد، ونفي الوالد، ونفي الكفو، ونفي الكفو متضمن لنفي الصاحبة، وقد جاء الثلاثة في سورة الإخلاص: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ [الإخلاص:1-4] وهذا شامل لنفي الصاحبة، فقصد بذلك على أن يكون تفسير: (لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ) أنه ليست له صاحبة ولا ولد أو والد، و(أو) هنا بمعنى الواو، فقوله: (ولا ولد أو والد) معناه: ولا والده.

[8] ذكرنا التشابه الجسمي، وقد نفي بقوله: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ [الشورى:11] والثاني: المداناة في المكانة حتى يمكن أن يحصل التزاوج أو نحو ذلك. والنفي الإجمالي يأتي على حسب أوهام العقول؛ ولذلك فإن التفصيل البليغ في سورة الطور عجيب جداً، ألا تلاحظون أن أول ما يخيل إلى من سمع رسولاً يقرأ كتاباً ويقول: أنا أرسلت من رب العالمين، أن يتخيل أن هذا الكلام الذي يقرؤه إنما هو شعر، أو سحر، أو كهانة على عادة الناس، هذا أول ما يبدأ في العقل، فرد الله هذه الفكرة بقوله: أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ * قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنْ الْمُتَرَبِّصِينَ [الطور:30-31] أي: فالشعراء يموتون وتنتهي أشعارهم معهم وليست لهم أذكار مستمرة. بعد هذا يفكرون بهذا الوحي الذي أتاهم فيقولون: هذا الكلام إذا فهمنا أنه ليس مثل كلام البشر، لكن من أين أتى؟ هل هو كلام لا يلفت الانتباه ولا يمكن أن ينتبه له أحد، أو هو كلام أعظم من هذا؟ فلذلك رد الله هذه الفكرة بقوله: أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ * أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ [الطور:32-34] أي: إذا كان هو تقوله من عند نفسه وادعاه، فليس بأبلغ من أن يقول لهم بعدها: (فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ). وهنا عرفنا أن هذا ليس كلاماً من كلام البشر وأنه وحي منزل، لكن من أين أتى؟ هنا يأتي التفكير فيمن أنزله. فالتفكير فيمن أنزله بدايته التفكير في الخالق، والناس لم يشاهدوا خلق آدم، ولم يشاهدوا خلق السماوات والأرض وإنما رأوا الناس يتكاثرون، وراو المطر ينزل فتنبت الأرض شجراً وييبس وينبت من جديد وهكذا؛ فلذلك يمكن أن يتخيل العقل في هذه اللحظة إنكار الألوهية أصلاً فرد هذه الفكرة بقوله: أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لا يُوقِنُونَ [الطور:35-36]. هذه ثلاثة أفكار متسلسلة، بدايتها: (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ) فنحن قطعاً خلقنا ونحن موجودون ولم نكن ثم كنا، فمن خلقنا؟! هل يمكن أن يكون الإنسان غير موجود ثم يوجد من غير تأثير أي شيء آخر؟ هذا مستحيل؛ لأن من مبادئ العقل أن وجود أثر بلا مؤثر مستحيل، وترجيح بلا مرجح مستحيل. (أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ) هل خلقوا أنفسهم؟ هذا مستحيل أيضاً لا يقبله عقل، ولا يمكن أن يدعيه وهم، وإذا ادعى بعض الناس أن غلاماً خلقه أبوه، وأن ذلك خلقه أبوه وهكذا بالتسلسل، لكن من خلق هذه السماء وهذه الأرض، وما نراه من الخلق العظيم الذي لا يمكن أن يكون للإنسان فيه تأثير: (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لا يُوقِنُونَ). وبعد أن تثبت الألوهية لله الذي أنزل هذا الكتاب يأتي توهم آخر في العقل، فيقول: لكن لماذا خص هذا الإنسان بهذا الوحي من بين الناس؟ لماذا لم ينزل هذا على كل الناس أو يختار له منهم من هو أشرف في نظرهم منه؟ قال: أَمْ

(وَلَيسَ مِثلَهُ – علاَ – شَيءٌ)

علا دناءٌ على الله أي تعالى علا شأنه وارتفع ليس مثله شيءٌ

(ولا يُلْزِمُ ذَا نَفْيَ صِفَاتِهِ العُلَى) نفي المماثلة لا يُلزم نفي الصفات أي لا يلزم منه نفي الصفات فإذا قلنا انه لا يماثله شيء ليس مثله شيء ليس معنى ذلك اننا ننفي صفاته او ان ذلك يترتب عليه نفي صفاته بل هذه الاية جمعت اثبات الصفات ونفي المماثلة فقط قال الله : { ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير } فأولها ردٌّ على المشبهة وآخرها ردٌّ على المعطلة وقوله : { ليس كمثله شيءٌ }ردٌّ على المشبهة وقوله { وهو السميع البصير } ردٌّ على المعطلة ولذلك قال :

(ولا يلزم ذا نفي صفاته العلى) فلا يلزم من نفي التشبيه والتمثيل نفي صفات الله سبحانه وتعالى وان اشتركت في الاسم مع بعض صفات المخلوقين فلا ذلك مشابهة ولا مماثلة كما ان في الدنيا ماءآ ولبنآ وخمرآ وفي الجنة ايضآ ماء ولبن وخمر وبينهما تمام المباعدة وليس مما في الدنيا يشبه شيئآ مما في الجنة فمن باب اولى مااشترك مع صفات الله بالاسم وصفات المخلوقين

فَهْــوَ السَّــمِيعُ وَالبَصِــيرُ المتَّصِــفْ   بِمَــا بِــهِ فِي نَــوْعَي الْــوَحْيِ وُصِــفْ

(فَهْوَ السَّمِيعُ وَالبَصِيرُ)

فهذا تقرير لقوله :

(ولا **يُلْزِمُ ذَا نَفْيَ صِفَاتِهِ العُلَى**) فهو السميع والبصير فقد وصف نفسه بذلك { ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير } والسميع فعيل من السمع معناه المتصف بصفة السمع وهي دلالة على المبالغة لان فعيل تدل على المبالغة ومثلها البصير فعيل للدلالة على المبالغة من البصر وقد ذكر ذلك بصيغة المبالغة بقوله : { أبصر به وأسمع } مبالغة في اثبات السمع والبصر[9] له سبحانه وتعالى

عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ [الطور:37] فلا يمكن أن يتحكموا في عطاء الله واختياره، وليس لهم ذلك. وهنا يمكن أن يحصل في الوهم في خيال الإنسان أن الرسالة مكتسبه، وأنه إنما اكتسب ذلك بعمل تقرب به إلى الله حتى ينيله هذه المنزلة والرتبة، فيرد الله على هذا فيقول: أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ [الطور:38] لو كانت القضية باكتساب وحيلة فإن لكم عقولاً ولكم حيلاً، فلماذا لم تكتسبوها ولم تحصلوا عليها؟! وبعد هذا نصل إلى الكلام على الواسطة التي تنزل هذا الوحي من السماء إلى الأرض؛ لأننا قطعنا النظر عن السلم إلى السماء، ولم ينقل بعد هذا إلا هذا الوحي المنزل من السماء؛ فمن أتى به؟ يأتي الوهم في الملائكة، فهم يزعمون أنهم بنات الله، فرد الله هذه الفكرة فقال: أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ [الطور:39] ، كيف يكون هو الخالق الذي يهبكم البنيين، ويرزقكم هذه الأعداد الهائلة من الأولاد، ويختار لنفسه بنات فقط؟! هذا مستحيل. فبطلت هذه الفكرة، ولم يبق إلا قضية العداوة الشخصية والحسد لهذا الرسول الذي اختاره الله، وأنزل عليه الملك بالوحي، فرد هذه الفكرة فقال: أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ [الطور:40] فهل لك عليهم مطالبات تطالبهم بها في مقابل الوحي حتى يحسدوك عليها؟! أم أنك لا تسألهم عليه أجراً، وإنما تريد هدايتهم وإيصالهم إلى الحق؛ فلذلك وجدنا أن العقول بتدرج أفكارها يأتي تنزيل الوحي لهدايتها، ورد كل هذا الخبث حتى يذهب جفاء.

وأهل الحق في هذا وسط بين الطائفتين. لكن هناك أيضاً طرفان لأهل الحق: طرف لديه زيادة قليلة في الإثبات، وطرف لدية زيادة قليلة في التنزيه، فلذلك كل واحد من الطرفين يتهم الآخر بانتسابه إلى الطرف الذي يليه، فالذين هم أهل إثبات وعندهم فيه زيادة قليلة يتهمهم من سواهم بأنهم مشبهة، وينسبونهم إلى من ورائهم، والذين لديهم تنزيه زائد أيضاً ينسبهم غيرهم إلى من ورائهم من المعطلة، وهم وسط بين هاتين الطائفتين، وهذا ما سنبينه إن شاء الله، والشيخ احترز من الطائفتين بقوله فيما سبق: (لا ما يقول من لذا أو ذا انتمى زعماً ولم يسر على ما رسما) فلذلك كثير من الأشاعرة ينسبون بعض الحنابلة إلى التشبيه وليسوا مشبهين، لكن نظراً للإثبات الذي فيه زيادة قليلة، وكذلك كثير من الحنابلة ينسبون الأشاعرة إلى التعطيل، وليسوا معطلة في أغلبهم، لكن مقصود ذلك أنهم بالغوا في التنزيه أيضاًَ. قوله: (فليس مثله علا شيء) (شيء) هي اسم ليس، أي: وليس شيء مثله (علا) أي: تعالى، وفيه إثبات صفة العلو لله سبحانه وتعالى وسنذكرها إن شاء الله تعالى بالتفصيل

[9] العين قد جاء إثباتها صفة لله سبحانه وتعالى، والنص لم يرد فيه التصريح بأنها محل البصر، لكن اقتضاء ذلك وارد، فالعين التي ثبتت في النصوص تقتضي البصر، وتقتضي الإحاطة والإدراك، وتقتضي الرعاية والحفظ، كل ذلك من متعلقات هذه صفة العين. وقد جاء لفظ العين في مثل قوله: وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي [طه:39] وقد جاء في بعض الأحاديث ذكر العينين، وإن كان اللفظ لا يصح فيه حديث واحد بعينه، ولكنه بطرق متعددة يمكن أن يجمع ذلك إلى عينين. وأما الآية التي فيها: تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا [القمر:14] فإن الإمام

أحمد رحمه الله تعالى قال: هذا من مجاز اللغة والمقصود بمجاز اللغة أن الضمير (نا) في أصل دلالته يطلق على الجمع، فإذا أضيف إليه تثنية كان هذا من القبيح في الاستعمال، أي: لو قلت (تجري بعينينا) كان هذا قبيحاً في الاستعمال اللغوي، ولهذا يقول الله تعالى: فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا [التحريم:4] وهما امرأتان ليس لهما إلا قلبان، لم يقل: (قد صغى قلباكما) وكذلك تقول: قطعت رءوس الكبشين، وليس للكبشين إلا رأسان لكن هذا هو الأفصح في اللغة، ولذلك يقول المختار بن بونا رحمه الله: ورجح الجمع فالإفراد فما ثنوا على الأصح في اثنين هما جزءاً مثنىً خفضا.... فالأرجح في اللغة الجمع فقالوا: قطعت رءوس الكبشين، (فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا) ثم بعد هذا الإفراد فتقول: قطعت رأس الكبشين، فهي أفصح في اللغة من قولك: قطعت رأسي الكبشين، وإن كانت التثنية واردةً في اللغة مثل قول الشاعر:

أتبكي على ليلى ونفسك باعدت ..فزادك من ليلى وشعباكما معا

فما حسن أن تأتي الأمر طائعاً .. وتجزع أن داعي الصبابة أسمعا

شعباكما معاً: ثنى المضاف إلى الاثنين وهو خافض لهما.

فَهْوَ السَّمِيعُ وَالبَصِيرُ المتَّصِفْ

بِمَا بِهِ فِي نَوْعَيِ ٱلْوَحْيِ وُصِفْ

(فهو السميع) معناه: المتصف بصفة السمع، والسميع في اللغة: يطلق على السامع وعلى المسمع، فالسامع الذي لا يفوته شيء يسمى سميعاً، والمسمِع -أي: المنادي- الذي يسمع الناس يسمى سميعاً أيضاً، وذلك أن فعيلاً تستعمل بمعنى فاعل وبمعنى مفعول، فالسميع بمعنى السامع هي الكثيرة في الاستعمال مثل قول الله تعالى: وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ [الشورى:11] والسميع بمعنى المتكلم المسمع منه قول عمرو بن معدي كرب رضي الله عنه: أمن ريحانة الداعي السميع يؤرقني وأصحابي هجوع أي: الداعي المسمع. (والبصير): المتصف بصفة البصر. وهاتان الصفتان بهما كمال العلم والإدراك، فالسميع يتعلق سمعه بالأصوات، والبصير يتعلق بصره بالمبصرات، وقد ذهب بعض المتكلمين مبالغةً منهم في التنزيه إلى أن سمع الله سبحانه وتعالى يتعلق بالأصوات وبالمحسوسات كلها، وأن بصره كذلك يبصر الذات والمعنى، ولكن هذه المبالغة في التنزيه مبالغة في إثبات مخالفته للحوادث، وفيه يقول أحدهم: وأنت بصير تبصر الذات والمعنى. لكن هذا لا دليل عليه، وإنما أخذوه من نفي مشابهته لخلقه، فإنه لما كان سمع الحادث يتعلق بالأصوات فقط، وبصره يتعلق بالذوات فقط، أرادوا إثبات المخالفة له، لكن المخالفة لا تقتضي أن تكون من حيث المتعلق فقط، بل المخالفة من حيث مصدر السمع ومصدر البصر ونحو ذلك، فمصدر السمع والبصر بالنسبة للمحسوسات في الإنسان الأذن في السمع والعين في البصر، والله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يقاس بخلقه، ولا يمكن أن يشبه بهم، فمجرد إثبات السمع له لا يقتضي إثبات الأذن، وإن كان جاء في الحديث: (وما أذن الله لشيء أذنه إلى قراءة نبي حسنة، أو: إلى نبي حسن الصوت بالقرآن) وسنذكر هذا إن شاء الله تعالى، لكن الأذن هنا بمعنى الاستماع، ولا يقتضي إثبات صفة الأذن.

(. . . .. المتَّصِفْ بِمَا بِهِ فِي نَوْعَيِ ٱلْوَحْيِ وُصِفْ

وقوله: (المتصف) أبلغ مما لو قال الموصوف؛ لأن الموصوف لا تقتضي إثباتاً للصفة، وإنما تقتضي أنه وصف بذلك، أي: وصفه الواصفون بذلك، لكن (المتصف) تقتضي أنه متصف بذلك فعلاً، وهو أعم أيضاً من قولنا (الموصوف)؛ لأن الموصوف معناه: ذكر الصفات المعلومة لنا التي وصفه بها الواصفون، أما المتصف فإنه يشمل ما ذكرناه نحن وما لم نذكره من كل أوصاف الكمال، فكل كمال هو ثابت له سواء عرفناه تفصيلاً أو لم نعرفه، وكل نقص فهو منتف عنه سواء عرفنا ذلك أم لم نعرفه، نطقنا بذلك أولم ننطق به، ولذلك قال: (المتصف بما به في نوعي الوحي وصف). أي: بما وصف به في نوعي الوحي، ونوعا الوحي هما الكتاب والسنة فكلاهما وحي، فالكتاب لا جرم أنه وحي من عند الله سبحانه وتعالى، والسنة كذلك

أقسام السنة من حيث كونها وحياً

وتنقسم السنة إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول: أقوال نزلت بلفظها ومعناها من عند الله تعالى، لكنها غير معجزة، وهذه هي الأحاديث القدسية، وهي قطعاً وحي بلفظه ومعناه. القسم الثاني: أقوال أنزل معناها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فعبر عنها بلغته، وهذه هي السنة النبوية غير القدسية. القسم الثالث: ما تكلم الرسول صلى الله عليه وسلم به بطبيعته البشرية، فهو بشر من الناس يستفهم ويسأل ويجيب، فهذه لا تعتبر وحياً. إذاً فالسنة ثلاثة أقسام: قسمان من الوحي وقسم ليس وحياً، وإذا نظرنا إلى الآية التي جاء فيها الإطلاق وهي قوله تعالى: وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى [النجم:3-4] فإن (وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى) نفي نطقه عن هواه، ولكن ذلك لا يقتضي إثبات أنه ما ينطق إلا عن وحي، فلم يقل: وما ينطق إلا عن وحي، بل ذكر أنه لا ينطق عن الهوى، والهوى هو ميل النفس إلى الشهوات، فكل كلامه صلى الله عليه وسلم لا ينطق به عن هوى، لكن منه ما هو طبيعة بشرية فيه، وهي على أكمل أخلاق البشر وأكمل أوصافهم، فلا تكون مائلةً إلى الهوى، ومنه ما هو وحي منزل إليه من عند الله، ولهذا قال: إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى [النجم:4] والمقصود بذلك ما كان تشريعاً ونحوه مما أنزل إليه من عند الله سبحانه وتعالى. وقد أثبت الله تنزيل السنة بالإطلاق وسماها الحكمة في قوله تعالى: وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً [النساء:113] والمقصود بالحكمة المنزلة إليه السنة.

(. . . .. المتَّصِفْ بِمَا بِهِ فِي نَوْعَيِ ٱلْوَحْيِ وُصِفْ

أقسام ما وصف الله به نفسه في الكتاب والسنة وكيف نتعامل معه

قال: [يمر ما في وصفه جاء من الـ ـوحي كما يفهم من فيهم نزل] ما جاء في الكتاب والسنة مما وصف به ربنا جل وعلا، ينقسم إلى ثلاثة أقسام......:

إشكالية ترجمة بعض نصوص الصفات وغيرها

وهنا إشكال آخر وهو من ناحية الترجمة، إذا ترجمت بأية لغة أخرى، هل تتركها كما هي باللفظ العربي أو تفسرها بمعنى مقابل لها في تلك اللغة؟ هذا محل محير من الناحية الفقهية، فمن العلماء من قال: تفسرها باللفظ المطابق لها في تلك اللغة، لكن هذا يعترض عليه بأن الدلالات اللغوية في كل لغة متباينة؛ لأن اللفظ الواحد قد تتعدد دلالاته من لغة إلى لغة، ويطلق على أشياء بالحقيقة وأشياء بالمجاز، وبالأخص في اللغات غير الراتبة، والعربية لغة راتبة، قليلة التغير في الدلالة، ومن هنا فإن أي طفل عربي لو أنشدته الآن: قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل لأمكن أن يشرح لك هذه الكلمات، ولو سألت أي طفل إنجليزي عن معنى بيت لـشكسبير أو أي واحد من الشعراء في القرن الماضي لما عرف منه كلمة واحدة؛ لأن اللغة تتغير دلالاتها وتختلف. ومن هنا ففي مقام الترجمة، رأينا بعض الترجمات للقرآن تجرأ أصحابها على الله سبحانه وتعالى، وكانت تراجمهم عجيبة جداً، فأحدهم يترجم قول الله تعالى: ﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ [الإسراء:29] فيقول: لا تعقد يدك مع رقبتك ولا تمدها مداً شديداً حتى تنقلع! وهذا مناف لمعنى الآية تماماً، وآخر يفسر قول الله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ ﴾ [الزمر:75] قرأها بالتخفيف وظن أنها حافين، فقال: أي: بدون نعال!!

ما لا يختلف في كونه صفة لله تعالى

القسم الأول: ما يتضح أنه صفة لله سبحانه وتعالى، فهذا لا يختلف فيه اثنان، وهو مثل العلم والحياة والإرادة والقدرة والسمع والبصر والتكلم، فهذه الصفات لا يختلف اثنان في أنها صفات من صفات الله، ومثلها: الغنى، والكرم، والسخاء، العظمة، والجلال، والجبروت، والكبرياء، والقهر، فهذه صفات لا يختلف فيها اثنان.

صفات الأفعال

القسم الثاني: ما هو أفعال، لكن تلك الأفعال تدل على صفات، وتلك الصفات هي منشأ الفعل؛ لأن الفعل له طرفان: فعل وانفعال، فالفعل هو الصادر من الله سبحانه وتعالى، والانفعال هو الطرف الذي لدى المخلوق، فالخلق مثلاً: الله تعالى هو الخالق وأنت المخلوق، فالصفة من عند الله، والمخلوق خلق من عند الله وهو خالقه، لكن الخلق تعلق بذات المخلوق فأصبح مخلوقاً، ومن هنا فهذا النوع لا يطلق عليه صفة بإطلاق، وإنما يسمى: صفات الأفعال، كالخلق، والإحياء، والإماتة، والرزق، وتنزيل المطر، ونحو ذلك من الأفعال التي لها انفعالات تتبدى في المخلوق؛ لأنها لو كانت صفة محضة لما فارقت موصوفها، فلو كان الخلق صفة محضة في الله سبحانه وتعالى والصفة لا تفارق موصوفها؛ لما كنت أنت مخلوقاً، فالمخلوق منفعل للصفة، أي: أن الصفة تعلقت به، ومثل هذا: الغضب والرضا والرحمة، فكل هذه الصفات ذات طرفين، فعل وانفعال، فالفعل إلى الله والانفعال إلى المخلوق.

ما لا يتعين كونه صفة ولا فعلاً مما وصف الله به نفسه

القسم الثالث: ما لا يتعين في الأصل كونه صفة ولا كونه فعلاً، وهو مثل الوجه، والعين، واليدين، والقدم، والساق، والأصابع، ونحو ذلك. فهذه الأمور لا تفهم -من أصل اللغة العربية- معنى الصفة فيها، ولا يفهم معنى الفعل فيها، لكن مع ذلك إذا نظرنا إلى أنه منطلق للفعل فيمكن أن يعتبر صفةً، كاليد مثلاً فإن بها الكتابة، كتب الله التوراة بيمينه لموسى، وخلق آدم بيمينه، فهذا يقتضي أن اليد وأن اليمين صفة من هذا النوع، فاليد صفة لله، وآدم هو المخلوق باليد، فتعلقت به اليد والتوراة مكتوبة باليد فتعلقت بها اليد. وهذا النوع قد أشكل على كثير من الناس، وهو سبب الخوض في باب الأسماء والصفات كما سنذكره، فأصل الخوض في الأسماء والصفات هو هذا النوع، والصحابة رضوان الله عليهم لم يسألوا عنه، ولم يستشكلوا شيئاً منه، وكذلك التابعون، وأول ما ظهر الإشكال فيه في أيام أتباع التابعين، فسئل عنه عدد من أئمة الهدى ومنهم: مالك بن أنس ، والأوزاعي ، وسفيان الثوري ، وسفيان بن عيينة ، ويزيد بن هارون ، وعبد الملك بن صبيح ، وهشيم بن بشير الواسطي ، والليث بن سعد؛ فاتفق جوابهم وقالوا: (اقرءوها وأمروها) وفي رواية: (أمروها كما جاءت)، وروى هذا عنهم: الوليد بن مسلم ، وقال بعضهم: (قراءتها تفسيرها) فليس لها تفسير، ولا يمكن أن تفسر بكلام الحادث، وإنما تفسيرها قراءتها، فتقرأ وتترك كما أنزلت في الوحي ولا يتعدى بها ذلك. ولهذا قال فيها أحمد بن حنبل : (لا كيف ولا معنى) وقوله: (لا معنى) معناه: لا تفسير، أي: لا تفسرها بأي شيء، فلو سألك سائل عن معنى الوجه أو العين أو اليد، فلا تفسرها بأي لفظ من الألفاظ؛ لأنه لم يرد ذلك في الوحي، ولا نطق به رسولنا صلى الله عليه وسلم، ولا نطق به أحد من أصحابه، ولا أحد من أتباعهم، والذين سئلوا عن ذلك من أتباع التابعين قالوا هذا، ولهذا تجدون كتب التفسير مع أنها تفسر الألفاظ المختلفة في القرآن، وكثير من الألفاظ يعتنون بتفسيرها باللغة وما جاء فيها، أما هذه الألفاظ فإنه لا يفسرها أهل السنة، وإنما يشتغل بتفسيرها المتأولون الذين يؤولونها من المتكلمين والمعتزلة، لكن أهل السنة ليس لهم تفسير لها، فإنما يقرءونها ويمرونها فيقولون: نعم، صدق الله، وما وصف به نفسه فهو حق، ونحن نؤمن بها على مراد الله، ولا نتعب أنفسنا في تفسيرها، وإذا كنا من أهل العربية الناطقين بها فنعرف معنى اليد في اللغة، ومعنى العين في اللغة، ومعنى الوجه في اللغة، لكن لا نتكلف أن نبين ذلك لمن سوانا.

فهو المتصف بما وصف أي بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم في نوعي الوحي وهو الكتاب والسنة فكل ما جاء فيهما مما وصف الله به نفسه او وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم فيجب اثباته له وكل ما جاء فيهما مما نفاه الله عن نفسه او نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم فيجب نفيه عنه .

بيان منهج السلف في فهم الصفات الخبرية

......

منهج الصحابة في الصفات هو الإمرار والإقرار

وقوله: (كما يفهم من فيهم نزل) معناه: كما فهمه من نزل فيهم الوحي، وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتابعون الذين عاصروهم من المخضرمين، فإنهم فهموا هذه النصوص ولم يستشكلوا شيئاً منها، ولم يفهموا فيها تشبيهاً، ولم يفهموا أنها ألغاز، ولم يفهموا أنها لا معنى لها، بل فهموها وسلموا لها وانتهى الأمر عندهم، والشيخ في منظومة أخرى يقول: الظاهر الذي عليه نبقي موهم تشبيه لرب الخلق هو الذي أهل اللسان فهموا إذ نزل الوحي به عليهم فلا أبو بكر لخير الرسل يقول أشكل علي اشرحه لي ولا أبو جهل يقول اختلفا أثبت ما من التماثل نفى حين أنزلت هذه الآية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى:11] لا أبو بكر استشكل هذا وقال: كيف يكون مخالفاً للحوادث وهو مع ذلك السميع البصير، فأثبت له الصفات ولكن نفيت مشابهته للخلق مع أن هذه الصفات موجودة في الخلق؟ لم يستشكل أبو بكر هذا. ولا أبو جهل أيضاً يلتمس فيه تناقضاً مع أنه يبحث عن أي تناقض: وهذا اللفظ الظاهر هو من الألفاظ التي يستفصل فيها، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية : الظاهر ظاهران: ظاهر هو الذي يفهمه أهل اللغة وقت نزول الوحي، وهذا هو الذي تقر عليه الصفات ويؤمن بها على حسبه، وظاهر هو الذي يفهمه من ليس من أهل اللغة بقياسه على المخلوق، وهذا قطعاً ممنوع، وكلاهما يتكلم فيه بعض العلماء، فيظن الناس أنهم على خلاف وعلى طرفي نقيض، والواقع خلاف ذلك، فمثلاً إذا قال المقري وهو من الأشاعرة: واللفظ إن أوهم غير اللائق بالله كالتشبيه بالخلائق فاصرفه عن ظاهره إجماعاً واقطع عن الممتنع الأطماعا فإنما يقصد الظاهر الذي يفهمه الإنسان تشبيهاً، ولذلك لم يقل: إن الألفاظ تقتضي هذا، وإنما قال: (واللفظ إن أوهم) فقط (فاصرفه عن ظاهره إجماعا)، وهذا لا خلاف فيه بين العلماء.

والآخرون الذين يقولون: تقر النصوص على ظاهرها، مقصودهم بذلك معناها الذي فهمه أبو بكر وقت نزولها، وفهمه الصحابة وقت نزولها، وفهمه التابعون ولم يستشكلوا منها شيئاً، وهو الذي يفهمه أهل اللغة بسليقتهم. وهذان المعنيان استوعبهما الشيخ في قوله بعد الأبيات التي ذكرناها عنه: وهو الذي في قول باب المرتضى سيف الهدى العضب الحسام المنتضى ما أوهم التشبيه في آيات وفي أحاديث عن الثقات فهو صفات وصف الرحمن بها وواجب بها الإيمان ثم على ظاهرها نبقيها ونحذر التأويل والتشبيها قال بذا الثلاثة القرون والخير باتباعهم مقرون وهو الذي فصّله القرآن والسنن الصحاح والحسان وكم رآه من إمام مرتضى من الخلاء في بني أولي الرضا ومن أجاز منهم التأويلا لم ينكروا ذا المذهب الأصيلا والحق أن من أصاب واحدْ لا سيما إن كان في العقائدْ ووافق النص وإجماع السلف فكيف لا يتْبع هذا من عرف فمن تأول فقد تكلفل وغير ما له به علم قفا وفي الذي هرب منه قد وقع وبعضهم عن قوله به رجع يقصد به الأشعري -رحمه الله-: حتى حكى في منعه الإجماعا وجعل اجتنابه اتباعا وقد نماه بعض أهل العلم من الأكابر لحزب جهم يقصد الإمام أحمد رحمه الله: فاشدد يديك أيها الموفق على الذي سمعته من الحق وظاهر فصرفه عنه يجب وهو الذي يفهمه من قد حُجب فهو يسير في الظلام الدامس رهن موانِ الفتنة الطوامس وهو الذي يقول فيه المقري المغربي المالكي الأشعري واللفظ إن أوهم غير اللائق بالله كالتشبيه بالخلائق فاصرفه عن ظاهره إجماعا واقطع عن الممتنع الأطماع

وقول المقري هنا: (فاصرفه عن ظاهره) كان الأولى أن يقول: فاصرفه عن موهمه، أي: عن الذي يتوهمه به المشبه فقط. قال: (كما يفهم من فيهم نزل) أي: من نزل الوحي فيهم، ولم يقل (من نزل عليهم)؛ لأن الوحي لم ينزل إلا على محمد صلى الله عليه وسلم وحده، والصحابة لم ينزل عليهم الوحي، لكن نزل فيهم.

التفريق بين كلام السلف والخلف وبيان المقصود بالسلف

فهذا القسم الثالث هو المحير المشكل فيما يتعلق بالنصوص، ولذلك عده بعض العلماء من الصفات المشكلات، كما قال ابن السبكي في جمع الجوامع، ونظمه السيوطي رحمه الله في قوله:

وما أتى به الهدى والسننُ ..من الصفات المشكلات نؤمنُ

بها كما جاءت منزهينا.. مفوضين أو مؤولينا

بالتفصيل ليس يقدح ..بالاتفاق والسكوت أصلح

وهذا هو المقام الذي تسمعون فيه التفريق بين كلام السلف وكلام الخلف، فمذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم، مع أنه أحوج إلى مزيد علم، وسنذكر ذلك تفصيلاً إن شاء الله في موضعه. والمقصود بالسلف هنا: مالك ، والأوزاعي ، والليث ، ويزيد بن هارون وطبقتهم التي سمينا بعضها، فهم الذين تكلموا في هذا، ولا يدخل فيه الصحابة ولا التابعون فليس لهم كلام في هذا، لم يروَ عن أحد منهم فيه كلام، بل هذه الإشكالات التي ترجع إلى الألفاظ، أول من روي عنه الكلام فيها: عمرو بن دينار وهو من أواسط التابعين، روي عنه الكلام فيما يتعلق بصفة الكلام لله فقط فقال: إن القرآن غير مخلوق، لكن من قبله لم يثبت عنه أي كلام فيما يتعلق بهذه الأمور الخلافية المتعلقة بالاعتقاد. ومن هنا أطلق الشيخ وقال: (يمر ما في وصفه جاء من الـ ـوحي كما يَفهم من فيهم نزل) (يمر) معناه: يقرأ كما هو، فكأنك تمره على لسانك إلى قلبك، فتسلم به تسليماً مطلقاً، انطلاقاً من المبدأ الذي ذكرناه سابقاً، وهو أن مبدأ الاعتقاد هو التسليم بأن العقول لا تصل إلى هذه الحقائق، وأنها محتاجة فيها إلى الوحي، فمن هنا تسلم بها تماماً، وتنقاد لها غاية الانقياد، وتجعلها أقوى مما تراه أو تسمعه، وجزمك بها أقوى مما تراه أو تسمعه؛ لأنك قد ملأت عقلك بالتصديق بعجز العقل عن إدراكها، وملأت عاطفتك بمحبة الله، وإثبات هذه الصفات طريق إلى محبة الله سبحانه وتعالى، كما ذكرنا سابقاً أنك إذا عرفت صفاته أحببته بها. من هنا قال: (يمر ما في وصفه جاء من الوحي)

يُمَــرُّ مَــا فِي وَصْــفِهِ جَــاءَ مِــنَ الْــ ــوَحْيِ كَمَــا يَفْهَــمُ مَــن فِــيهِمْ نَــزَلْ

ماجاء في وصفه بالوحي كتاباً او سنة يُمَرُّ كما جاء ولذلك قال الوليد بن مسلمٍ :

سألت مالكآ والاوزاعي والليث ويزيد بن هارون ومعاذ بن معاذ وعبد الله بن ادريس وسفيان بن عيينه عن آيات الصفات كلهم يقولون : أمروها كما جاءت أي اتركوها كما جاءت وآمنوا بها وافهموها كما جاءت عن الله سبحانه وتعالى وكما فهمها اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحتى اعداءه

ولذلك الشيخ حفظه الله يقول في نظم آخر :

الظاهر الذي عليه نبقي .. وننفي تشبيهآ لرب الخلقِ

هو الذي اهل اللسان فهموا .. إذ نزل الوحي به عليهمُ

فلا أبو بكرٍ لخير الرسل .. يقول اشكل عليّ اشرحه لي

ولا ابو جهل يقول اختلفا.. اثبتَ ما من التماثل نفى

فأبو بكر وابو جهلٍ فهما هذا الوصف كما جاء فهما { ليس كمثله شيء وهو السميع البصير }ولم يفهما من ذلك تشبيها بالمخلوق ولم يفهما منه ايضآ نفيآ للصفات فلو فهما منه التشبيه بالمخلوق او نفيآ للصفات لقال ابو بكر يارسول الله أشكل هذا عليّ فاشرحه لي او قال ابو جهل تعارضا وتناقضا حين نفى التشبيه ونفى الصفات التي يثبت مثلها للمخلوق في آية واحدة { ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير} فلذلك تُبقى على ظاهرها وتمر وتُقَر أي يُقر الانسان بها وهذا معنى إبقائها على ظاهرها وصدق بها لكنه يُمرها كما جاءت فلا يشرحها ولا يكلف نفسه على البحث عن كيفياتها فذلك ما لا يمكن الوصول اليه

(كَمَا يَفْهَمُ مَن فِيهِمْ نَزَلْ)

أي كما فهم من نزل فيهم ذلك من المؤمنين والمشركين فهم جميعآ فهموه ولم يعترضوا عليه

مِــــن غَــــيرِ مَــــا تَكْيِيــــفٍ أوْ تَمْثِيــــلِ لَــــــهُ وَلا تَحْرِيــــــفٍ اوْ تأوِيــــــلِ

(من غير تكييفٍ) فلا يمكن ان يُبحث عن كيفيات ذلك لان العقل لا يصل اليها

(من غير تكييفٍ او تمثيلٍ) معناه من غير تمثيل ايضآ والتمثيل هو المعرف بالتشبيه (له)

(ولا تحريف او تأويلٍ) فالتمثل والتشبيه كلامهما منفيان فالتمثيل جاء نفيه صريحآ { ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير } ومثله التكييف ولذلك قال مالك : عندما سأله الرجل عن الاستواء قال :

الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعةٌ وما اراك الا صاحب سوءٍ اخرجوه عني وقال احمد بن حنبل :تفسيرها قراءتها ولا كيف ولا معنى ، لا كيف أي لا تعذب نفسك بالكيفيات ولن تعرفها ولا معنى أي لا تشرحها وفي المقابل قال :

(ولا تحريف او تأويلٍ) ايضآ لا تحريف والتحريف هو وضع اللفظ في غير موضعه بأن يُفهم على غير دلالته فهذا هو تحريف الكلم عن مواضعه كما فعل اليهود في التوراة والانجيل وقد حرفوا الكلام عن

مواضعه ووضوعوه في غير موضعه وهذا الذي يسمى بالتحريف وكذلك التأويل وهو صرف اللفظ عن ظاهره من غير دليل فهو ممنوع ايضآ ان يفسر بشيء ليس هو الذي يتبادر الى الذهن منه من غير دليل فهذا ممنوع

يُقَــالُ نَفْسُــه كَمَــا قَــالَ: {كتَــبْ رَبُّكُــمُ.. } الآيــةَ، أمَّــا مَــنْ نَسَــبْ

هنا اثبات الذات لله سبحانه وتعالى وهذا اللفظ ليس من العربية اطلاق الذات على مايقابل الصفة اطلاق شائع على السنة المتأخرين ولكنه ليس من لغة العرب فلذلك عدل عن الشيخ الى ماجاء النص به وهو النفس فالله سبحانه وتعالى قال { كتب ربكم على نفسه الرحمة } وقال حكاية عن عيسى عليه السلام :

{ تعلم مافي نفسي ولا اعلم مافي نفسك إنك انت علام الغيوب } فلذلك قال (يقال نفسه) فالنفس ما يقابل الصفة وهو الذي يمسى بالذات عن المتأخرين

(كما قال كتب ربكم ... الاية) { كتب ربكم على نفسه الرحمة }

يُقَــالُ نَفْسُــه كَمَــا قَــالَ: {كتَــبْ رَبُّكُــمُ.. } الآيــةَ، أمَّــا مَــنْ نَسَــبْ

ذَاتًا لَــهُ فَقَــدْ عَــنَى الــتِي لَــهْ مِلَّتَــهُ، شِــرْعَتَهُ، سَــبِيلَهْ

(أما من نسب ذاتآ له) الذين يقولون ذات الله وينسبون الذات له (فقد عنى التي له) اذا جاء ذلك في كلام المتقدمين فاعلم ان معناه الامر المؤنث المنسوب الى الله (فقد عنى) أي قصد (التي له) أي الامر المؤنث المنسوب له سبحانه وتعالى مثل ماذا ؟ مثل " ملته ،شرعته ، سبيله" يقصد حينئذٍ ملته أي دينه ويعبر عنه بالملة وهي مؤنثةٌ يعبر عنها بالذات والشرعة كذلك وهي الشريعة والسبيل وكل هذه الكلمات كؤنثة يرجع اليها ضمير المؤنث فلذلك من قال من القدماء ذات الله فإنما يقصد بذلك ملته او شرعته او سبيله وذلك مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم (ماكذب ابراهيم الا ثلاثة كذَبَاتٍ اثنان منهن في ذات الله)في ذات الله أي في سبيل الله او في ملته او في شرعته والثنتان هما قوله : { بل فعله كبيرهم هذا } وقوله { إني سقيم }فكلتاهما في ذات الله أي في سبيله وملته وشرعته

وَالأصْــلُ أن تُضَــافَ للإلَــهِ لا لِلضَّــمِيرِ أو لِلَفْــظِ اللهِ

(والاصل ان تضاف للاله) الذات الاصل اضافتها للاله ولا تضاف الى الله لماذا ؟قال (لا للضمير او لِلَفظ الله) فلا تضاف للضمير فلا يقال "ذاته" ولا الى العلم فلا يقال : ذات الله بل تضاف الى الاله فلهذا قال :

وَالأصْــلُ أن تُضَــافَ للإلَــهِ لا لِلضَّــمِيرِ أو لِلَفْــظِ اللهِ

كَمثـلِ مَـا قَـالَ خُبيبُ إذْ صُـلِبْ   وَقَـــالَ نَابِغَـــةُ ذُبْيَـــانَ الـــذَّرِبْ

من امثلة ذلك ما قال خبيب بن عدي رضي الله عنه عندما صلبه قريش وقدكان خرج في بعث الرجيع فأسره بنو لحيان باعوه لاهل مكة فأمسكوه حت ى انقضى الشهر الحرام فخرجوا به للتل فصلبوه على خشبة فقال :

ولست ابالي حين أُقْتَلُ مسلماً .. على أي جنب كان لله مصرعي

وذلك في ذات الاله فإن يشأ ..يبارك على اوصال شلو موزع

وهنا قال ذات الاله ولم يقل في ذات الله فأضاف ذات الى" الاله" لا الى الله

(وقال نابغة ذنابيانَ الذربْ) أي مثل ذلك ماقاله نابغة ابن ذبيان والنابغة الذبياني وهو احد الشعراء الستة المشاهير في الجاهلية وذلك في قصيدته التي يمدح بها الحارث بن ابي شبلٍ مطلعها :

كليني لهمٍ ياامیمة ناصبي .ويليل اقاسيه بطيء الكواكب

يقول فيها :

مَحلتَ ُهم ذاتُ الالهْ ودينهمْ .. قَويمٌ فما يرجون غيرَ العواقب

وفي رواية :

مَجلتهُم ذات الاله ودينهم .. قويمٌ فما يرجون غيرَ العواقب

محلتهم أي حيث يوجدون فذلك ذات الاله معناه سبيله او ملته او شريعته

أو مجلتهم معناه الذي يجلونه ويقدرونه ويعظمونه سبيل الله وملته وشريعته فهنا اضاف لفظ ذات الى الاله ولم يضفه الى الله ما السبب في هذا ؟ما السبب في قوله:

(والاصل ان تضاف للاله .. لا للضمير او للفظ الله)

بين السبب بقوله :

لأنَّهَـــا تَأنِيـــثُ (ذِي) المُلتَـــزَمِ   فِيـــهِ الإضَـــافَةُ لِغَـــيرِ العَلَـــمِ

مِـــــــــن ظَـــــــــاهرٍ،

لان ذات هي تأنيث "ذو" وذو بمعنى صاحب اسم من الاسماء الخمسة ولازمة للاضافة ولا تضاف الى الضمير ولا تضاف الى العلم وفروعها مثلها في ذلك ولهذا قال :

لأنَّهَـــا تَأنِيـــثُ (ذِي) المُلتَـــزَمِ   فِيـــهِ الإضَـــافَةُ لِغَـــيرِ العَلَـــمِ

مِـن ظَـاهرٍ، قَـالَ ابْـنُ مَالِـكٍ – وَقَـدْ   ذَكَـــرَ مَـــا يَلـــزَمُ (ذُو) فِي ذَا الصَّـــدَدْ

فذو من الاسماء الخمسة الملازمة للاضافة ولا يضاف الى الضمر ولا الى العلم

مِـن ظَـاهرٍ، قَـالَ ابْـنُ مَالِـكٍ – وَقَـدْ   ذَكَـرَ مَـا يَلـزَمُ (ذُو) فِي ذَا الصَّـدَدْ –

قال مالكٌ محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الاندلسي الجياني وقد قال ذلك في كافيته الكافية الشافية

(وقد ذكر مايلزم "ذو" في ذا الصدد)اي ما يلازم له ذو

ذو ذاتُ انثاه ذواتُ الجمع .. وجريانَ الاصل يجري الفرعُ

هذا كلام ابن مالك قال ذو وهو من الاسماء الخمسة وهو بمعنى صاحب (ذات انثاه) مؤنثه ذات (ذوات الجمع)ذوات جمع ذات (وجريان الاصل يجري الفرع)جريان الاصل في لزوم الاضافة لغير العلم والضمير يجري الفرع فجميع فروعه من مؤنثه وجمعه المذكر وجمعه المؤنث وتثنيته كل ذلك يلازم الاضافة لغير العلم وغير الضمير فيضاف الى الاسم الظاهر غير الضمير بعد هذا قال ابن مالكٍ :

وقل ان تضاف ذو الى العلم ..

أي يندر في لغة العرب ان تضاف ذو الى العلم ومن ذلك "انا ذو بكة حرمتها يوم خلقت السموات والارض " وقد وجد هذا الكلام منقوشآ على حجر وجد في الكعبة عندما بناها ابن الزبير "أنا ذو بكة " أي مالك مكة وكذلك قولهم "ذو تبوك" وقولهم " ذو الشعبين " من اعلام اهل اليمن فنحو ذلك من اضافة ذو الى العلم نادرٌ جدآ وكذلك اضافتها الى الضمير نادرة ومنه قول الشاعر :

صَبَحْنا الخَزْرَجِيَّةَ مرهفاتٍ..أبان ذَوي أُرُومَتِها ذَوُوها

ذووها اضاف ذوو وهي جمع ذو الى الضمير وهذا نادر جدآ

نَعَـــــمْ، أتَــــــتْ مُضَــــــافةً للهِ فِي كَــــــــذَبَاتِ القَانِــــــــتِ الأوَّاهِ

وَهْــــــوَ شُــــــذُوذٌ، وَنَظِــــيرُهُ (ذُو بَكّــــةَ) مِمَّــــا شَــــأنُه الشُّـــــذُوذُ

نعم اتت مضافة لله لا تعترض بأن الاصل انا ذكرت ان الاصل انها تضاف الى الاسم الظاهر غير العلم فلا تعترض عليّ انه صح في الحديث الصحيح اضافتها الى الله في حديث "ما كذب ابراهيم الا ثلاث كذبات ،انه قال اثنتين منهن في ذات الله فذات الله هنا اضيفت فيها ذات الى الظاهر الذي هو العلم

نَعَـــــمْ، أتَــــــتْ مُضَــــــافةً للهِ فِي كَــــــــذَبَاتِ القَانِــــــــتِ الأوَّاهِ

كذبات مكذوبة وهي هذه الثلاث وسماها النبي صلى الله عليه وسلم كذبات وان كانت غير كذب فهو معصوم لا يكذب لكنّ ظاهرها الكذب لانه عندما قال { فعله كبيرهم هذا } هو يعلم انه هو الذي كسر الاصنام لما قال { إني سقيم }لا يقصد مرض البدن بل يقصد المرض والحزن بسبب عدم اسلام قومه وكذلك قوله (هي أختي)لا يقصد انها اخته من النسب بل يقصد انها اخته من الدين والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : (في المعارض مندوحة عن الكذب) في المعارض مندوحة أي ممر عن الكذب فيسلكه الانسان الذي لا يريد ان يقع في الكذب

(والقانت الاواه) وصف ابراهيم الذي وصفه الله به { ان ابراهيم كان امة قانتآ لله حنيفآ ولم يكُ من المشركين } وقال : { إنه لاواه حليم } فوصفه الله سبحانه وتعالى بالقانت ووصفه بالاواه والقانت العابد والاواه التواب الكثير التوبة (وهو شذوذٌ)

هذا شذوذٌ في اللغة فإن الاصل ان تضاف الى الاله لا الى الله واضافتها الى الله في هذا الحديث شاذة من ناحية اللغة وليس معناه ان الحديث شاذ في اصطلاح المحدثين فالحديث صحيح ليس فيه علة ولا شذوذ لكنّ المقصود الشذوذ اللغوي

وَهْـــــوَ شُـــــذُوذٌ، وَنَظِـــــيرُهُ (ذُو بَكّـــــةَ) مِمَّـــــا شَـــــأنُه الشُّـــــذُوذُ

(ونظيره ذو بكة مما شأنه الشذوذ)نظيره ذو بكة وقد وجد ذلك مكتوبآ على حجر كما قلنا (مما وجهه الشذوذ) معنى مما يحمل على الشذوذ في اللغة والشذوذ الانفراد والقلة في اللغة بدأ بذكر قاعدتين مهمتين في الايمان باسماء الله وصفاته هما قوله :

وَمَـــا نَقُـــولُ فِي صِـــفَاتِ قُدْسِـــهِ فَـــرْعُ الـــذِي نَقُولُـــهُ فِي نَفسِـــهِ

هذه القاعدة الاولى وهي ان القول في الذات كالقول في الصفات ، ان القول في الصفات كالقول في الذات كما اثْبَتَّ له ذاتآ لا تشبه ذوات المخلوقين فكذلك اثبت له صفات لا تشبه صفات المخلوقين فأنت لا تكلف نفسك العناء في البحث عن كيفية الذات ولا ترى اثبات الذات تشبيهآ فما الفرق بين اثبات الذات واثبات الصفات ؟إذآ هذه القاعدة الاولى القول في الصفات كالقول في الذات

قال:

وَمَـــا نَقُـــولُ فِي صِـــفَاتِ قُدْسِـــهِ فَـــرْعُ الـــذِي نَقُولُـــهُ فِي نَفسِـــهِ

(ما نقول في صفات قدسه) من اثباتها وعدم مشابهتها للمخلوق فرع الذي نقوله في نفسه اي مثل الذي نقوله في نفسه تمامآ بل هو الاصل ، الاصل ما نقوله في نفسه في ذاته فكما اثبتنا له ذاتآ لا تشبه ذوات المخلوقين ولم يعترض احد على ذلك كذلك نثبت له وجهآ لا يشبه اوجه المخلوقين ويدآ لا تشبه ايدي المخلوقين وعينآ لا تشبه اعين المخلوقين وقدمآ لا تشبه اقدام المخلوقين وساقآ لا تشبه أسوق المخلوقين وشخصآ لا يشبه أشخاص المخلوقين واصابع لا تشبه اصابع المخلوقين وهكذا في صفاته كلها سواءً منها ماكان ذاتيآ وما كان فعليآ فما كان ذاتيآ كما ذكرنا وما كان فعليآ كالتكلم والاستواء والنزول والمجيء يوم القيامة فكل ذلك من الصفات الفعلية ثُبت له كمااثبتنا ذاته

فَـإنْ يَقُـلْ جَهْمِـيُّهُمْ: كَيـفَ اسـتَوَى ؟ كَيـفَ يَجِـي ؟ فقـلْ لـهُ : كَيـفَ هُـوَا ؟

هذا تفريع على هذه القاعدة السابقة ،اذا اعترض عليك الجهمي فسألك قال كيف يجيء كيف يستوي كيف استوى على العرش كيف تكلم كيف ينزل الى السماء الدنيا قل له كيف هو ؟ ماالفرق بين هذه

الصفات وبين ذاته انت آمنت بان له ذاتآ ولم تقل لي كيف ذاته فكذلك اثبت له هذه الصفات ولا تعَنِّ نفسك البحث في كيفياتها

لا فَــــرْقَ بَــــينَ مَـــا سَمِيُّـــهُ يُعَـــدْ وَصْـفَاً لَنَـا كـَ(عِلْمٍ) أو جُـزْءاً
هذه **البَــابُ في الجَمِيــعِ وَاحِــدٌ فَــلاَ تَكُـــــنْ مُعطِّـــلاً وَلا مُمَـــثِّلا**

القاعدة الثانية وهي القول في بعض الصفات هو القول في بعضٍ

لا فَــــرْقَ بَــــينَ مَـــا سَمِيُّـــهُ يُعَـــدْ وَصْـفَاً لَنَـا كـَ(عِلْمٍ) أو جُـزْءاً
ما **البَـــابُ في الجَمِيـــعِ وَاحِـــدٌ** وصف
الله به نفسه

وما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ينقسم الى ثلاثة اقسام :

القسم الاول : مايدرك العقل كونه صفة كالعلم والحياة والارادة والقدرة والسمع والبصر هذه في الايجابيات وفي السلبيات كالوجود والقدم والبقاء والغنى وكالمخالفة للحوادث وكالوحدانية في السلوب وهو النفي هذه الصفات يدرك العقل معنى كونها صفه لانها لا تفارق الموصوف

القسم الثاني مايدرك العقل معنى كونه فعلآ لكن بمجرد كونه فعلآ فقد اثبت الصفة التي نشأ عنها الفعل وذلك كالنزول والاستواء والمجيء والاماتتة والاحياء والرحمة والغضب والرضا والتعجب والاستفهام والغيرة ونحو ذلك من صفات الله الفعلية فهذه كلها يدرك العقل معنى كونه افعالآ يفعلها الله سبحانه وتعالى وهذه الافعال مثبتة للصفات لان الفعل لا يصدر حتى تثبت الصفة التي صدر عنها

القسم الثالث : مثل الوجه والعين واليدين والساق والقدم والاصابع والشخص فهذه لا يدرك العقل معنى كونها صفة في الاصل وليست افعالآ

قطعآ يدرك العقل انها ليست افعالآ ولا يدرك معنى كونها صفة لان الصفة ما عم الموصوف واليد لا يكن ان تكون عامة على الموصوف كله والوجه لا يمكن ان يكون عامآ على الموصوف كله والساق كذلك والقدم كذلك والاصابع كذلك فلذلك سماها بعض العلماء بالصفات المشكلة والمقصود باستشكالها من ناحية العقل فالعقل ادراكه في الصفة محدود ويزول اشكالها بما ذكرنا بالامس من ان المرجع ليس الى العقل فالعقل قاصر لأه حدود ينتهي اليها بل المرجع الى النص فما وصف الله به نفسه فهو صدق وانطلق من هذا ولا تتعب عقلك فيما لا يمكن ان يبلغه لكن مع هذا قد اختلف اهل السنة فيها فمذهب الحنابلة انها تسمى صفات لله وهذا الذي اختاره الشيخ هنا وسلكه انها صفات لله سبحاونه

وتعالى "ومذهب ابي الحسن الاشعري " وابي منصور الماتريدي"انها لا تطلق عليها الصفة لان اطلاق الصفة تأويل لها والمرجع في هذا الى كلام السلف ولم يوجد نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن احد من الصحابة ولا عن احدمن التابعين انها صفات لله ما تكلموا فيها ما اثبتوا انها صفات ولهذا اعترض على القائلين بكونها صفة وقيل من الذي قال ان الوجه صفة ومن الذي قال ان العين صفة ومن الذي قال ان اليدين صفة ومن الذي قال ان القدمين صفة ومن الذ قال ان الساق صفة لم يرد ذلك في نص من الوحي ولا عن احد من الصحابة ولا عن احد من التابعين فاعترض عليه والجواب عن هذه الاعتراض من وجهين :

الوجه الاول ماذكره ابن القيم رحمه الله حيث قال معنى كونها صفة انها اما ان تكون جارحة واما ان تكون صفة فكونها جارحة مستحيل لانها يقتضي التجسيم والنقص فلم يبقَ الا انها صفات نثبتها على انها صفة

الجواب الثاني ماذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري عند حديث { قل هو الله احد }صفة الرحمن قال معنى كون هذه المذكورات صفات :الحيثية معناها كون الله ذا وجه صفة له قطعآ وكونه ذا عين صفة له وكونه ذا يدين صفة له وكونه ذا ساق صفة له وكونه ذا قدم صفة له وكونه ذا شخص صفة له وكونه ذا اصابع صفة له لكن ليس الاصابع والقدم والساق بذاتها صفات بل كينونتها هي الصفة كينونتها هي الحيثية معنى كونه ذا وجه وكونه ذا يد هذه الصفة وهذا الذ قاله الحافظ ابن حجر لا اعتراض عليه وهو اسلم من القول الذي قاله ابن القيم رحمه الله لان القول الاول يمكن ان يعترض عليه بأن يقال : ما الدليل على الاقتصار في القسمين ما الدلي لعلى الاقتصار على انها جوارح او صفات وفلا دليل على الاقتصار فإذآ قول الحافظ هنا اقوى والقاعدة التي ذكرها الشيخ وهي

لا فَـــرْقَ بَـــينَ مَـــا سَمِيُّـــهُ يُعَـــدْ وَصْـفَاً لَنَـا كـَ(عِلْمٍ) أو جُـزْءاً كَـ(يَدْ)

الباب في الجميع واحد قاعدة ان القول في الصفات كالقول في بعض فالقول الاول الذي قاله الجميع في الصفات التي يدرك العقل معنى كونها صفة كالعلم والارادة والقدرة السمع والبصر والكلام وكالوجود والقدم والبقاء والغنى المطلق والمخالفة للحودات والوحدانية فهذه اتفق الجميع على انها صفات مالفرق بينها وبين البقية ؟كل من عند ربنا فقد وصفه نفسه بالجميع فلذلك قال :

(لا فرق بين ما سميه) أي المشترك معه في الاسم السمي معناها المشترك معه في الاسم (يعد وصفآ لنا كعلمٍ) فالعلم بالمخلوق صفة يدرك العقل معنى كونها صفة لكن اليد في المخلوق ليس صفة والعين في

المخلوق ليس صفة والوجه في المخلوق ليس صفة هذه افعال بالنسبة للمخلوق "اجزاء" لكن بالنسبة لله هي صفات له فلهذا قال :

لا فَــــرْقَ بَـــينَ مَـــا سَمِيُّـــهُ يُعَـــدْ وَصْـفَاً لَنَـا كَـ(عِلْمٍ) أو جُـزْءاً كَـ(يَدْ)

(أو جزء)أي يعد حزءآ لنا ماسميه يعد جزءآ لنا كيد الباب في الجميع واحد الجميع من عند الله ويُثبت له كما اثبته لنفسه

البَـــابُ في الجَمِيـــعِ وَاحِـــدٌ فَـــلاَ تَكُـــــــنْ مُعطِّـــــلاً وَلا مُمَـــــثِّلا

(فلا تكن معطلآ) أي نافيآ للصفات (ولا ممثلآ) أي مشبها له بخلقه وكلا الجانبين محذور فالتعطيل تفريط والتمثيل افراط فكلاهما مذموم شرعآ ثم بدأ بعدِّ بعض الصفات الفعلية وبعضها من المقابلات من الصفات المتقابلات فقال

يَأْتِي، يَجِي، يَكْشِفُ عَنْ سَاقٍ، يَضَعْ قَدَمَـــــهُ عَلَـــــى جَهَـــنَّمَ، يَسَـــــعْ

بِفَضْــــلِهِ الخَلْـــقَ، يَـــدَاهُ بالعَطَـــا مَبْسُـــوطَتَانِ، كَيـــفَ شَـــاءَ بَسَـــطَا

(يأتي يجي) هذا اثبات لصفة الاتيان وهو المجيءفالله سبحاونه وتعالى اثبت ذلك لنفسه في قوه : { وجاء ربك والملك صفآ صفآ } وفي وقله { هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي ربك أو يأتيَ بعض آيات ربك} فأثبت المجيء الذي هو الاتيان لنفسه سبحانه وتعالى يوم القيامة وذلك بتجليه سبحانه وتعالى بفصل الخصام

(يكشف عن ساق) هذا النص متضمن لصفتين لصفة فعليه وصفة ذاتية فالصفة الفعلية هي صفة الكشف والصفة الذاتية هي صفة الساق وذلك في قوله تعالى : { يوم يُكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون }فقد صح في صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى يتجلى للمؤمنين في صورة فيقول انا ربكم فينكرون فبقول وما آية بَيْنِكم وبين رِبكم فيقولون أن يكشف عن ساق فيتجلى لهم في صورة فيكشف عن ساق فيخرون له سجدآ فيجعل الله ظهور المنافقين من النحاس فلا يستطيعون السجود ولهذا قال { يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون }فهذا النص متضمن لصفتين احداهما فعلية وهي الكشف واخرى ذاتية وهي الساق

(يضع قدمه على جهمنم) هذا النص ايضآ متضمن لصفتين صفة فعليه وهي الوضع وصفة ذاتية وهي القَدم فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لا تزال النار تقول هل من مزيد حتى يضع الجبار فيها قدمه فتقول قطني قطني او قدني قدني فَتَنْزَوِي) فالنار لشدتها تلقى فيها الامم افواجآ افواجآ { اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظآ وزفيرآ واذاالقوا منها مكانآ ضيقآ دعوا هنالك ثبورآ }فهي تطلب الزيادة في كل ذلك تقول { هل من مزيد }كماوصفها الله بذلك ولا تزال تقول هل من مزيد حتى يضع الجبار فيها قدمه سبحانه وتعالى فتنزوي وتقول قطني قطني او قط قط كل ذلك في الفاظ الحديث فهذا الحديث تضمن صفتين احداهما فعلية وهي وضع القدم في جهنم او على جهنم والاخرى هي اثبات القدم وهي صفة ذاتية

(يسع بفضله الخلق) هذا اثبات لصفة اخرى وهي السعة فالله سبحانهو تعالى هو الواسع يسع الخلق بفضله وبرحمته كذلك فقد قال : { ورحمتي وسعت كل شيء }(والفضل)العطاء (و الخلق) المخلوقون وقد قال فيما روى عنه رسوله صلى الله عليه وسلم (ياعبادي لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فأعطيت كل ا انسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي الا كما ينقص المخيط اذا ادخل البحر)

(يداه بالعطا مبسوطتان كيف شاء بسطا) هذه النص تضمن اثبات صفة اليد لله سبحانه وتعالى وقد اثبت الله انهما مبسوطتان في وقوله : { وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء} وقد فسَّر البسط بقوله ينفق كيف يشاء فهذا اثبات لليدين لله سبحانه وتعالى وقد جاء ذلك في عدد من النصوص منه قول الله تعالى : { لما خلقت بيدي } في خطابه لابليس وفي هذه الاية { بل يداه مبسوطتان } وقد جاء في عدد من الاحاديث الصحيحة المثبتة لذلك كما في حديث آدم (وكلتا يدي ربي يمين مباركه) وكما في حديث (المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين) والاحاديث في هذا الباب كثيرة جدآ فلذلك قال :

(يداه في العطا مبسوطتان) وهذا تفسير للبسط وهو قوله (بالعطاء)وهذا التفسير في قول الله تعالى { بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء } فينفق كيف يشاء هذا معنى (في العطاء) (مبسوطتان كيف شاء بسطا)كيف شاء بسطا { ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر مايشاء }فكل ذلك راجع الى مشيئته يبسط مايشاء ويقبض مايشاء فهو القابض الباسط ولذلك قال { مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده }

كِلتَاهُمَـــــا فِي يُمْنِهَـــــا يَمِـــــينُ   فَهْـــو بِـــذَا مِـــنْ خَلْقِـــهِ يَبِـــينُ

كلتاهما أي كلتا يدي ربي في يمنها ذها في حديث آدم (كلتا يدي ربي يمين مباركه)واليُمنُ البركة لانه قال مباركه (كلتاهما في يمنها يمين) وكلتا يدي ربي يمين مباركه وكلتا يديه يمين فكلتاهما توصف بذلك توصف بأنها يمين واما ما جاء في صحيح مسلم من(ان الله سبحانه وتعالى يقبض السموات السبع بيمينه والارضين السبع بشماله يوم القيامة فيهزهن ويقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون) فلفظة الشمال في هذا الحديث شاذة لكثرة الاحاديث الصحيحة التي فيها اثبات كلتا يديه يمين فيحمل لفظ الشمال على الشذوذ لانه لم يرد الا في هذا الحديث وقد ثبت في حديث الحَبْرِ في صحيح البخاري وصحيح مسلمٍ ان كل ذلك بيد واحدة ان القبض يوم القيامة بيدٍ واحدة فإنه يضع السموات على اصبع والارضين على اصبع والبحار على اصبع والشجر على اصبع والجبال على اصبع وسائر الخلائق على اصبع وهذا في حديث الحبر وأقره النبي صلى الله عليه وسلم عليه وابتسم حتى بدت نواجذه ثم قرأ قول الله تعالى { وما قدروا الله حق قدره والارض جميعآ قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون} والسموات السبع يطويهن ويشققهن يوم القيامة وكذلك الارضون السبع تكون الارض خبزة في يمين الجبار يتكفأها كما يتكفأ احدُكم خبزته نزُلآ لأهل الجنة ، وذلك ميراث اهل الجنة للارض فالارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين قال في آية غافر { وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوء من الجنة حيث نشاء } فإن الله يطعمهم الارض يخبزها الجبار بيمنيه يتكفأها كما يتكفأ احدكم خبزته نزُلآ لاهل الجنة

كِلتَاهُمَا فِي يُمْنِهَا يَمِينُ

فَهْو بِذَا مِنْ خَلْقِهِ يَبِينُ

اي ان هذا من ادلة مخالفته للحوادث وعدم مشابهتم له فكلتا يديه يمين بخلاف المخلوقين فللمخلوق يمين وشمال والخالق عز وجل كلتا يديه يمين

يَـــــرَى وَلا يَـــــرَاهُ مِنَّـــــا ذُو بَصَـــــرْ   حَـــتَّى يَمُـوتَ، مِثْـلَ مَـا جَـا فِي الخَبَـــرْ

هذا اثبات لصفة اخرى فعلية وهي صفة الرؤية وهذه الرؤية رؤيتان : رؤية الله لعباده وهي دائمة مستمرة لا تحب عنه سماء سماءآ ولا ارض ارضآ ولا جبل مافي وعره ولا بحر مافي قعره والرؤية الثانية : رؤية العباد لله وهي خاصة بالقيامة ويراه المؤمنون لا يضامون في رؤويته كما يرون القمر ليلة البدر او كما يرون الشمس في رابعة النهار فلذلك قال (يرى) اي يرى سبحانه وتعالى فقد اثبت ذلك لنفسه في قوله { إنني معكما اسمع وارى } فأثبت الرؤية لنفسه بصفة الفعل (ولا يراه منا ذو بصر حتى يموت) اي لا يراه احد منا حتى يموت لقول النبي صلى الله عليه وسلم (إن احدآ منكم لن يرى ربه حتى يموت أما بعد الموت فرؤيته بالجنة اثبتها سبحانه وتعالى { وجوه يومئذٍ ناضرة الى ربها ناظره }وهي الزيادة الموعود بها في قول الله تعالى { للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة والئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون } فزيادة النظر الى وجه الله الكريم وقد صح عن البني صلى الله عليه وسلم قوله (إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته او لا تضآمّون في رؤيته) ولما صح عنه صلى الله عليه وسلمم (بينما اهل الجنة في نعيمهم انسطع عليهم نور من فوقهم فيرفعون ابصارهم فإذا الرب سبحانه وتعالى يناديهم من فوقهم سلام قولا من رب رحيم فلا ينظرون الى شيء مما هم فيه ما داموا ينظرون الى وجهه الكريم) لهذا قال : (ولا يراه منا ذو بصر حتى يموت مثل ما جا في الخبر)

يسمع)هذا اثبات لصفة السمع وقد ثبتت بالاسم وهي هنا تثبت بالفعل فإنه سبحانه وتعالى قال { فإنني معكما اسمع وارى } فقد ثبتت بالاسم فيما سبق { وهو السميع البصير } وثبتت بالفعل كما هنا { إنني معكما اسمع وارى } وكذلك يبصر فهي مثلها فقد ثبت البصر في الاسم كما سبق وثبت في الفعل ايضآ وكذلك اثبات فعل السمع والبصر كثير في النصوص كقول الله تعالى { لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء } وكما قال تعالى { قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما } قالت عائشة سمع الله نجولى خولة من فوق سبع سموات وانا عندها في الحجرة والله ما سمعت مناجاتها يَسْمَعُ ، يُبْصِرُ ، يُحِبُّ ، يَعجَبُ

يَضحَكُ ، يَرضَى ، يَستَجِيبُ ، يَغْضَبُ

(يسمع يبصر يحب) كذلك من الصفات الفعلية صفة المحبة فهو سبحانه وتعالى يحب ماشاء من خلقه ويحب من شاء من عباده وقد بين ذلك في قوله { فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين }

وكذلك في قوله { والله يحب الصابرين } وكذلك بين انه لا يحب ما ليس محبوبآ لديه قال { ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين } وكذلك من الافعال قال { لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم } والمحبة تشمل الاعيان والافعال فمن الاعيان ما هو محبوب عند الله سبحانه وتعالى مثلما ذكرنا في قوله { ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين } ومن الافعال ما هو محبوب عند الله سبحانه وتعالى كما قال النبي صلى الله عليه وسلم(ان الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب ان تؤتى عزائمه)

(يعجب) كذلك هذه صفة من صفات الافعال وهي العجب وقد اثبت الله ذلك لنفسه فقد روى عنه رسوله صلى الله عليه وسلم في حديث الانصاريْيَنِ الانصاري واهله قال { عجب الله من فعلكما بضيفما البارحة) فعجب الله من ذلك ولهذا جاء في القراءات في القراءة السبعية { بل عجبتُ ويسخرون واذا ذكِّروا لا يذكرون }

(يضحك) هذا اثبات لصفة فعلية اخرى وهي صفة الضحك وقد ثبت ذلك في عدد من النصوص كقول النبي صلى الله عليه وسلم (يضحك اله الى القائم في الصف والى المصلي في جوف الليل) وكان عنده اعرابي فقال ايضحك ربنا عز وجل قال نعم قال لا يَعْدَمْكَ من رب يضحك خير (يرضى) هذه صفة اخرى من الصفات الفعليه وهي صفة الرضا والله سبحانه وتعالى يرضى الشكر لعبده ولا يرضى لهم الكفر فقال : { ولا يرضى لعباده الكفر } قال { وان تشكروا يرضه لكم } ويرضى عمن شاء من خلقه { لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة } والسابقون الالون من المهاجرين والانصار والذين اتبوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه } ويرضى ما يشاء من التشريع { اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينآ } (يستجيبُ) اي بمعنى يجيب وذلك في اجابة دعاء من دعاه فقد قال تعالى { فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين وقال تعالى { أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض } (يغضب) هذا اثبات لصفة اخرى من الصفات الفعليه وهي صفة الغضب عائذآ بالله من غضبه فإنه سبحانه وتعالى يغضب فيشتد غضبه فكل ذلك ثابت في النصوص فمن اثبات الغضب قول الله تعالى { وغضب الله عليه ولعنه } في وعيد من قتل نفسآ مؤمنة عمدآ عدوانآ { ومن يقتل مؤمنآ متعمدآ فجراءه جهنم خالدآ فيها وغضب الله عليه ولعنه } وكذلك في ذكره حلول الغضب على اليهود فإنه بين انه حل عليهم غضب الله نسأل الله السلامة والعافية وكذلك عبر عنه بالسخط كما جاء في آية الفرارم الزحف { ومن يولهم يومئذٍ دبره الا متحرفآ لقتال او متحيزآ فئة فقد باء بغض الله ومأواه جهنم وبئس المصير } وفي الايات الاخرى ذكر السخط ايضآ واما شدة الغضب ففي قول النبي صلى الله عليه وسلم (اشتد

غضب الله على قوم دَمَّوا نبيهم) اي جرحوه قال ذلك في غزوة احد وقال (اشتد غضب الله على من قتل نبيآ او قتله نبي } في قصة ابي بن خلف واشتداد غضب الله سبحانه وتعالى على اهل اخر الزمان الذين تقوم عليهم الساعة وهم حفالة او حثالة كحفالة الشعير لا يباليهم الله باله وهم شرار الخلق عليهم تقوم الساعة فيشتد غضب الله) ولذلك يقول الانبياء في طلب الشفاعة (ان ربي غضب اليوم غضبآ لم يغضب قبله مثله ولن يغضب مثله بعده) (يُبغِضُ) وهذه صفة من الصفات الفعلية المتقابله فهي مقابلة لقوله (يحب) فيما مضى فالله سبحانه وتعالى يبغض ماشاء من الاعيان من خلقه وما شاء من الافعال ايضآ فبعض الاعيان يبغضها الله سبحانه وتعالى وبعض الافعال يبغضها الله سبحانه وتعالى فمن الافعال التي يبغضها الله سبحانه وتعالى مشية الخيلاء ولذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم احد حين خرج ابو دجانة بين الصفين يتبختر قال (انها لمشية يُبغضها الله في غير هذا الموطن) فكل ما فيه تجبر وكبرياء فإن الله يبغضه وقد يوصف الشيء بأنه ابغض الى الله من غيره ولا يدل ذلك على تحريمه كما جاء حديث (ابغض الحلال الى الله الطلاق) فليس معناه انه محرم لكن معناه اقرب الحلال الى البغض (يطمس الوجوه) هذه صفة من الصفات الفعلية وهي طمس الوجوه وتغييرها وقد جاء فيه عدد من النصوص كقول الله تعالى { يا ايها الذين وتوا الكتب آمنوا بما نزلنا مصدقآ لما معكم من قبل ان نطمس وجوهآ فنردها على ادبارها او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت وكان امر الله مفعولآ } وقد كان قارئ في طريق اليمن يقرأ هذه الاية في اليل فسمعه راهب في دَيْرٍ فنزل مسرعآ واقبل الى المدينة وهو يلمس وجهه ويخاف ان يطمس الى قفاه ايمانآ وتصديقآ فأسلم وحسن اسلامه عندما سمع هذا الوعيد الشديد { يا ايها الذين وتوا الكتب آمنوا بما نزلنا مصدقآ لما معكم من قبل ان نطمس وجوهآ فنردها على ادبارها او نلعنهم كما لعنّا اصحاب السبت وكان امر الله مفعولآ } (يطبع) كذلك الصفات الفعلية انه يطبع على القلوب وقد بين سبحانه وتعالى انه طبع على قلوب اليهود والطبع على القلوب يقتضي الا تمكن منها التوبة والا يدخلها الايمان في وجه من الوجوه ولذلك بين الطبع على قلوب المنافقين في وقوله { ومنهم من يستم اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذبن اوتوا اعلم ماذا قال آنفآ اولئك الذين طبع الله على قلوبهم } فهؤلاء صرفوا عن الحق ولا يمكن ان يدخل قلوبهم لان قلوبهم قد طبع عليها فلا يمكن ان يصل اليها الحق بوجه من الوجوه ولا ان تقبله

(يقبض يبسط) صفاتان فعليتان وهما القبض والبسط ومنهما اشتقاق اثنين من اسمائه فهو القابض الباسط وهم صفتان من الصفات المتقابله فالبسط اكثار الرزق والقبض اقلاله فقد قال سبحانه وتعالى { يقبض ويبسط } وقال تعالى { مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من

بعده } مايمسك هذا القبض وقال تعالى { ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوافي الارض ولكن ينزل بقدر مايشاء } (ويعطي يمنع) من الصفات الفعلية المتقابله يعطي ويمنع فالله سبحانه وتعالى يعطي ولا مانع لما اعطى ويمنع ولا معطي لما منع ولهذا قال { وان يمسسك الله بضرٍّ فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده } وقال { وان يمسسك الله بضرٍّ فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير } وقال { أفرأيتم ماتدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون } لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجَدِّ منك الجّد كما في دعاء الرفع من الركوع في صحيح مسلم (برفع يخفض يعز ويذل) من الصفات العلية المتقابلة يخفض يرفع فإن الله سبحانه وتعالى هو الخافض الرافع وقد قال سبحانه وتعالى { قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير } فمن رفعه الله سبحانه وتعالى ارتفع ومن وضعه اتضع وقد صح في صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم ان قال : (كان حقآ على الله ان لا يرفع شيئآ من الدنيا الا وضعه) فإذا رفع شيئآ من الدنيا فسيضعه لا محالة لانه بناها على هذا التقلب ومما يرفعه الله سبحانه وتعالى " العمل الصالح "كما قال تعالى { اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه } وكذلك اهل العلم والايمان كما قال تعالى { يرفع الله الذين آمنوا منك والذين أوتوا العلم درجات } فذلك من الرفع (يعز ويذل)كذلك صفتان من الصفات الفعلية المتقابلة فمن اعزه الله فهو العزيز ومن اذله فهو الذليل وقد كتب العزة لرسوله وللمؤمنين قال { ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين } وقال { ايبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعآ } وقال { قل اللهم مالك الملك تؤتي من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء} (يكره يمقت ويهدي ويضل) كذلك من الصفات الفعلية يكره وهي معنى يمقت فالكراهة اشدها المقت { كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها } كما قال تعالى { ولا تنكوا ما نكح آباءكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتآ وساء سبيلا } وقد اخرج البخاري في صحيحه ان النبي صلى الله عليه وسلم (ان ربكم حرم عليكم وؤد البنات وعقوق الامهات ومرعى الوهات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال) فذلك مما كرهه الله سبحانه وتعالى (ويهدي ويضل) هاتان الصفاتان من الصفات الفعلية المتقابلة وهما الهداية والاضلال فيهدي الله من يشاء الى سبيله ويضل من يشاء والمقصود بالهداية هنا هداية التوفيق وقد سبق ان بينا بالامس ان الهداية تنقسم الى قسمين : الى هداية ارشاد " وهداية توفيق " وان هداية التوفيق لا يقدر عليها الا الله وحده وان هداية الارشاد يمكن ان تقع من المخلوق فالله وحد هو الذي يهدي من يشاء ومن لم يرد الله هدايته لا يمكن ان يهتدي بحال من الاحوال { فمن يرد الله ان يهديه

يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقآ حرجآ كأنما يصعّدفي السماء } ولذلك فإنه جعل الايمان نورآ يهدي به من يشاء من عباده ويمنعه من يشاء كذلك ولهذا قال { ولو شاء ربك لأمن من في الارض كلهم جميعآ افأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس ان تؤمن الا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون } وله في ذلك حكمته البالغة فمن علم فيه الخير هداه ومن علم فيه الضلالة اضله كما قال تعالى { ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرآ لأسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون } وقال {يُؤفك عنه من أفك } وقال { ولو اراد الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انباعثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالآ ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين } وقال تعالى { ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد يدعو لَمَن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير } (يُقبل يُعرض) هاتان الصفتان ايضآ من صفات الافعال المتقابلة فيقول : يُقبل يعرض اي يقبل سبحانه وتعالى على العبد ويعرض عنه فقدصح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان قال (ولا يزال الله مقبلآ على العبد وهو في صلاته ما لم يلتفت فإذا التفت اعرض عنه وقال يا ابن آدم الى مَ تلفت انا خير مما التفت اليه) (يقبل يعرض ، يتوب يرحم) كذلك من الصفات الفعلية التوبة وتوبة الله سبحانه وتعالى قسمان : " توبته على العبد بتوجيهه ليتوب وتوبته عليه بعد توبة العبد بقبول التوبة فالتوبة إذآ ثلاث مراتب : أولآ ان يتوب الله على العبد بأن يوفقه للتوبة ويوجهه اليها ، ثانيآ بتوبة العبد الى الله بندمه على ما فرط في جنب الله ، ثالثآ بتوبة الله على العبد بقبول التوبة منه ولذلك قال تعالى { لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ماكاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم } التوبة توبتان من عند الله { إنه بهم رؤوف رحيم } ثم قال { وعلى الثلاثة الذين خلفوا } اي لقد تاب الله على الثلاثة الذين خلفوا والمقصود هنا التوية الاخيرة التي هي قبول التوبة لانه قال { وعلى الثلاثة الذين خلفوا } فبدأ بالتوبة الاخيرة التي هي قبول التوبة تبشيرآ لهم لانهم كانوا في هم وغم لا يعلمه الا الله { وعلى الثلاثة الذين خلفوا } اي لقد تاب الله على الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان الا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم وهذا التوبة الاولى ليتوبوا وهذه توبة العبد وهي المرتبة الوسطى من التوبة الله سبحانه وتعالى هوالذي يقبل التوبة عن عباده ويتوب على من يشاء من عباده (يرحم) ذه اثبات لصفة الرحمة وقد سبق ذكرها وهذه الصفة اشتق الله منها لنفسه اسمين فهو الرحمن الرحيم وقد كتبها على نفسه فقال { كتب ربكم على نفسه الرحمة } وقد

ذكرنا ان الرحمة تنقسم الى قسمين :الى صفة من صفات الله والى فعل من فعل الله ففعله هو المخلوق لقول النبي صلى الله عليه وسلم (ان الله خلق الرحمة يوم خلقها مئة رحمة فادخر عنده تسعآوتسعين رحمة لعباده المؤمنين في الجنة وانزل رحمة واحدة في الدنيا ففيها يتراحم الاخلائق فيما ابينهم حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها) وقد ذكرنا ان الرحمة التي هي صفة الله وسعت كل شيء كما قال { ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون } وهذه الرحمة رفهعا الله سبحانه وتعالى عن المتخالفين بغير حق فقال { ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم } فالخلاف منافٍ للرحمة الخلاف بغير حق مناف للرحمة وقد حض النبي صلى الله عليه وسلم على التخلق بها فصفات الله منها ما هو للتعلق والتخلق ومنها ما هو للتعلق دون التخلق فالرحمة من الصفات التي هي للتعلق والتخلق فالتعلق معناه ان يدعى الله بها { وله الاسماء الحسنى فادعوه بها } { قل الله او ادعوا الحرحمن ايما تدعوا فله الاسماء الحسنى } والتخلق هو الاتصاف بما يليق بالمخلوق مما مسماه صفة الله"كالرحمة "فيحسن بالمخلوق ان يتصف بما يليق به من الرحمة ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المسلسل بالاولية وهو الذي يرويه سفيان ابن عيينة عن عمرو ابن دينار عن ابي قابوسَ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء) وكذلك الحديث الذي اخرجه البخاري في الصحيح من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (إنما يرحم الله من عباده الرحماء) وقد اخرج اصحاب السنن واحمد في المسند ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (لا تزال امتي بخير ما دام كبيرها يرحم صغيرها وصغيرها يوقر كبيرها)وامر النبي صلى الله عليه وسلم بالتراحم في هذه الامة لان الله اثنى عليها ذلك فقال { محمد رسوالله والذين معه اشاداء على الكفار رحماء بينهم } وقال (لكل دين خلق وخلق الاسلام الرحمة) فخلق هذا الدين هو الرحمة ولهذا يقول احد العلماء : إرحم بُنَيِّ جميع الخلق كلَّهُمُ .. وانظر اليهم بعين الرفق والشفقه .. وقّر كبيرهمُ وارحم صغيرهمُ .. وراعِ في كل خلق حق من خلقه ، (يأخذ منا الصدقات) هذه ثفة فعلية وهي اخذ الصدقة من العباد اي قبولها منهم فاله سبحانه وتعالى يقول : { الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وان الله هو التواب الرحيم } فأثبت لنفسه انه يأخذ الصدقات من العباد وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فيما اخرج البخاري في الصحيح (من تصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا طيبآ كان كأنما وضعها في يمين الرحمن فلا يزال ينميها له كما ينمي احدكم فَلُوَّه او فصيله حتى تكون كالجبل) والفلو ولد الفرس والفصيل ولد الناقة فلا يزال ينميها له هذه المضاعفة فالله يقبلها بعشر اضعافها لكل احد ثم يضاعف بعد ذلك لمن يشاء الى سبع مئة ضعف الى اضعاف كثيرة والله يضاعف لمن يشاء الا

كان كأنما وضعها في يمين الرحمن فلا يزال ينميها عنده كما ينمي احدكم فلوه او فصيله حتى تكون كالجبل (يأخذ منا الصدقات يطعِمُ وليس يُطعَمُ) هذه صفة وردة بالايجاب والسلب فورودها بالايجاب ان الله سبحانه وتعالى يطعم اي هو الذي يطعم عباده جميعآ فلن احد منهم رزقآ الا منه سبحانه وتعالى (وليس يطعم) اي لا يمكن ان يطعمه عباده تعالى عن ذلك وقد صرح بهاذ في قوله { وهو يطعم ولا يطعم } وَلَيسَ يُطْعَمُ ، وَلَنْ يَنَالَهْ

لُحُومُ أو دِمَاءُ مَا يُهدَى لَهْ

هذه صفة من الصفات السلبية اي المنفية فقد قال الله سبحانه وتعالى { لن ينال الله لحومها ولا ماءها ولكن يناله التقوى منكم } فلهذا قال (ولن يناله لحوم او دماء ما يهدى له)فما يهديه العباد الى الله سبحانه وتعالى من الهدي لا يناله لحومه ولا دماءه كما قال تعالى { لن ينال الله لحومها ولا ماءها ولكن يناله التقوى منكم } لا تُدْرِكُ الأبْصَارُ مِنهُ الكُنْهَا

وَهْوَ الذِي يُدْرِكُ ذاكَ مِنهَا

{ لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير } هذه الصفة ايضآ جاءت بالايجاب والسلب فبالايجاب وهو يدرك الابصار وبالسلب لا تدركه الابصار اي انها لا تحيط به ولا يمكن ان تحيط بها الرؤية الرؤية رؤية العباد لله يوم القيامة لا يمكن ان تحيط به فهو سبحانه وتعالى العلي الكبير لا تحيط به رؤية العباد وهو يدرك الابصار اي يبصر المبصرات جميعآ ويدرك الابصار وهو اللطيف الخبير ولذا قال (لا تدرك الابصار منه الكنها .. وهو الذي يدرك ذاك منها) فإنه يدرك الإبصار والأبصار يدرك كل ذلك

نقف إذآ عند هذا الحد واقول قولي واستغفر الله لي ولكم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله واصحابه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته الى يوم الدين

الشريط الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ حفظه :

يَغَـــارُ أنْ يَـــزْنِيَ عَبْـــدٌ أوْ أَمَـــهْ لهُ ، وَيسْتَحْيي – عَلَا – ، مَا أَكْرَمهْ !

يستحيي من الحق ولذلك قال { يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين إناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق } وفي حديث ام سليم رضي الله عنها انها قالت (يارسول الله غن الله لا يستحيي من الحق أرأيت المرأة اذا احتلمت ايجب عليها الغسل قال نعم)

كذلك { ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلآ ما بعوضة فما فوقها } كان هذا ردآ على المشركين حين انزل الله تعالى { يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابآ ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئآ لا يستنقذوه منه ذعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره } في سورة الحج فاستنكر المشركون ذلك لانه حجة قاطعة لشركهم ولا يمكن ان يجادلوا فيها فبحثوا عن وجه آخر فقالوا : (كيف لا يستحيي ربك من ان يضرب مثلآ حتى بالذبابة والبعوضة) فأنزل الله تعالى { ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلآ ما } اي اي مثل { بعوضة فما فوقها } وبين ان اهل الايمان يصدقون بذلك ويؤمنون به وان اهل الشرك والذين في قلوبهم مرض هم الذين يستنكفون عنه

لهذا قال : { اما الذين ىمنوا قيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلآ } وبين حكمته فقال { يضل به كثيرآ ويهدي به كثيرآ وما يضل به الا الفاسقين }

وَلَيسَ يَأذَنُ لِشَيءٍ أَذَنَهْ

إلى تِلاوَةِ نَبِيٍّ حَسَنَهْ

هذا ايضآ جامع لصفتين صفة في الايجاب والسلب وهي صفة الأَذَنِ والأذَن الاستماع فإن الله سبحانه وتعالى ما أذن لشيءٍ ما اذن لنبي يقرأ القرآن او يتغنى بالقرآن فقال (ليس يأذن لشيء أذنه الى تلاوة نبي حسنه) ولو قال يتغنى بالقرآن ما أذن الله لشيء أذنه لنبيٍ يتغنى بالقرآن فأذنه اثبات الى انه يأذن لذلك

يستمعوا اليه (وليس يأذن لشيء) مثلما يأذن لذلك في السلب اي ان اذنه للاشياء هو يسمع كل شيء لكن استماعه ابلغه واحبه اليه ما كان الى تلاوة نبي حسنة فهذا احب مسموع الى الله سبحانه وتعالى والأَذن السماع ومن قول الشاعر :

ان يسمعوا سُبةً طاروا بها فرحآ .. عني وما سمعوا من صالح دفنوا

صمٌ اذا سمعوا خيرآ ذُكِرتُ به .. وان ذُكِرتُ بسوء عندهم أذِنوا

صم اي لا يسمعون اذا سمعوا خيرآ ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا ، استمعوا الى ذلك هذا مثل قول الآخر :

إن يعلموا الخير أخْذوه وان علموا ..شرآ اذاعوا وان لم يعلموا كذبوا

فهذا حال المنافقين في كل زمان ومكان ان يعلموا الخير أخفوه وان علموا شرآ أذاعوا وان لم يعلموا كذبوا

وليس يأذن لشيء اذنه الى تلاوة نبي حسنة الى نبي يتغنى بالقرآن وذلك تلاوته له والتلاوة في الاصل اتباع القارئ لكلام المتكلم فالمتكلم بكلامه هو بكلام نفسه لا يسمى تاليآ فلا تقول تلوت كلامي عليكم انما تقول ذلك اذا كان الكلام كلام الله او كلام رسول الله او كلام من سبقك الى الكلام فانت تتلو كلامه اي تتبعه بكلامه ولهذا فالقرآن كلام الله سبحانه وتعالى ولو قرأناه نحن فنحن انما نتلوه فقط اي نتبع كلام الله سبحانه وتعالى(الى تلاوة نبي) والنبي فعيل من النبأ او من النبوة وهي الارتفاع ونبي اما ان تكون فعيلآ بمعنى فاعلٍ او فعيل بمعنى مفعول فإن كانت بمعنى مفعول فهو المنبَئ عن الله اي الذي يأتيه الوحي من عند الله وان كانت بمعنى منبئ بمعنى فعيل فهو منبئ عن الله اي مخبر عنه والنبأة المكان المرتفع وذلك ان النبوة مكان مرتفع مكانة عالية عند الله سبحانه وتعالى (الى تلاوة نبي حسن)

وَلخُلُوفُ فَمِ ذِي الصَّوِمِ الزَّكِيْ

أطيبُ عِنْدَهُ مِنَ المِسْكِ الذَّكِيْ

الخَلُوف والخُلوف تغير رائحة الفم بسبب الجوع اي ما يحصل من آثار زيادة الاحماض في المعدة بسبب الجوع فيتغير منه الفم وليس التغير بسبب ترك السواك او التغير القبيح فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (لخلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك) فالخلوف هنا هو التغير من الجوع

وذلك انه قد اطاع االله فامتنع عن شهوته وطعامه وشرابه طاعة لله سبحانه وتعالى وتغلب على هواه وانتصر على نفسه بذلك فاستحق الاجر العظيم ومن هنا فإن الله سبحانه وتعالى جعل تغير رائحة فمه من اجل الجوع اطيب عتنده من المسك الذكي سبحانه وتعالى والاستطابة هنا تقتضي الرضا بذلك فإن الله اذا استطاب شيئآ معناه انه طيب قطعآ وهذا فيه اثبات لصفة الاستطابة للرائحة كما ان الاول فيه اثبات لصفة الاذن للصوت فالاصوات المرضية عند الله يأذن لها والروائح المرضية عنده يستطيبها وهما صفتان من الصفات الفعلية

يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ، لا يُسْتَكْرَهُ

وَهُوَ بَالِغٌ – تَعَالَى– أَمْرَهُ

في ذكره لصفات الافعال هنا جاء بأصلها وهو ام الله تعالى يفعل مايشاء وقد اثبت ذلك لنفسه في كتابه فقالفي قصة زكريا عليه السلام { هنالك دعا زركيا ربه فقال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقآ بكلمة من الله وسيدآ وحصورآ ونبيآ من الصالحين قال رب انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء } فالله سبحانه وتعالى يفعل مايشاء ولهذا قال :

{ وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد } فعال لما يريد اي يفعل مايشاء فكل ماشاءه سبحانه وتعالى من الافعال فعله ولا يشاء الا الحسن فكل افعاله هي الافعال الحسنة فالافعال القبيحة لا يمكن ان تنسب اليه والافعال التي يستقبحها الناس وليست قبيحة لا يحسن نسبتها الى الله سبحانه وتعالى بل تنسب الى السبب او تنسب مع ضدها الحسن اليه فمن نسبة ذلك الى السبب او ان تنسب الى المجهول بأن تبنى للمجهول فمن نسبتها للمجهول قول ابراهيم عليه السلام { الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين } هنا لم يقل واذا امرضني فهو يشفين قال واذا مرضت تأدبآمع الله سبحانه وتعالى وكذلك نسبتها الى السبب مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم (الخير كله بين يديك والشر ليس اليك) الشر ليس اليك لم يقل ليس منك (أنا بك واليك) الشر ليس اليك فلا ينسب الشر المحض الى الله سبحانه وتعالى (يفعل مايشاء لا يُستكره) لا يستكره تأكيد للمشيئة فإنه سبحانه وتعالى لا مستكره له كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (لا يقل احدكم اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت وليجزم المسألة فإنه لا مستكره له) والمسكره هو الذي يُكره

المخلوق على ما لا يريده والله سبحانه وتعالى لا مستكره له فلا يمكن ان يقع شيء في العالم كله الا بإرادته (وهو بالغ تعالى امره) هذا من تمام الارداة والقدرة فالله تعالى يقول { ان الله بالغُ امره } وفي القراءة السبعية { ان الله بالغٌ امره }وهي التي قرأ بها الشيخ هنا (وهو بالغٌ تعالى امره) والقراءة الاخرى قراءة الكوفيين { إن الله بالغ امره } ومعنى ذلك ان ما امر به وما اراده لا بد ان يقع فلا مستكره ثم شرح ذلك فقال :

فَمَا يَشأْ فِينَا يَكُنْ لَو لمَ نَشَا

وَلا يَكُونُ مَا نَشَا مَا لَمْ يَشَا

وهذه المسألة من مسائل القدر وقد سبق بيانها في مسائل القدر فقال (فما يشأ فينا) اي ما ارد الله بمشيئته الكونية فينا اي في المخلوقين جميعآ يكن كما اراده لانه قال { أنما امره اذا اراد شيئآ ان يقول له كن فيكون } { لو لم نشاء }معناه ولو لم نشأ نحن ذلك (ولا يكون ما نشا ما لم يشا) معناه مانشاءه نحن وما نريده لا يمكن ان يقع الا ان يشاءه الله بل لا يمكن ان نشاءه الا ان يشاءه الله قال الله تعالى { لمن شاء منك ان يستقيم وما تشاءون الا ان يشاء الله رب العالمين }

وَلا يَضِلُّ – جَلَّ – أو يَنْسَى، وَلا

تَأخُذُهُ سِنَةٌ اْو نَومٌ – عَلاَ –

هذا من النفي المجمل وهومن الصفات الفعلية المنفية ومن ذلك لا يضل ولا ينسى كما في قوله تعالى { ولا يضل ربي ولا ينسى } في سورة طه لا يضل ولا ينسى والضلال يطلق على التحير اي عدم المعرفة ويطلق كذلك على فقد الصواب فإن يتصرف على غير صوابٍ والله سبحانه وتعالى لا يضل فلا يمكن ان يتصرف اي تصرف الا على وفق مراده ووفق الصواب الذي قدره ووفق الحكمة الذي ربط بها خلقه (ولا ينسى) فلا يعروه النسيان لان النسيان نقص والنقص عليه محال(ولا يضل جل) ادخل الثناء عليه سبحانه وتعالى بين الصفتين المنفيتين (ولا يضل جل او ينسى) (ولا تأخذه سنة او نوم علی) من تمام قيومته للعالم انه لا تأخذه سنة ولا نوم كما قال ذلك في ثنائه على نفسه { الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم } والسنة اخف شيء من النعاس اخف مايمكن من النعاس ولانوم اقواه فنفى الاصغر والاكبر فقال { لا تأخذه سنة ولا نوم } وقد اخرج مسلم في الصحيح ان النبي صلى

الله عليه وسلم قال (ان الله قيوم لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يرفع القسط ويرفعه) فهو سبحانه وتعالى القيوم الذي لا ينام ولا تأخذه سنة او نوم (على)معناه

تعالى عن ذلك علواً كبيراً فكل الصفات المنفية يقال بعدها تعالى عنها علواً كبيراً

لا يَظْلِمُ العِبَادَ ذَرَّةً، وَلا

يُحْصُونَ مَا لَهُ عَليهِم مِن إِلَى

من الصفات السلبية المنفية عنه سبحانه وتعالى المسلوبة عنه الظلم فهو لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس انفسهم يظلمون كما اثنى على نفسه بذلك فقال { ان الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس انفسهم يظلمون } قال { وما ربك بظلام للعبيد } وقال { ان الله لا يظلم مثقال ذرة ولن تك حسنة يضاعفها ويوتِ من لدنه اجراً عظيماً } وقد اختلف الناس في معنى نفي الظلم عن الله تعالى فذهب المتكلمون الى ان نفي الظلم عنه معناه ان كل تصرفه عدل لانه تصرف المالك في ملكه وتصرف المالك في ملكه يسمى عدلاً لا جوراً فأباحوا في حقه ان يعذب المطيع وان ينعم العاصي وان ذلك لا يكون ظلماً في حقه والمذهب الحق في هذا انه سبحانه وتعالى قادر على الظلم لكنه حرمه على نفسه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عن ربه عز وجل انه قال (ياعبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا) فقد حرم الظلم على نفسه فلايمكن ان يعذب المطيع اذا تقبل منه ولا يمكن ان ينعم العاصي بسبب عصيانه فذلك كله مناف لتمام العدل ولهذا قال { وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم } قال تعالى { ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون } فكل ذلك من عند الناس ولا يمكن ان يقع منه هو سبحانه وتعالى اي ظلم ولا اي جور لهذا قال (لا اظلم العباد ذرة) كما في قوله { ان الله لا يظلم مثقال ذرة } (ولا يحصون ما له عليهم من الى) في المقابل لا يحصي العباد ما له عليهم من النعم و (الى) النعم وهي النعمة وجنسها آلاء وهي جمعها { فبأي الاء ربكما تكذبان } الآلاء جمع إلىً وهي النعمة (ولا يحصون ما له عليهم من الى) لقول الله تعالى { وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها } فنعمه سبحانه وتعالى لا يمكن ان تحصى بحال من الاحوال كل فرد من الناس ولو كان اهونهم حالاً وادناهم درجة لا يمكن ان يحصي نعمة الله عليه فما من شعرة ولا عظمة ولا ذرة ولا وقت يمضيه في الحياة الا هو نعمة من نعم الله عليك

يُفتِي ، وَيَشْهَدُ ، وَيقْضِي ، يَحكُمُ

بالحقِّ ، يَسْتَفْهِمُ – وهْوَ أعْلَمُ–

رجعنا الى الصفات الموجبة اي المثبتة لله سبحانه وتعالى من الصفات الفعلية فقال يفتي وهذه الصفة اثبتها الله سبحانه وتعالى لنفسه في قوله { يستفونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء } والافتاء الاخبرا بالحكم الشرعي لا على وجه الالزام وعكسه القضاء فهو الاخبار بالحكم الشرعي على وجه الالزام (ويشهد) فهذه صفة فعلية اثبتها الله لنفسه { وكفى بالله شهيدا} قال تعالى { لكن الله يشهد بما نزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدآ } قال تعالى { شهد الله انه لا اله الا هو والاملائكة والو العلم } فأثبت الشهادة لنفسه سبحانه وتعالى والشهادة هي الاخبار بالحق وهي في العرف الفقهي تختلف عن الاقرار والدعوى وقد قال القرافي رحمه الله " مكثت ثمان سنين ابحث عن الفرق بين الدعوى والشهادة والاقرار فلم اجده ثم تبين لي ان القول على تقدير صحته إن اقتضى حقآ لقائله على غيره فهو دعوى وان اقتضى حقآ لغير قائله عليه اي على قائله فهو اقرار وان اقتضى حقآ لغير قائله على غيره فهو شهادة إن اقتضى القول حقآ لغير قائله على غيره هذه الشهادة ، وان اقتضى حقآ لقائله على غيره دعوى ، وان اقتضى حقآ لغير قائله عليه فهو اقرار وهذا الفرق دقيق هدي له بعد ثمان سنوات من التنقيب (ويقضي) هذه صفة فعلية اخرى اثبتها الله لنفسه واثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم { والله يقضي بالحق } والقضاء ورد لعدة معانٍ : فورد القضاء بمعنى الحكم كقول الله تعالى { والله يقضي بالحق والذين تدعون من دونه لا يقضون بشيء } وكما في قوله تعالى { وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانآ } وكذلك ورد للانهاء اي الابلاغ مثل قول تعالى { وقضينا اليه ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين} اي ابلغناه ومثله الاتمام لقول الله تعالى { قضي الامر الذي تستفتيان } اي اكمل { فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله } اي اتم الاجل وكذلك قوله تعالى { فقضاهن سبع سموات في يومين } اي اتم خلقهن ويطلق كذلك على الموت مثل قول تعالى { فوكزه موسى فقضى عليه } اي قتله (ويقضي يحكم) هذا تفسير ليقضي وهي صفة الحكم والله سبحانه وتعالى اثبت هذه الصفة الفعلية لنفسه فقد قال تعالى { وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله } وقال { ان الحكم ان لله } والحكم حكمان : حكم تشريعي " وحكم قدري وكلاهما لله فلا يمكن ان يشرع الا الله وحده لا التشريع مبناه على العلم بمآلات الامور والمخلوق لا يمكن ان يعلم مآلات الامور يمكن ان يظن ان الشيء مصلحة الان ثم يوقن بانه مفسدة فلذلك لا يمكن ان يشرع تشريعآ ثابتآ الا الحي القيوم العالم الخبير ولهذا قال { الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير } ما المخلوق

فإذا شرع وقنن فسيتراجع عن قانونه ولذلك تسمعون كل يوم القانون الفلاني الصادر بتاريخ كذا المعدل بالقانون رقم كذا يصادف تاريخ كذا لان البشر لا يمكن ان يدركوا مآلات الامور وما تعود اليه ولا يعلم ذلك الا الله سبحانه وتعالى فهو وحده الذي يستحق التشريع ولهذا قال { ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله } فجعلوا ذلك شركآ وقد جعل الله كل قانون سوى شرعه دينآ خارجآ عن دينه فقال { كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله } في دين الملك اي في قانونه وقد اجتمع الحكم الشرعي والقدري في آيتين متشابهتي اللفظ في سورة يوسف ففي الاية الاولى حكى الله تعالى عن يعقوب عليه السلام انه قال لاؤلاده { ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون } فإن الحكم الا لله هنا المقصود بها الحكم القضائي القدري وفي كلام يوسف لصاحبي السجن قال { ان الحكم الا لله امر ان لا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم } وهذا الحكم التشريعي لهذا قال (ويقضي يحكم بالحق) (يستفهم وهو اعلم) فالله سبحانه وتعالى اثبت لنفسه صفة الاستفهام يستفهم اي يسأل وذلك الاستفهام ليس عن جهل ولا لطلب الاستخبار بل هو اعلم بكل الامور فذلك الاستفهام تارة يكون لتنبيه مثل قوله لموسى { وما تلك بيمينك ياموسى } هذا استفهام من الله لموسى لكن المقصود ان ينتبه لها الان وان يعرف انها عصا فسيتقلب ذلك قريبآ فأنت الان تراها عصآ قال هي عصاي اتوكئ عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مآرب اخرى } وهنا حصل الاطناب في الجواب والاطناب هو الزيادة على محل السؤال تلذذآ واخذآ للمزية فإن الله شرفه بهذا التشريف العظيم حين خاطبه كفاحآ ليس بينه وبينه ترجمان فأراد هو ان يطيل المحاورة فمقتضى الخطاب اذا قال له ما تلك بيمينك ان يقول عصآ لكنه قال هي عصايَ اتوكئ عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مآرب اخرى فأطال الكلام في المحاورة طال الكلام لاطالة المحاورة للتمتع بهذه المزية العظيمة التي شرفه الله بها { قال القها ياموسى فألقاها فإذا هي حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرته الاولى } كذلك قد يأتي الاستفهام منه سبحانه وتعالى للانكار مثل قوله تعالى { أفي الله شك } فهذا للانكار معناه لا شك في الله سبحانه وتعالى مثل قوله { اليس ذلك بقادر على ان يحي الموتى } { اليس الله بأحكم الحاكمين } وذلك لتقرير الناس بهذا الاستفهام هنا تقريري فإذآ ثلاثة انواع " استفهام تنبيهي " واستفهام انكاري " واستفهام تقريري "هذه هي استفهامات الله سبحانه وتعالى لعباده فليس فيها استفهام استخباري لانه اعلم فلهذا قال(يستفهم وهو اعلم

وَمَا لَهُ مُعِينٌ أو ظَهِيرُ

ومَا لَهُ نِدٌّ وَلا نَظِيرُ

(ما له معين) لا يحتاج اليه سبحانه وتعالى لا يحتاج الى شيء من خلقه (وما له ظهير) والظهير ايضآ هو المساعد فلا يحتاج اليه (وما له ند) وهو الضد والمقابل ولا نظير النضد الضد والنظير المماثل فكل ذلك منفي عنه سبحانه وتعالى وكل هذا في النصوص

وَلَمْ يَكُنْ يَؤُودُهُ حِفْظُ السَّمَا

وَالأَرْضِ أو يُعجِزُهُ مَنْ فِيهِمَا

لم يكن يؤوده حفظ السما والارض أو يعجزه من فيهما اي انه سبحانه وتعالى لا يؤوده اي لا يثقله حفظ السما والارض فهو يمسكهما ان تزولا كما قال تعالى { ان الله يمسك السموات والارض ان تزولآ ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده } ولذلك فإن قريشآ سؤلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا (تزعم ان ربك رفع السموات بلا عمد فكيف استقرت في الهواء) فأنز ل الله تعالى { الم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله } فهذه الطير يرونها في جو السماء محلقة لا يمسكهن الا الله فذلك من تمام قدرته سبحانه وتعالى قود قال في آية الكرسي { وسع كرسيه السموات الارض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم } (ولم يكن يؤود حفظ السما والارض) وقد حفظهما وهذا الحفظ انواع : فمنه حفظ اقطارهما من خروج الانس والجن منهما فقد قال تعالى { يمعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان } فقد حفظهما الله سبحانه وتعالى بذلك ومثل ذلك من الحفظ ايضآ حفظ البقاء والتدبير فالممكن الموجود يحتاج في بقاءه الى المؤثر ومن هنا فإنه سبحانه وتعالى هو الذي يمسكهما ان تزولا وقد نصب في الارض الجبال لئن لا تميد بالناس وجعل في السماء نظير ذلك فجعل في العالم العلوي اربعة انواع من انواع الخلق وفي العالم السفلي اربعة انواع من انواع الخلق فقال تعالى { قل ائنكم لتكفرون بالذ خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادآ ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها } هذا الجبال { وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواءآ للسائلين } إذآ هذه اربعة انواع من انواع الخلق السفلي " الارض ، والجبال ، والبركة ، والارزاق التي في الارض كذلك بعدها { ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعآ او كرهآ قالتا اتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين } هذا القسم الاول من اقسام المخلوقات العلوية { واوحى في كل سماء امرها } وهذا الامر الذي اوحاه في السماء يقابل البركة

في الارض قال { وبارك فيها } ثم قال { وزينا السماء الدنيا بمصابيح } وهذه تقابل الجبال في الارض مصابيح في السماء الدنيا تقابل الجبار في العالم السفلي ثم قال { وحفظآ } هذا النوع الرابع من انواع الخلق في العالم العلوي وهو يقابل الاقوات في الارض فإذآ هذه اربعة اقسام في العالم السفلي تقابلها اربعة في العالم العلوي السموات تقابل الارضين واللزوم تقابل الجبال ، والبركة يقابها الامر الذي اوحاه الله في السماء لانه قال { وبارك فيها } والاقوات تقابلها الحفظ في السماء

(او يعجزه من فيهما) معناه لم يكن يعجزه من فيهما فكل الخلائق في السموات وفي الارض لا يمكن ان يعجزوه فقدرته محيطة بالجميع ولذلك فإن الجن حين آمنوا قالوا { وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربآ } فلا يمكن ان يعجزه احد من في السموات ومن في الارض فكلهم عباده { كل من في السموات والارض الا آتي ارحمن عبدآ لقد احصاهم وعدهم عدآ وكلهم آتيه يوم القيامة فردآ }

لَمْ يَعْيَ بِالخَلْقِ ابْتِدَاءً مِنْ عَدَمْ

كَذَاكَ لا يَعْيَى بِإحيَاءِ الرِّمَمْ

هذه صفة اخرى يتعلق بها الايجاب والسلب باعتبار الحال قال (لم يعي بالخلق ابتداءآمن عدم) لان الله سبحانه وتعالى لم يعي بخلقهن كما اخبر بذلك عن نفسه ومعنى انه لم يصبه نصب ولا لغوب من خلق السموات والارض ولا يمكن ان يعيى بالخلق فإنه لم يعيَ بخلق الاولين كما ذكر ذلك في سورة ق { افعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد } وقد ذكر الله ذلك في سياق اثبات البعث فلهذا قال الشيخ (كذلك لا يعيى بإحياء الرمم) كذلك لا يعيى اي لا ينصب ولا يتعب بإحياء الرمم اي ببعث الاموات والرمم جمع رمة وهي القبر والمقصود من فيه الرِمة بالكسر القبر والرُمة بالضم بقية الحبل الرِمة في الكسر فيها قول توبة بن الحُمَيِّرِ العامري :

ولو تلتقي اصداءُنا بعد موتنا .. ومن بين رمسيْنا من الارض سبْسَبُ

لظل صدى صوتي وان كنت رِمةً .. لصوت صداى ليلى يَهَشُ ويَطْرَبُ

إن كنت رمة اي قبرآ لصوت صدى ليلى يهش ويطرب

والله سبحانه وتعالى اثبت البعث بعد الموت وذكر في خواتيم سورة ياسين سبعة ادلة على البعث فقال { اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين } هذا الدليل الاول هو التغير من حال الى

حال فالإنسان بخلقه يمر بتسع مراحل بينها في آية سورة المؤمنون في قوله { ولقد خلقنا الانسا من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحماً ثم انشأناه خلقاً آخر } والمقصود بإنشاءه خلقاً آخر تناميه منذ ولد الى ان يبلغ اشده ثم يبدأ في الانحطاط فيبدأ بالضعف ثم بالقوة ثم يرجع الى الضعف والشيبة كما بين الله ذلك في كتابه { فتبارك الله احسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون } هذه تسع مراحل لخلق الفرد الواحد فإذا كان الحال كذلك فالحادث الذي تعروه الاحداث المتغيرة وتمر به الأحاييل المتباينة لا بد له من مدبر يسيره على وفق ذلك والمدبر الذي قدر على تغيره من حال الى حال منذ كان سلالة من طين الى ان كان بشراً سوياً وقد مر بمراحل متباينة عجيبة ذكرت منها في هذه الاية النطفة { إنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين } وهذا ابلغ ما يصل اليه الانسان عندما يصل الى تمام القدرة على الحديث والكلام فيكون خصيماً اي صاحب حجة وعقل مبين اي يبين عن حجته كثير من الناس خصيم غير مبين وكثير منهم مبين غير خصيم والذي يجمع الامرين لديه حجة بعقله وثباته ولديه نطق يمكن ان يعبر بها عن حجته هذا الذي جمع الكمال { فإذا هو خصيم مبين } ثم قال { وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم قل يحيها الذي انشأها اول مرة } هذا استدلال بالنشأة الاولى على النشأة الثانية فالنشأة الاولى دليل على النشأة الثانية فالنشأة الاولى اليست في مقتضى العقول اصعب وابعد من النشأة الثانية الشيء الذي انشئ من عدم لم يسبقه مثال اليس انشاءه ثانياً اسهل من انشاءه في المرة الاولى وقد اا ستدل الله بالنشأة الاولى على النشأة الثانية ايضاً في سورة الواقعة في قوله { افرأيتم ماتمنون أأنتم تخلقونه ام نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم وننشأكم فيما لا تعلمون ولقد لعمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون } فلولا تذكرون معناه فهلا تذكّرون بها { قل يحيها الذي انشأها اول مرة } ثم استدل بالدليل الثال على البعث وهو تمام علمه فقال { وهو بكل خلق عليم } فالبعث من تمام ادلته علم الله بما تنقص الارض من اجسامهم فلذلك هو قادر على اعادتها كما ابتلعتها الارض كما سلط عليها الارض يسلطها هي على الارض حتى تنبت منها وتعود { أيحسب الانسان ان لن نجمع عظامه بلى قادرين على ان نسوي بنانه } الدليل الرابع " الذي جعل لكم من الشجر الاخضر ناراً إخراج الضد من ضده فهم ينكرون ان هذه العظام الرميم ستعود فيها حياة فقال انتم تؤمنون بإخراج الضد من ضده فهذه النار المحرقة التي تحرق الاخضر واليابس اخرجها الله من الشجرة الخضراء هذا اخراج الضد من ضده { من الشجر الاخضر ناراً فإذا انتم منه توقدون } الدليل الخامس قوله { أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم } هذا الاستدلال بخلق الاكبر على خلق الاصغر اليس قادراً على خلق السموات العلى

وعلى خلق الارض الكبيرة فكيف لا يقدر على خلق انسان صغير لا يساوي شيئآ مما في الارض ولا يساوي لبنة من لبنات السماء فلذلك استدل بخلق الاكبر على خلق الاصغر { قل اي وربي انها لحق } وفي قوله { ق والقرآن المجيد } معناه ق والقرآن المجيد لتبعثن هذا المقسم عليه، المجيد الممجد المعظم والمجد الرفعة والمكانة ومنه الماجد الذي يثنى به على الشخص إذآ استدلال بالقسم في قوله{ بلى } {بلى وهو الخلاق العليم } الدليل السابع قوله { إنما امره اذا اراد شيئآ ان يقول له كن فيكون } وهذا الدليل هو تمام قدرته سبحانه وتعالى وانه لا يحتاج الى علاج بل يأمر امرآ لذلك قال { انما امره اذا اراد شيئآ ان يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون } وقد جاء في اثبات البعث في القرآن سبع مائة وسبعةٌ وستون آية كلها لاثبات البعث بعد الموت وذلك انه كان عند المشركين اعظم امر جاء به النبي صلى الله عليه وسلم اعظم امر استنكروه هو البعث بعد الموت وهو الذي يترتب عليه كل شيء يترتب عليه امر الآخرة وامر الجنة والنار يترتب عليه امر الطاعة والمعصية في الدنيا يترتب عليه طلب الثواب وخوف العقاب كله يترتب على البعث بعد الموت فهو النقطة المركزية ولذلك جاء التأكيد على الايمان به كثيرآ في القرآن فلهذا قال :

لَمْ يَعْـيَ بِالخَلْـقِ ابْتِـدَاءً مِـنْ عَـدَمْ   كَـذَاكَ لا يَعْـيَى بِإحيَـاءِ الـرِّمَمْ

يُحْـدِثُ مَـا يَشَـاءُ مِـنْ خَلْـقٍ وَمِـنْ   ذِكْـرٍ ، فَمَـا أَحَـدَثَ مِـن ذِكْـرٍ يُقِـنْ

أنْ لَـيسَ مَخْلُوقَـاً لأنَّ الُمحْـدَثَ الـ   إنـزَالُ، أمَّـا الـذِّكرُ فَهُـو لَمْ يَـزَلْ

يحدث مايشاء من خلق ومن ذكر ، لانه سبحانه وتعالى يحدث مايشاء اي يجدده والذي يشاء احداثه قسمان : الخلق ، والذكر الخلق اي المخلوقات والذكر اي الكلام فخلقه يخلقه وكلامه لا يخلقه لكنه يحدث منه ما يشاء وهما متباينان من ناحية الوصف لان العطف يقتضي المغايرة الله تعالى يقول { الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان } فقال علم القرآن ثم قال خلق الانسان فالقرآن معلم غير مخلوق والانسان مخلوق وكذلك قال { الا له الخلق والامر } والعطف يقتضي المغايرة فالخلق شيء والامر شيء فالامرهو الكلام والخلق هو المخلوقات كلها وهذه الاية صريحة في ان القرآن غير مخلوق وان كل كلام الله غير مخلوق لانه عطف الخلق على الامر والعطف يقتتضي المغايرة { الا له الخلق والامر }

والاحدِاث بمعنى احداث الانزال في القرآن جاء في قول الله تعالى { اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون } محدث اي جديد العهد به جديد الاحداث من عنده وكذلك في الآية الاخرى في سورة الشعراء { وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث

الا كانوا عنه معرضين } فالاحداث هو الجِدة انه امر جديد من عنده ولذلك فهو ينسخ ما قبله ويكون مهيمناً عليه ولهذا قال ابن عباس (كانوا يأخذون بالاحدث فالاحدث من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم) اي بالجديد مما اوحى الله اليه لذلك قال (فما يحدث من ذكر) اي ما انزل من ذكر، مااحدث انزاله من ذكر وهو القرآن يوقن ان ليس مخلوقاً (لان المحدث الانزال .. اما الذكر فهو لم يزل) فهو سبحانه وتعالى يتكلم متى تشاء بما شاء كيف شاء ولم يتجدد له شيءٌ من ذلك فهو على ما عليه كان (يوقن ان ليس مخلوقاً لان المحدث الانزال اما الذكر فهو لم يزل)

{ألا لهُ الخلقُ والأْمْرُ} ، العَطْفُ دَلْ أنْ لَيسَ خَلْقَاً مَا مِنَ الأمْرَ نَزَلْ

{ ألا له الخلق والامْر } وهذه رواية ورش عن نافع بنقل الهمزة

(الا له الخلق والامر العطف دل .. ان ليس خلقاً ما من الامر نزل)

عطفه الخلق على الامر دليل على ان الامر ليس مخلوقاً

تنبيه

الى هنا قد انتهى الشريط الثالث والذي ظهر لي انه قد قطع منه بعض دقائق

والله اعلم .

الشريط الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

قال المؤلف حفظه الله :

بَلْ علَّمَ القرآن..} وَالإنْسَانَا خَلَقَهُ {عَلَّمَهُ البَيَانَ}

وقد سبق في البيت السابق قوله :

{ألا لهُ الخلقُ والأْمْرُ} ، العَطْفُ دَلْ أنْ لَيسَ خَلْقَاً مَا مِنَ الأمْرَ نَزَلْ

ثم قال هنا (بل علم القرآن) اي : بل اكثر من ذلك قال الله سبحانه وتعالى في كتابه { الرحمن علم القرآن خلق الانسان } ففرق بين القرآن والانسان فبين انه علم القرآن وانه خلق الانسان فدل هذا على الفرق بينهما ان الانسان مخلوق وان القرآن غير مخلوق (علم القرآن) حذف المفعول هنا لعمومه فقد علمه اولآ لجبريل الذي ارسله به فعلمه جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس فعلمه لبعض الناس لبعض وهكذا وكل ذلك من امر الله سبحانه وتعالى وتعليمه (والانسانا .... خلقه) لانه قال { خلق الانسان } (علمه البيان) فالانسان خلقه الله سبحانه وتعالى وعلمه البيان اي فهم القرآن البيان يشمل النطق والفهم فقول النبي صلى الله عليه وسلم (إن من البيان لسحرآ) المقصود به النطق اي الكلام البليغ وقول الله تعالى { علمه البيان } المقصود به المعنى اي ابان له معاني الالفاظ

يَنْسَــخُ ، يُنْسِــي مَــا يَشَــا، يُبَــدِّلُ {وَاللهُ أعْلَــــمُ بِمَــــا يُنَــــزِّلُ..}

من صفات الله الفعلية انه ينسخ ماشاء من وحيه بما شاء كما قال تعالى { ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها او مثلها } وهذه الايات تضمنت اثبات الصفتين الفعليتين المتعلقتين بالوحي وهما النسخ والانساء لانه قال { ما نسخ من آية او ننسها } فالنسخ معناه تبديل المنزل بغيره والانساء يشمل امرين :احدهما انساء الناس له اي ان يحصل نسيان عند الناس به ، والثاني تأخيره عن موضعه اي ان يجعل في موضع آخر وكل ذلك لطفآ بعباده وهناك قراءة نُنْسِأها وهي معنى ننسها بالمعنى الثاني وهو نفس الشيء { نَنْسَأها } كلها بمعنى التأخير اي تأخيرها عن موضعها كل هذا لطفآ بعباده فإنه لو نزل الاحكام من اول وهلة على آخر ما تكون عليه لشق ذلك على العباد كما ضربنا من قبل المثل بتحريم الخمر والتدرج في ذلك ومثل هذا نسخ الشرائع كلها فإن الله سبحانه وتعالى خلق الانسان على اطوار فهذا التطور الحضاري الذي تمر به البشرية على اساسه دُرِّجت الشرائع ففي كل عصر ينزل من الشرائع مايكون موافقآ لذلك الطور الذي تمر به البشرية فلما بلغت البشرية نضجها وخاضت كل تجاربها جاءها الدين الحقيقي من عند الله وهو الاسلام الذي كان كل الاديان اعدادآ له لقول الله تعالى { ان الدين عند الله الاسلام } فالاديان السابقة وان كانت منزلة من عند الله لكن علم الله نها لا تصلح الى التطبيق المستمر في كل زمان ومكان فلذلك ينزل منها ما يصلح لطور واحد من اطوار البشر فإذا تعداه البشر نسخه ولو عاد اليه لما صلح لهم ولذلك فإنه في ايام آدم أجاز تتزوج الرجل باخته لان الشرية إذ ذاك اسرة واحدة فلما تعدت البشرية ذلك الطور حرم هذا فلو حرم ذلك من اول وهلة لما انتشرت البشرية اصلآ وهكذا في الاحكام كلها (يبدل) هذه صفة فعلية اخرى وهي تبديل ماشاء من كلامه اي من وحيه والمقصود

بذلك الكلامات التشريعية لا الكونية فالكلمات الكونية لا تبديل لها لقول الله تعالى { ولا مبدل لكلماته الله } وكلمات الله في هذا الموضع هي سننه فسنن الله الكونية التي يسير عليها الكون لا تبديل لها { ولم تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً } فسنته هي ماسير عليها الكون من اوامره الكونية فلا يمكن ان يبدل ذلك عن وفق ما كتب الله في الصحف التي عنده فوق عرشه وهي ام الكتاب اما الكمات التشريعية فيقع فيها التبديل والتبديل هو جزء من معنى النسخ فالنسخ يشمل النسخ بالاشد والنسخ بالاخف والنسخ الى غير بدل ونسخ اللفظ وبقاء المعنى ونسخ اللفظ والمعنى معاً فهذه خمسة انواع هي انواع النسخ اما التبديل فهو نوع واحد منها وهو النسخ بالمماثل والمماثل سيكون خيراً للناس من الاصل لان الله تعالى يقول { ما ننسخ من آية او ننسها نأتِ بخير منها اومثلها } فهو خير و مثل وخير او مثل من ناحية التطبيق والعمل لكنه خير دائماً لان الله اختاره في الاخير للاستقرار والاستمرار وقد ذكر الله التبديل في آية النحل فقال { واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون } فهذا هو التبديل (والله اعلم بما ينزل) ختم هذا البيت الذي فيه ذكر الصفات الفعلية الثلاث المتعلقة بالوحي وهي : النسخ ، والانساء ، والتبديل ختمه بقول الله تعالى (والله اعلم بما ينزل) وهذا للفظ هو الذ ختم الله به آية التبديل في سورة النحل { والله اعلم بما ينزل } فلا يمكن ان يُتدخل له في ذلك فهو اعلم بما يصلح لكل عصر من العصور وهو اعلم بما سيستقر مما لا يقبل التبديل ولا النسخ وهو اعلم مما سينسخ فالمآل في كل ذلك الى علمه سبحانه وتعالى والقرآن من علمه

وَيَــــتَكَلَّمُ مَـــــتَى شَـــــاءَ بِمَـــــا ... شَـــاءَ كَمَـــا شَـــاءَ لَـــوَ انَّ الكَلِمَـــا

مِـــــدَادُهُ البَحْـــــرُ بِسَـــبْعَةٍ أُمِـــدْ ... وَشَـــجُرُ الأَرْضِ قِـــلامٌ مَـــا نَفِـــدْ

هذه صفة اخرى من الصفات الفعلية الكمالية وهي الكلام فإن الله سبحانه وتعالى يتكلم بما شاء متى شاء كما شاء وقد كلم موسى بكلامه الذي هو صفة ذاته لا خلق من خلقه قال { وكلم الله موسى تكليماً } وهذه الصفة هي التي شاع انكارها لدى الجهمية والمعتزلة فانتشرت في ذلك العصر الاول وقد جاء احد أئمتهم الى قارئ يقرأ القرآن فأمره ان يقرأ قول الله تعالى { وكلم اللهَ موسى تلكيماً }بنصب اسم الجلالة ورفع موسى على ان موسى هو المكلم وان الله فقط مكلم فقال هبني قرأتها كذلك فكيف اقرأ قول الله تعالى { وكلمه ربه } { ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه } صريحة ما يستطيع ان يغير فيها (ويتكلم متى شاء بما شاء) وهذا يشمل نوعين من انواع الكلام : النوع الاول وهو الكلام الكوني ، والكلام الثاني وهو الكلام التشريعي ، الكلام الكوني ما يخاطب به خلقه تكويناً وتقديراً { انما قولنا لشيء اذا اردنا ان نقول له كن فيكون } { انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون } والنوع

الثاني وهو الكلام التشريعي وقد انحصر اليوم فهو ما انزله في كتبه من كلامه فالكلام التشريعي الفرق بينه وبين الكلام التكويني : ان الكلام التكويني لا حصر له ولا ينقضي في اي زمان ولا في اي مكان ، والكام التشريعي قد انحصر وانتهى ولا يمكن ان ينزل من عند الله كلام فيه تشريع بعد موت محمد صلى الله عليه وسلم فقد ختمت به رسالات الله الى اهل الارض والكلام الكوني ليس فيه تبديل ولا نسخ ، والكلام التشريعي فيه التبديل والنسخ كما ذكرنا والكلام الكوني يقف عنده البر والفاجر لا يتداه بر ولا فاجر والكلام التشريعي يقف عنده البر ويتعداه الفاجر ولذلك جاء في الحديث (اعذ بوجه الله العظيم الذي ليس شيئ اعظم منه وبأسماء الله الحسنى كلها ما علمت منها وما لم اعلم وبكلمات الله التامات اللاتي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ) هذا اخرجه مالك في الموطأ عن كعب الاحبار لولا كلمات اقولهن لجعلتني اليهود حمارآ ، هنا قال وبكلمات الله التامات اللتي لا يجاوزهن بر ولا فاجر وهن الكلمات الكونية لا يجاوزهن بر ولا فاجر فلا البر يستطيع مخالفتهن ولا الفاجر يستطيع ذلك اذا قال للبر مت لا بد ان يموت في ذلك الوقت واذا قال للفاجر لا بد ان يموت اما الكلمات التشريعية فيقف عندها البر اذا قال له صلِّ يصلِّ ويتعداها الفاجر اذا قال للفاجر صلِّ يمتنع من ذلك ومن هنا فالكلمات الكونية الانسان بهامسير والكلمات الكونية الانسان بها مخير (ويتكلم بما شاء متى شاء كما شاء } ثم تكلم هنا على النوع الثاني من انواع الكلمات وهو الكلمات الكونية فقال :

لوَ ان الكلما) بنقل الهمزة الى الواو الساكنة قبلها قال (لو انا الكلما مداده البحر)وهذه رواية ورش عن نافع (مداده البحر بسبعة امد وشجر الارض قلام مانفد) اي لو ان كلمات الله الكونية مدادها البحر اي ما في الدنيا من الماء بسبعة امد اي بسبعة امثاله امدَّ اي زِيدَ لما نفدت لقول الله تعالى { قل لو كان البحر مدادآ لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددآ } وكذلك قال تعالى { ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله } فهو جمع بين الايتين في هذا البيت فقال :

مِدَادُهُ البَحْرُ بِسَبْعَةٍ أُمِدْ

وَشَجُرُ الأَرْضِ قِلامٌ مَا نَفِدْ

ما نفد ذلك الكلام التكويني

وَرَحمَةً سَكَتَ عَنْ أشْيَاءَ

مِنْ غَيرِ نِسيَانٍ – عَلَى مَا جَاءَ –

في هذا البيت اثبات صفة فعلية اخرى وهي السكوت ولم يرد فيها نص في القرآن ولكن ورد فيها حديثان في كل واحد منهما علة ولذلك اشار هو الى تعليل الحديث بقوله (على ماجاءَ 9) فالحديثان هما (وسكت عن اشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها)وحديث (وما سكت عنه فهو مما عفا عنه) وكلا الحديثين فيه ضعف لكن يقوي احدهما الاخر (ورحمة سكت عن اشياء) هذا لفظ الحديث الاول سكت عن اشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها وطرف الحديث (إن الله تعالى فرض فلا تضيعوها) فبين ان سكوته عن غير عجز فهو سبحانه وتعالى اذا سكت عن اشياء فإنما ذلك رحمة بعباده فليس عجزآ ولا نسيانآ ولا بداءآ والبداء هو الظهور ان يبدو له ما لم يكن كما يزعم اليهود تعالى الله عما يقولون علوآ كبيرآ (ورحمة سكت عن اشياء من غيرنسيان) انما فعل ذلك رحمة وغير نسيان فلم ينسها فإنه لا يضل ربي ولا ينسى (على ما جاءَ) معناه على افتراض صحة ماجاء في ذلك وهو الحديثان السابقان

أحَــــاطَ بالنَّـــــاسِ وَأينَمَـــــا يُـــــوَلْ مُســـــتقْبِلٌ فـــثَمَّ وَجـــهُ اللهِ – جَـــلْ–

هنا اثبات صفة اخرى فعلية وتترتب عليها صفة اخرى من صفات الكمال العامة فالصفة الاولى" هي صفة الاحاطة وهي المذكورة في قول الله تعالى { واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس } وهذه الاحاطة تتضمن امرين : احدهما تمام العلم، والثاني تمام القدرة فالاحاطة تقتضي تمام العلم وتقتضي تمام القدرة فهي من الصفات الجامعة فهو عالم بكل ما يدور في نفوسهم وبكل ما هم فيه وقادر على كل شؤونهم الصفة الثانية " وهي قوله (أينما يول مستقبل فثم وجه الله جل) وهو بذلك يشير الى قول الله تعالى { ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله } فيما يتعلق بالقبلة عندما كان النبي صلى الله عليه وسلم في مكة كان يصلي الى البيت الحرام ثم لما هاجر الى المدينة صلى سبعة عشر شهرآ الى الشام ثم نسخ ذلك في امره بالاتجاه الى البيت الحرام واستقرت القبلة على ذلك فاعترض اليهود والنصارى وقد كان يعجبهم اذ وافق قبلتهم في اول الهجرة فأنزل الله تعالى { ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا } معناه في اي اتجاه وجهكم ربكم سبحانه وتعالى فإن وجهكم الى المشرق فذلك ابتغاء وجهه سبحانه وتعالى وان وجهكم الى المغرب فذلك ابتغاء وجهه وان وجهكم الى مكة فذلك ابتغاء وجهه وان وجهكم الى الشام فذلك ابتغاء وجهه فليس المبتغى نفس الحجر او البيت وليس المبتغى كذلك الشام لذاته فالقبلة انما

يقصد بها العبادة والمعبود هو الله سبحانه وتعالى وحده ومن هنا اذا غيرت القبلة فليس معنى ذلك ان الدين قد تغير فالله سبحانه وتعالى هو المقصود في الدين فالمقصود وجهه الكريم اينما توجهنا فكان هذاابلغ رد على اليهود والنصارى هذا هو الوجه الراجح في تفسير الاية وقد ذهب بعض المفسرين الى ان هذه الاية انما كانت قبل تحديد القبلة فكانت إذناً في التوجه الى المشرق والى المغرب والى كل الجهات في الصلاة وقال آخرون بل هي إذن باقٍ في التوجه الى اي الجهات في الدعاء فالدعاء ليست له قبلة فإلى اي اتجاه اتجه الانسان يمكن ان يدعو الله لانه قال { فثم وجه الله } وذهب آخرون الى ان الاية انما هي في صلاة النافلة على الراحلة في السفر فإن للانسان ان يتوجه انى توجهت به راحلته فيصلي الى اي اتجاه اتجهت به راحلته في النافلة فقط في السفر واختلف هل يختص ذلك بسفر القصر ام لا يختص به فقد ذهب الظاهرية الى انه يصح في الحضر ايضاً كمن ذهب الى المسجد وهو يعلم انها سيأتي مع الاقامة فعند الظاهرية يجوز ان يأتي بالراتبة في سيارته في طريقه الى المسجد ولو كان الى غير القبلة وهو في الحضر من غير سفر ومذهب الجمهور اختصاص ذلك بالسفر وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الليل ففي حديث ابن عمر انه رئاه يوتر على بعيره متجها الى نجد وفي حديث انس انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي الليل على حماره متجهاً الى خيبر وفي حديث ابي هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي صلاة الليل لى ناقته بين مكة والمدينة وذلك شامل للذهاب والاياب فيصليها وهو متجه الى مكة ثم يصليها في منقلبه متجها الى المدينة وصلاة الليل من النوافل التي لا تسقط بالسفر لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصليها وحض عليه قال (عجب الله من المسافر يخرج في رقة حتى اذا أوو الى فراشهم ترك فراشه وقام يصلي فهذا ثناء على من صلى في السفر وهو في رقة بعدما ينام اصحابه من شدة النصب والتعب وفي ذلك اقرار له على ذلك واما نافلة النهار كالضحى والرواتب من غير ذوات الاسباب ذوات الاشباب كتحية المسجد وركعتي الطواف هذه لا تسقط في نهار ولا في ليل في سفر ولا في حضر لكن غير ذوات الاسباب كالرواتب وصلاة الضحى فقد اختلف فيها في النهار في السفر فقال ابن عباس رضي الله عنهما (لو كنت مسبحاً لأتممت) لو كنت مسبحاً اي لو كنت متنفلاً لأتممت اي لصليت الفريضة اربعة لان الفريضة خففت من اجل السفر فمن باب اولى النافلة وكان ابن عمر لا يترك شيئاً من نوافله في حضر ولا في السفر يصلي الضحى في السفر يصلي الرواتب في السفر ولا يترك شيئاً من نوافله ولم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم نهي في ذلك بل يشهد لحديث ابن عمر ما ثبت في الصحيح من حديث ام هانئ بنت ابي طالب رضي الله عنها انها اتت النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح في وقت الضحى وهو يغتسل وابنته فاطمة تستره بثوب فلما خرج صلى ثماني ركعات وكان ذلك في وقت الضحى فالنبي صلى

الله عليه وسلم لا يحل له المقام بمكة كسائر المهاجرين ولذلك قال كما في الصحيحين (يقيم المهاجر بعد قضاء نسكه بمكة ثلاثآ) وفي رواية (لا يقيمن مهاجر بعد قضاء نسكه بمكة اكثر من ثلاثآ) فالمهاجرون باعوا مكة لله سبحانه وتعالى فيحرم عليهم المقام فيها ولهذا فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقصر فيها الصلاة ولم يصلِ فيها رباعية كاملة ومع ذلك فقد صلى فيها الضحى ثمان ركعات كما في حديث ام هانئ هذا فيدل على جواز صلاة النوافل النهارية في السفر لمن وجد متسعآمن الوقت ولعل هذا الراجح ان شاء الله وذلك يبقى على مشروعيته لكنه بحسب ما لا يضر بالمسافر وما لا يؤخره وقوله (واينما يول مستقبل) هذ يشمل الاستقبال في الصلاة والاستقبال في الدعاء كما ذكرنا فثم وجه الله دل هذا على اثبات صفة الوجه لله سبحانه وتعالى وهي من الصفات الذاتية الكمالية والوجه في نسبته الى الله سبحانه وتعالى يطلق في ثلاثة امور : فهذه الاية { فثم وجه الله } الوجه فيها الصفة المعروفة ويطلق الوجه كذلك على سبيل الله فتقول اعطيت الفقير كذا لوجه الله اي في سبيله ويطلق الوجه كذلك على ذات الله في قوله تعالى { ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام } اي يبقى الله ذو الجلال والاكرام ولا يقصد الصفة وحدها بل يقصد الموصوف فلا يفنى ولا يبيد ولا يفنى شيء من صفاته ولا من ذاته فهذه ثلاثة اطلاقات ثابتة بالنصوص (فثم وجه الله جل) كما اخبر بذلك عن نفسه في قوله { ولله المشرق ةالمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله }

قَدْ استَوَى إلى السَّمَاءِ وَاسْتَوَى

بَعْدُ عَلَى العَرْشِ بِخُلْفِ المحتَوَى

هذا اثبات لصفة فعلية اخرى وهي صفة الاستواء وهي تتعدى ب: على وتتعدى ب: إلى فإذا عديت ب:على فهو الاستواء على العرش واذا عديت ب: الى فهو الاستواء على السماء وكل ذلك ثبت بالقرآن فقد قال الله تعالى في الاستواء الى السماء { ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعآ او كرها قالتا اتينا طائعين } والاستواء على العرش جاء في عدد من الايات كقول الله تعالى { الرحمن على العرش استوى } وكقوله تعالى { ثم استوى على العرش } فكل ذلك صفة كمال تليق به سبحانه وتعالى وهي فعل فهي صفة فعلية وقوله (بخلف المحتوى) اي ان الاستواء الى السماء ليس كالاستواء على العرش لان الاستواء على العرش معدآ ب : على وذلك يقتضي ان العرش فوق السموات وانه ليس بينه وبين الله شيء من خلقه واما السماء فإنه قال { ثم استوى الى السماء } ب :

الى فدل ذلك على ان السماء تحت العرش وانها اخفض من العرش فالعرش اعلى منها فإذا قوله (بخلف المحتوى) يدل على التمييز بين الفعلين بين الاستواء من السماء والاستواء على العرش وبما ان الاستواء من الصفات الفعلية التي استشكلها كثير من الناس وضل فيها فريقان من الناس : الفريق الاول المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه ويزعمون ان استواءه كاستواء الناس والفريق الثاني " المعطلة الذين ينفون انه استوى على عرشه استواءآ يليق به عقب على ذلك بقوله :

وَلَيْسَ كَاستِوَائِنَا نَحْنُ عَلَى الْ

فِلْكِ والانعَامِ ، بَلْ العَرْشَ حَمَلْ

وَحَامِلِيْه ....

فليس استواءه على العرش كاستواءنا نحن على الفلك اي على السفن والانعام اي كركوبنا على الدواب تعالى الله عن ذلك فكلٌ بحسب ما يليق به هذا استواءنا نحن الذي يليق بنا وذلك استواء الله الذي يليق به وليس الله سبحانه وتعالى محتاجآ الى عرشه فنحن نستوي على الفلك وعلى الانعام لحاجتنا اليها والله تعالى غني عن العرش وعن حامليه بل هو قد حمل العرش وحامليه فهو { الذي يمسك السموات والارض ان تزولآ } { ويمسك السماء ان تقع على الارض الا بإذنه } فلذلك قال (بل العرش حمل وحامليه)

وَحَامِلِيهِ ، وإلى دُنْيَا السَّمَا

يَنْزِلُ كُلَّ لَيلَةٍ ، لا مِثْلَ مَا

من الصفات الفعلية الكمالية صفة النزول وقد صح فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله (ان الله ينزل الى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل فلا يزال يقول الا من يستغفرني فأغفر له الا من يدعوني فأعطيه) وهذا الحديث دل على انه سبحانه وتعالى ينزل كل ليلة الى السماء الدنيا وفي رواية الى سماء الدنيا والمقصود بسماء الدنيا السماء التي تلينا نحن فهي سقف هذه الدنيا التي نحن فيها والسماء الدنيا بالتعريف تكون الدنيا فيها نعتآ للسماء اي السماء السفلى التي تلي الناس فهي الدنيا بالنسبة

اليهم وهذا النزول يجب الايمان ولا يبحث عن كيفيته فهو على ما يليق به فمن المعلوم ان ثلث الليل في كل مكان يختلف عن ثلثه في المكان الاخر وذلك يدل على اختلاف صفة الله عن صفات المخلوقين فالمخلوق هو الذي اذا كان في ثلث الليل هنا في هذا البلد كان غيره في ثلث الليل او في اوله او في آخره في مكان آخر أما الخالق فلا يمك ان يحيط به الليل ولا النهار فذكر ثلث الليل هو باعتبار المخلوق لا باعتبار الخالق فالخالق لا يحيط به ليل ولا نهار سبحانه وتعالى فالليل والنهار من شأن السموات والارض وكلتاهما في قبضة يمينه السموات السبع والارضون السبع في قبضة يمينه (والى دنيا السما ينزل كل ليلة) وبما ان النزول ايضآ قد استشكله كثير من الناس فهو من الصفات الفعلية المشكلة عندهم عقب بقوله:

.... لا مثل ما

ينزل مخلوق بإخلا حيز .... منه وشغل حيزٍ فميز

المخلوق هو الذي يفر اذا خاف ويأتي غاضبآ اذا طمع والله سبحانه وتعالى لا يمكن ان يصل اليه عباده بنفع ولا بضر ولذلك فإن نزوله لا يمكن ان يشبه بنزول خلقه بوجه من الوجوه لهذا قال (لا مثل ما ينزل مخلوق) وايضآ فإن المخلوق يشغل به حيزٌ ويخلو منه حيزٌ والله سبحانه وتعالى لا يمكن ان تُخفي عنه سماء سماءآ ولا ارض ارضآ ولا جبل ما في وعره ولا بحر ما في قعره ولا يمكن ان يشتغل بدعاء احد من خلقه عن احد فإطلاعه على مافي القلوب وما في الغيوب سواء كل خطرة تخطر في قلب احد من الناس من اي مكان او احد من الملائكة في اي مكان او اي خلق من خلقه لا يمكن ان يشتغل عنها بما سواها لا يشغله شغل عن شغل ومن هنا فليس كالمخلوق الذي يشتغل بالحيز له حيز محدد والله تعالى لا يحيط به المكان ومن هنا فما يتعلق بالجهة في بحث الجهة يلزم فيه الانطلا ق من القواعد التالية :

أولآ : اثبات صفة العلو لله سبحانه وتعالى فقد اثبتها لنفسه في ثمانية عشر آية من كتابه فهو العلي بالاطلاق

القاعدة الثانية : اثبات انه قريب في علوه عليٌّ في دنوه فهو في علوه قريب لا يمكن ان يخفي عنه شيءٌ شيئآ وهو كذلك عليّ في دنوه حتى لو نزل الى سماء الدنيا فهو في علوه كما كان

القاعدة الثالثة : ان يعلم انه سبحانه وتعالى كما يليق به مثل هذه الصفات يعني هذه الصفات كما تليق بالله سبحانه وتعالى فهي كمال في حقه ولا يمكن ان تشبه شيئآ من صفات خلقه في إحاطته وعلمه فإذا لا اعتراض عليه في شيء مما اثنى به على نفسه وما اخبر به عن نفسه (فميزِ) اي ميز ذلك ميز الفرق بين الخالق والمخلوق في مثل هذا

وَهُوَ العَلِيُّ، لا تَحُدُّه جِهَهْ

ضَلَّ المعَطِّلةُ والمشَبِّههْ

(وهو العي) فإثبات صفة العلو له واجب لانه اثبته لنفسه في ثماني عشرة آية من كتابه (لا تحده جهه) فالجهة من الالفاظ المجملة التي يستفصل فيها ، فإن قصد بها مكان محصور فهي منفية عن الله قطعآ ، وان قصد بها العلو المطلق وهو العلي فهذا القول في الجهة فلذا قال (وهو العلي) هذا اثبات للجهة العامة (لا تحده جهة) هذا نفي الجهة الخاصة اي المحدودة (ضل المعطلة والمشبهه) بين هنا ان هذا النوع من الصفات ضل فيه فريقان من الناس : المعطلة وهم نفات الصفات الذين يردون على الله كأنهم يعترضون عليه وهو اعلم بنفسه والمشبهة الذين يشبهونه بخلقه بسبب الاشتراك في الاسم مثلآ واللغة فكلتا الطائفتين ضلت في هذا الباب

قَدْ اصْطَفَى مِنْ مَلَكٍ وَمِنْ بَشَرْ

رُسْلاً فَأَدَّوْا عَنْهُ مَا بِهِ أَمَرْ

من صفاته الفعلية صفة الاصطفاء فهو سبحانه وتعالى يصطفي من خلقه من شاء كما اخبر بذلك عن نفسه فقال { الله يصطفي من الملائكة رسلآ ومن الناس } وقال تعالى { ان الله اصطفى آدم ونوحآ وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين } (قد اصطفى من ملك ومن بشر رسلآ) فرسل الله الذين يجب الايمان بهم منهم من هو من الملائكة ومنهم من هو من البشر ولذلك قال { الله يصطفي من الملائكة رسلآ ومن الناس } فغير البشر والملائكة لا تكون منهم الرسل وقد استشكل ذلك بعض الناس لان الله تعالى يقول { وان من امة الا خلى فيها نذير } ويقول { وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء } لكن يجاب بالتفريق بين الامة والامة فالامم في

آية الانعام المقصود بها تعاونهم فيما بينهم واجتماع كلمتهم وملك الله تعالى لهم وفطرتهم على نمط من انماط العيش والامم في آية بعثة الرسل { وان من امة الا خلى فيها نذير } المقصود بها من امم البشر فما من امة اي من عصر من العصور الا وخلى فيه نذير وذلك لا يقتضي ان تكون كل ارض قد بعث فيها الرسل بل عرف في تآريخ البشر ان هذه المنطقة التي تشمل جزيرة العرب ومنطقة الشام والعراق ومصر هذه المنطقة منطقة بعث الرسل في تآريخ البشر فكل الرسل الذين تُكُلِمَ عنهم بالوحي في هذه المنطقة فإبراهيم ويونس في العراق وذرية ابراهيم من الانبياء في الشام ومصر وجزيرة العرب وكذلك الرسل السابقون كهود وصالح وشعيب في جزيرة العرب ولوط ايضآ في جزيرة العرب ، الامة تطلق على الزمان فتطلق على قرن من الزمن فإذا خلا النذير في قرن من الزمن لا يقتضي ذلك ان يكون في امريكا او في اليابان المهم انه في هذه المائة سنة ان في كل مائة سنة يرسل الله رسولآ الى اهل الارض فالامة تفسر بالزمان بمائة سنة وتفسر كذلك بالمكان فعلآ وتفسر بالعدد من الناس وتفسر بالرجل الصالح وتفسر بالجماعة كل هذا من نفسيرات الامة وقد تطلق الامة على الرجل الصالح كقول الله تعالى { ان ابراهيم كان امة } وتطلق على الجماعة من الناس كقول الله تعالى { ولما ورد ماء مدين ود عليه امة من الناس يسقون } وتطلق على الجنس من احناس الخلائق كقول الله تعالى { وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم } وتطلق على كل مائة سنة او كل فترة زمنية كقول الله تعالى { وان من امة الا خلا فيها نذير } ولا يعترض على ذلك بفترة الوحي لانها استثناء من ذلك فترة الوحي هي ما بين عيسومحمد صلى الله عليه وسلم وقد اختلف هل كان فيها انبياء او لا ؟ فقد ورد في بعض النصوص ذكر بعض الانبياء فيها كحنظلة في اليمن وكخالد العبسي وغيرهما لكنهم ليسوا من الرسل وايضآ النذير هنا يمكن الا يحمل على النبي فالنذير المنذر مطلقآ فيشمل ذلك كل داعية مخلص مصلح فإنه نذير اي منذر لقومه *سؤال من احد الحضور* بالنسبة لهذا الخطاب { يامعشر الجن والانس الم ياتيكم رسل منكم } هو خطاب للجن والانس معآ والرسل هم من الانس فرسل الانس ارسلوا الى الانس والجن ولذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم مرسل الى الانس والجن وقد بين الله نذارته لهم في كتابه في سورة الاحقاف وفي سورة الجن وكذلك موسى فإنه مرسل الى الجن ولذلك قالوا { إنا سمعنا كتابآ انزل من بعد موسى مصدقآ لما بين يديه } واما عيسى بن مريم فإن الجن لم يعلموا به لا نجدته قد اعاذت مريم وذريتها من الشيطان الرجيم فإنها عند مولدها قالت { إني سميتها مريم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم } فلم يسمع الجن بوجود المسيح ابن مريم عيسى عليه السلام * احد الحضور يقول * الجن كان مرسلآ اليهم سليمان * قال الشيخ : طبعآ كان مرسلآ اليهم سليمان فكل الرسل من الذين ارسلوا الى الجن هم من البشر لكن المهم ان الجن ما علموا بعيسى ابن مريم علموا

بموسى لكن ماعلموا بعيسى لان عيسى اعاذت جده امه وذريتها من الشيطان الرجيم فاستجاب الله دعاءها {فإني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم }

(قد اصطفى من ملك ومن بشر رسلاً) فتنحصر الرسالة في النوعين لقوله { الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس } (فأدوا عنه ما به أمر) فأدى اولئك الرسل عنه اي عن الله تعالى ما به امر اي ما ارسلهم بتبليغه فإن التبليغ صفة من صفات الانبياء الواجبة فيجب في حقهم التبليغ فلذلك قال (فأدوا عنه ما به امر)

وَالكُتُبُ التِي عَلَى رُسْلِ البَشَرْ

أنْزَلَ مِنْ كَلَامِهِ – جَلَّ– فَذَرْ

الكتب التي انزل الله سبحانه وتعالى على رسل البشر اي على الرسل من البشر من كلامه جل تكلم الله بها فيشمل ذلك التوراة والانجيل والزبور والقرآن كلها من كلام الله سبحانه وتعالى وغيرها من الكتب المنزلة وهذا ركن من اركان الايمان وهو الايمان بالكتب المنزلة ولم يجلبه الشيخ هنا لذلك جلبه لذكر اثبات كلام الله سبحانه وتعالى اللفظي اي انه تكلم بها فقال (والكتب التي على رسل البشر انزل من كلامه جل)

.... فذر

قولَهُمُ : القُرآنُ قَد دَّلَّ عَلَى الْ ..... كَلامِ أوْ عَلَى الذِي الكَلامُ دَلْ

هنا يرد على المتأخرين من الاشاعرة في غلط عظيم وقعوا فيه وهو قولهم " إن القرآن عبارة عن كلام الله " وذلك لانهم لم يفهموا كلام ابي الحسن الاشعري فأبو الحسن قال القرآن كلام الله على حقيقةً لا مجازاً لكنه لما عدّ صفات الله قال منها الكلام النفسي لا اللفظي ومعنى ذلك ان الكلام النفسي الذي هو قدرة الله على الكلام متى شاء ان يتكلم بما شاء كيف شاء من صفات الله والصفة لا تزايل الموصوف واما الكلام اللفظي ففيه صفة الله وفيه صفة عدو الله وفيه ما ليس بصفة اصلاً فالقرآن مثلاً فيه امر ونهي وقصص وخبر فكل ذلك ليس صفة لله ، فيه صفة الله كقول الله تعالى { وهو الغفور الودود ذو العرش المجدي فعال لما يريد } وكقوله تعالى { الله لا اله الا هو الحي القيوم } وكقوله { الرحمن على العرش استوى } هذه صفة الله ، فيه ايضاً صفة عدو الله كقول الله تعالى { ذرني ومن خلقت وحيداً

وجعلت له مالآ ممدودآ وبنين شهودآ ومهدت له تمهيدآ ثم يطمع ان ازيد كلا انه كان لآياتنا عنيدآ سأرهقه صعودآ إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر } هذه كله من صفات عدو الله وليس من صفات الله ، وفيه ما ليس بصفة اصلآ كقوله { ياايها الذين منوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون } هذا كله امر وليس صفةلكن مل يفهم الاشاعرة المتأخرون كلام ابي الحسن هذا فحملوه على انه يقصد ان الكلام الذي هو صفة الله فقط هو الكلام النفسي وهو لا لحن فيه ولا اعراب ولا تقديم فيه ولا تأخير وليس فيه حروف ولا اصوات هذا هو لكلام الذي هو انه يتكلم متى شاء بما شاء كيف شاء اما الكلام اللفظي فإن ابا الحسن يقول : هو كلام الله لكن لا يقول هو صفة الله لانه منفصل عن الذات فالقرآن يأتي يوم القيامة يجادل عن صاحبه تتقدمه البقرة وآل عمران ويقود اقوامآ حتى يدخلهم الجنة ويسوق آخرين حتى يكبهم على وجوههم في النار ونقرأه نحن اليوم ونكتبه في مصاحفنا فلوكان صفة لما انفصل عن الموصوف هذا مقصود ابي الحسن ومع ذلك فإن كلامه لم يفهمه ايضآ أئمة الحنابلة الذين جاءوا بعده ومنهم شيخ الاسلام ابن تيمية فقد انتقد انتقادآ لاذعآ كلام ابي الحسن فيما يتعلق بالكلام النفسي فشن عليه هجومآ من اجل ذلك لكنه عندما جاء هو الى الكلام تراجع فوافق ابي الحسن الاشعري لان شيخ الاسلام ابن تيمية يقول يقول : كلام الله قديم النوع محدَث الآحاد، قديم النوع مامعنى النوع ؟ هو انها يتكلم بما شاء كيف شاء وهذا هو الكلام النفسي عند ابي الحسن الاشعري لان النوع ليس فيه حروف ولا كلمات ولا لغات ولا اصوات لانه انه يتكلم بما شاء كيف شاء هذا الذي يسيه ابو الحسن الاشعري الكلام النفسي ، محدث الاحاد هذا الذي يسميه ابو الحسن الكلام اللفظي والمحدث لا يكون صفته فإذآ هذا الفرق بين المذهبين هو مجرد اصطلاح ومع ذلك لم يفهم المتأخرون بعد شيخ الاسلام ابن تيمية وكثير منهم كلامه ايضآ في هذا فلم يدركوا انه موافق لابي الحسن الاشعري تمامآ فلا فرق بين مذهبيهما في هذه المسألة *هو نفس المعنى نفس الشيء ابو الحسن الاشعري يقصد بالكلام النفسي الصفة الذاتية ويقصد بالكلام اللفظي التجدد في القول ،الكلام اللفظي مثل القرآن والتوراة والانجيل والزبور فهو كلام الله لا خلاف بين الشيخين ان هذا كلام الله تكلم الله به لكن وجه الفرق فقط هو ما يتعلق

بالاصطلاح فمن المعلوم ان تكلم الله صفة من صفاته الذاتية انه متى شاء تكلم بما شاء كيف شاء ، هذا الذي يسميه ابو الحسن الكلام النفسي وهذا الذي يسميه ابن تيمية نوع الكلام اما الكلمات اللفظية فهي التي يسميها ابن تيمية آحاد الكلام كالاوامر والنواهي والقصص * مداخلة من احد الحضور*

الشيخ : شيخ الاسلام الجنس عنده نوع الكلام ليس بحرف ولا بصوت نوع الكلام عنده هو انها يتكلم متى بما شاء كيف شاء وهذا ليس فيه ذكر للحروف والاصوات ، الكلام اللفظي الذي هو صفة فعلية

هو الذي فيه الحروف والاصوات واللغات * والصفة اللفظية يقصد هذا الكلام اللفظي الذي هو صفة فعلية اما الكلام القديم فليس فيه اصوات ولا لغات لانه ليس فيه خطاب في ذاك لاحد ولانه يسكت متى شاء كما يتكلم متى شاء ولان منه ما ينزل بالوحي وهو الكلام التشريعي ومنه مايخاطب به مخلوقاته في الكون فهذا الفرق ، هنا المتاخرون من الاشاعرة غلطوا غلطآ فاحشآ حين ظنوا ان القرآن هو اسم للكلام النفسي ان القرآن الذي هو كلام الله اسم للكلام النفسي فحصروا كلام الله بالكلام النفسي وهذا غلط فاحش فالقرآن كلام الله بلفظه ومعناه عند ابي الحسن وعند غيره ولم يختلف اهل السنة في ذلك لا خلاف فيه بين اهل السنة ان القرآن والتوراة والانجيل الزبور كلها من كلام الله بلفظها ومعناها وان الله تكلم بها فكونهم يقولون القرآن عبارة عن كلام الله معناه انهم يظنون انه ليس هو كلام الله وهذا غاية في الغلط فالقرآن هو المسموع وقد قال الله تعالى { وان احد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله } فدل ذلك على ان القرآن هو كلام الله بلفظه ومعناه فلذلك قال :

.... فذر

َقولَهُمُ : القُرآنُ قَد دَلَّ عَلَى الْ ..... كَلامِ أوْ عَلَى الذِي الكَلامُ دَلْ

(او على الذي الكلام دل) اي ما دل عليه الكلام فكل ذلك مردود فلهذا قال :

بَلْ بِالحُرُوفِ وَالمعَانِي وَرَدَا...... وَاللهُ بِالصَّوْتِ يُكَلِّمُ غَدَا

بل القرآن هو الحروف ومعاني اي الالفاظ والمعاني (والله بالصوت يكلم غدآ) بين هنا ان الله سبحانه وتعالى يتكلم به بألفاظه ولانه يكلم آدم بصوت كما في الصحيح يوم القيامة فيقول أخرج بعث النار فيقول يارب من كم ؟ فيقول من كل الف تسع مائة وتسعآ وتسعين فذلك { يوم تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكاربوما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد } وفي هذه الحديث اثبات لصفة الصوت لله سبحانه وتعالى وذلك بيان للكام ايضآ الكلام اللفظي فبيانه شرحه لا يمكن ان يتم الا من خلال النص والنص جاء فيه ذكر الصوت بحدث آدم هذا في يوم القيامة ولذلك قال (والله بالصوت يكلم غدآ) ثم بين ان الصوت بما انه يستشكله كثير من الناس ويعترضون فيظنون ان الصوت هو ما يخرج من فم بلسان واسنان وهواء منطلق من الرئة رد عليهم بهذا بأن ذلك انما

هو في حق المخلوق الذي نعرف نحن كيفية تكلمه اما الخالق فلا يمكن ان نعرف كيفية تكلمه بعقولنا ولكن نعلم انه يتكلم كما يليق به فلهذا قال :

وَلا تَقُلْ ذَا الصَّوْتُ عَنْ تَمَوُّجِ

هَوَاءٍ او تَخَلْخُلٍ فِيهِ يَجِي

أو حَرْفُهُ كَيفِيَّةٌ تحدُثُ لَهْ

بِالضَّغطِ – جَلَّ اللهُ – أنْ نُمَثِّلَهْ

بِقَارِئٍ بِصَوْتِهِ أوْ حَرفِهِ

كلٌّ، وَمَا لاقَ بِهِ مِنْ وَصْفِهِ

(ولا تقل ذا الصوت) الذي يتكلم الله به (عن تموج هواء) اي لا تظن انه مثل تموج الهواء كما يحصل في صوت المخلوق فصوت المخلوق انها يأخذ بمنخريه الهواء النقي الذي هو الاوكسجين فيدخله الى الرأتين وبعد مخالطته للدم وتنقيته ينطلق زفيرآ فيضغط عليه الانسان في اي منطقة من المناطق السبع عشر التي هي مخارج الحروف فيخرج حرف فذلك في حق الانسان المخلوق اما الخالق فلا يمكن ان تعرف كيفية تكلمه لا بما اخبرك به فلهذا قال (ولا تقل ذا الصوت عن تموج هواء او تخلخل فيه يجي) تقلقل حركة الهواء فيه يجي ولا تقل ايضآ (حرفه كيفية تحدث له بالضغط) كما يحصل للمخلوق (جل الله ان نمثله بقارئ) فالله سبحانه وتعالى من المستحيل ان يشبه بخلقه (جل الله ان نمثله بقارئ في صوته او حرفه كل وما لاق به من وصفه) الله يتكلم بكلام يليق به وصوته يليق به والمخلوق يتكلم بكلام يليق به وصوته يليق به ونحن نعرف فقط كيفية تكلم المخلوق ونعرف كيفية خروج صوته اما الخالق فلا نعرف ذلك منه ولا يمكن ان نعرفه الا بما بين لنا هو (كل وما لاق به من وصفه)

فَنَحنُ حِينَ نُنْشِدُ الآنَ : (قِفَا

نَبْكِ) وَقَدْ أَوْدَى بِمُنْشِيهَا العَفَا

لَسْنا بِمُجْتَرِيْ هَواءٍ نَفَثَهْ

أو مُحْدِثِينَ عَينَ مَا قَدْ أحْدَثَهْ

بِالضَّغْطِ مِنْ كَيفيَّةٍ إذْ صَرَّفهْ

مَا بَيْنَ حَلْقٍ وَلَهَاةٍ وَشَفَهْ

يقول فنحن (حين ننشد الان قفا نبك) اذا قرأنا اي كلام من كلام المخلوقين مثلاً حين ننشد الان قفا نبك قصيدة امرئ القيس التي مطلعها

قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزل ....

(وقد وادى بمنشيها العفى) اي اهلك منشيها امرئ القيس اودى به العفاء اكله التراب العفاء التراب والتغير واودى به اي اكله واهلكه (لسنا بمجتري هواء نفثه) فإننا لا نجتر هواءآ نفثه هو ولا نحاكيه بالصوت تماماً (لسنا بمجتري هواء نفثه) فلا نسترجعه نحن كما فعل هو (او محدثين عين ما قد احدثه) اي ليسنا ايضآ محدثين عين ما قد احدثه من الصوت فلسنا تسجيلاً لصوته هو اذا قرأنا كلامه (او محدثين عين ما قد احدثه بالضغط) اي بضغطنا نحن من كيفية (إن صرف) اي صرف الهواء (مابين حلق ولهاة وشفه) فإن ذلك دليل على اننا اذا قرأنا كلام الله فليس معناه ان كيفية تكلم الله به هي كيفية تكلمنا به فإذا كنا نحن اذا تكلمنا بكلام المخلوق ليس معناه ان تكلمنا هو مثل هيئة تكلم المخلوق فمن باب اولى كلام الخالق سبحانه وتعالى وهذا النوع من الادلة هو الذي يسمى بقياس الاولى وقياس الاولى يجوز فيما يتعلق بصفات الله سبحانه وتعالى وفي كل نسبة شيء اليه لانه استعمله الله في كتابه واستعمله رسوله صلى الله عليه وسلم { اليس ذلك بقادر على ان يحي الموتى } والاستدلال بالنشأة الاولى "وهو اهون عليه "كل ذلك من باب قياس الاولى فلذلك استجازه ثم عقب عليه بقوله :

}لا تَضرِبُوا للهِ الامثَالَ{ ، وَلا

تُصْغُوا لِمَنْ عَطَّلَ أوْ مَنْ مَثَّلا

(لا تضربوا لله الامثال) وهذا نص كلامه سبحانه وتعالى { فلا تضربوا لله الامثال } فلا يمكن ان يقاس قياس ممثالة ومن هنا فلا يمكن ان تقول اذا كان القرآن كلام الله فأنا أقرأه فمعناه ان تكلم الله به مثل تكلمي به هذا مستحيل لان هذا تشبيه له بخلقه فأنت لو تكلمت بكلام اي انسان من البشر هل معناه انك تعيد نفس الكلام الذي تكلم هو به تماماً بهواه وضغطه وكيفياته ابداً هل معناه انك تحاكي هيئة لطفه فتنطقه كما نطقه تماماً ابداً فإذا كان الحال مختلفاً بالنسبة للمخلوق والمخلوق فاختلافه بالسبة للمخلوق والخالق اكبر واعظم ولا يمكن ان يدرك اصلاً فلذلك قال (لا تضربوا لله الامثال) (ولا تصغوا لمن عطل او مثل) لا تضغوا اي لا تستمعوا لمن عطل صفات الله فنفى ما اثبته لنفسه او من مثلاً فشبهه بخلقه فكلا الطائفتين ضالة كما سبق بيانه

كَلَّمَ مُوسَى بِكَلامِهِ ، اتَّخَذْ

خَلِيلاً ابرَاهِيمَ ، مَنْ أوَّلَ شَذْ

كلم مسى بكلامه اي ان الله سبحانه وتعالى كلم موسى عليه السلام بكلامه الذي هو صفة ذاته كما سبق وهذا دليل على تكلمه بما شاء متى شاء كيف شاء فغنه نادى موسى وكلمه واثبت ذلك في كتابه فقال { ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه } وقال { وكلم الله موسى تكيلماً } وبين محاورته معه { ما تلك بيمينك ياموسى قل هي عصاي اتوكئ عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مآرب اخرى قال القها يا موسى فالقاها فإذا هي حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعديها سيرتها الاولى } كل هذا حوار مع موسى وربه سبحانه وتعالى فكل تكريم من الله لموسى عليه السلام وتشريف له بكلماته ولذلك اتمن الله عليه به في قوله { ياموسى إني اطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين } (إتخذ خليلاً ابراهيم) فقد اثنى على نفسه واثنى على عبده ابراهيم بأنها اتخذه خليلاً فكما شرف موسى بكلامه شرف ابراهيم باتخاذه خليلاً لذلك قال اتخذ خليلاً ابراهيم (من اول شذ) من اول شيئاً من هذه الصفات التي واضحة في تمجيد الله سبحانه وتعالى نفسه وفي ثناءه على هذين النبيين

المرسلين فمن اول شيئآ من ذلك شذ لانه خالف طريق الحق والشذوذ هو مجانبة الطريق والانفراد، (مَنْ اولَ شَذْ)

فَاللهُ لَمْ يَسْكُتْ عَلَى مَا أَوْهَمَا

حُدُوثاً اْو نَقْصَاً لَهُ بَلْ أفهَمَا

مُرَادَهُ بِقَولِهِ : (مَرِضْتُ

فَلَمْ تَعُدْنِيَ) وَكَذَا فِي (جُعْتُ)

بين ان الله سبحانه وتعالى في كل النصوص اذا جاء فيها ما يحتاج الناس في فهمه الى التأويل وما هو مصروف عن ظاهره فإنه يبينه كقوله (عبده مرضت فلم تعدني وحعت فلم تطعمني) فإنه بين جاع عبدي فلان فلم تطعمه فلواطعمته لوجدتني عنده مرض عبدي فلان فلم تعده فلو عدته لوجدتني عنده فهذا تأويل لما يحتاج الى التأويل ام غيره من الصفات فلو كان محتاجآ الى التأويل لاوله الله فلماذا يحيلنا على مجهول لو كنا نحتاج الى تأويله لبين الله تأويله لنا كما بين تأويل مرضت فلم تعدني وجعت فلم تطعمني

إذآ نقف على هذا الحد واستغفر الله العظيم لي ولكم

الشريط الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ حفظه الله :

أسمَاؤُهُ الحُسنَى عَلَى الصِّفَاتِ

دَلَّتْ ، فَذَلَّتْ أوجُهُ النُّفَاةِ

يقول ان اسماء الله سبحانه وتعالى وهي الحسنى اي وهي احسن الاسماء ، غير معطلة عن معانيها فتدل على الصفات فالله اسم يدل يدل على الذات والصفات كلها والرحمنو الرحيم يدلان على صفة الرحمة وكل اسم من اسماء الله يدل على صفة يقتضيها ذلك الاسم قال

اسماءه الحسنى على الصفات ... دلت ....

اي تدل الاسماء على الصفت فليست الاسماء معطلةً كما يزعم المعتزلة فإنهم يزعمون ان الاسماء ثابتة لله لكنها لا تدل على مسمى اي لا تدل على معنى ورد عليهم بقوله

.... دلت فذلت اوجه النفاة

الذين ينفون اسماء الله وصفاته والنفاة جمع ناف وهو الذي ينفي ما اثبته الله لنفسه او اثبته رسوله صلى الله عليه وسلم

فَأَثْبِتُوا مِنْ وَصْفِهِ مَا السَّلَفُ

أَثْبَتَ وَانْفُوا مَا نَفَى، ثُمَّ قِفُوا

هذه قاعدة عامة وهي التي قعدها مالك رحمه الله بقوله " ليقتد كل قوم بمن سبقهم فإن آخر هذه الامة لا يصلح لما يصلح لها اولها " وقعدها قبله ابن مسعود فقال "كل عبادة لم يتعبدها اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فلا تتعبدوها فإن الاول لم يترك للآخر مقالآ فلذلك قال :

فأثبتوا من وصفه : اي من اوصافه والوصف مفرد لكنه اضيف الى الضمير فعمّ فمن الفاظ العموم المفرد اذا اضيف الى العلم وذلك مثل قول الله تعالى : { يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك وبنات عمك } فالعم هنا مفرد ولكنه اضيف الى الضمير فعمّ ومثله بعده { وبنات خالك } فهو مفرد مضاف الى الضمير فيعم ومن هذا قول الشاعر :

بها جِيَفُ الحَسْرى فأما عِظامُها ... فبيضٌ واما جلدها فصليبُ

(واما جلدها) فليس لها جلد واحد فالمقصود " اما جلودها فصليبة "كذلك قال

فأثبتوا من وصفه اي من واصافه ماالسلف .. اثبت ....

والمقصود بالسلف هنا سلف هذه الامة الصالح والسلف في الاصل " المتقدم مطلقآ " فما اثبتوا من اوصافه سبحانه وتعالى فيلزم اثباته (وانفوا ما نفى) فهذه القاعدة في الايجاب والسلب اي في الاثبات والنفي (وانفاو مانفى ثم قفوا) اي توقفوا عند هذا الحد ولا تتعدوه

وَاجْتَنِبُوا الشِّرْكَ الجَلِيَّ وَالخَفِيْ

وَلَو بِمَا فِيهِ اخْتِلافُ الخَلَفِ

هنا بعد ما ذكر الشيخ كثيرآ مما يتعلق بالاسماء والصفات ذهب الى تفصيل انواع التوحيد الاخرى ومنها :

توحيد الله سبحانه وتعالى في الاهيته اي انه سبحانه وتعالى وحده الذي يستحق العبادة ويستحق ان يدعى ويستحق ان يتوكل عليه ولا يستحق ذلك احد سواه وقد قال تعالى { ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعائكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير } وكذلك هو وحده الذي يستحق ان يشرع لعباده فكل تشريع من دونه مما لم يأذن به الله هو اشراك به لقوله تعالى : { ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله } وكذلك "محبة افراده" بمحبة الالهية فكل من احب من دونه احدآ حب الالهية فقد اشرك لقول الله تعالى { ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادآ يحبونهم كحب الله والذين آمنوا اشد حبآ لله } وهنا يلزم مراجعة مقتضى الشهادتين فإن شهادة ان لا اله الا الله وان محمدآ رسول الله لهما اربع مقامات :

فالمقام الاول : العلم بمقتضى هذه الشهادة ومعناها لان الانسان اذا قال قولآ لا يفهمه ولا يعرف معناه فذلك القول ليس مقصودآ ولا يترتب عليه شيء فلا بد ان يعرف معناه وان يقصده هذا المقام الاول ، المعرفة

المقام الثاني : النطق بهما اي يتلفظ بهما الانسان واذا لم يتلفظ بهما وهو قادر على ذلك لم يعتبر من المسلمين فلا بد من التلفظ بهما والنطق بهما

المقام الثالث : الالتزام بمقتضياتهما ان يلتزم الانسان بما تقتضيانه اي بما تقتضيه شهادة ان لا اله الا الله وما تقتضيه شهادة ان محمدآ رسول الله

المقام الرابع : إلزام الغير بمقتضاهما اي الزام الاخرين بمقتضى الشهادتين فلا بد ان يكون الانسان ملزِمآ لغيره بمقتضاهما داعيآ الى ذلك مجاهدآ في سبيله اما مقتضيات شهادة ان لا اله الا الله لا فأربعٌ هذه المقتضيات :

مقتضيات شهادة ان لا اله الا الله اربع ، ومقتضيات شهادة ان محمداً سول الله ثلاث :

أولاً . مقتضيات شهادة ان لا اله الا الله

أول واحد منها ان يؤمن الانسان بأنها لا رب لهذا الكون سواه سبحانه وتعالى فذلك تقتضيه الهيته

المقتضى الثاني من مقتضيات شهادة ان لا اله الا الله الا يعبد الا هو وان لا تعلق الحوائج الا به فهو وحده الذي يستحق العبادة في الكون وهو وحد الذي يستحق ان ترفع اليه الاكف في كل الحوائج وهو وحده الذي يستحق ان يتوكل عليه ، وهو وحده الذي يرجع اليه في علم الغيوب التي لا يعلمها الا هو { وعنده مفاتح لا يعلمها الا هو }

المقتضى الثالث من مقتضيات شهادة ان لا اله الا الله ان لا يشرع للعباد الا هو فلا يحل ولا يحرم ولا يبيح الا هو سبحانه وتعالى لان التشريع من مقتضيات الالهيةفلا يمكن ان يشرع الا العليم الخبير الذي يعلم ما تؤول اليه الامور اما من دونه فإذا شرع شيئاً فيصلح لوقته وزمانه ومكانه ولا يمكن ان يصلح باطراد مستمر

المقتضى الرابع من مقتضيات شهادة ان لا اله الا الله ان يُحَبَّ حب الالهية ان يحب وحده حب الالهية فيورد في ذلك { ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا اشد حباً لله }

أما مقتضيات شهادة ان محمداً رسول الله فثلاث :

المتقضى الاول . ان يُصَدق في كل ما اخبر به لانك شهدت انه رسول الله والله لا يرسل الكذابين فلا بد ان تصدقه في كل ما اخبر به سواءاً فهمته واستوعبته او لم تفهمه { فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهمثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً }

المقتضى الثاني من مقتضيات شهادة ان محمداً رسول الله . ان يطاع في كل ما امر به لانك ايقنت انه رسول من عند الله فما يأمرك به ليس من عند نفسه بل هو امر الله لقول الله { وما ارسلنا من رسول الا ليطاع بإذن الله } ولقول الله تعالى { يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول } فلا بد من طاعته في كل ما يأمر به { فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم }

المقتضى الثالث من مقتضيات شهادة ان محمدآ رسول الله . ان لا يعبد الله الا بما بلغ عنه اي ان نعلم ان الصلة بين الله مقطوعة الا من قبله هو وحده فليس لنا رسول سواه وبالتالي فلا يمكن ان نصل الى علم شيء من التشريع ولا مما عند الله الا عن طريق محمد صلى الله عليه وسلم فهو وحده الذي اوحي اليه منا نحن هذه الامةوشرعه ناسخ لشرائع قبله فلا يمكن ان يتعبد احد اليوم بشريعة نبي آخر من الانبياء وان كانت صالحة للتعبد في الاصول الماضية لكن منذ بعث محمد صلى الله عليه وسلم نسخت ملته كل الشرائع ولذلك قال (فوالذي نفسي بيده لا يسمع بي احد من هذه الامة لا يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بي الا دخل النار) فلا يمكن ان يقبل بعده دين آخر كما قال الله تعالى { ومن يبتغ غير الاسلام دينآ فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين }وهذه المقتضيات السبع ملخصها : في ركني صلاح العمل ،فالعمل لا يكون صالحآ الا اذا اتت فيه مقتضيات شهادة ان لا اله الا الله بالاخلاص لله ، واتت فيه مقتضيات شهادة ان محمدآ رسول الله بمتابعة رسول الله فيه فالعمل الصالح معناه : ما جمع امربين :

الاخلاص لله ، والمتابعة لرسول الله

الاخلاص لله هو مقتضى شهادة ان لا اله الا الله ، والمتابعة لرسول الله هي مقتضى شهادة ان محمدآ رسول الله

ولذلك قال :

(واجتنبوا الشرك) اي الاشراك بالله سبحانه وتعالى الجلي والخفي فهو نوعان : جلي واضح ، وخفي والخفي وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بانه اخفى من دبيب النمل في الليلة الظلماء فهو اخفى من دبيب النمل في الليلة الظلما فكثير من الناس ينسبوا بعض الكائنات لغير الله فيشركوا به في ربوبيته ، او يخصصوا بعض عبادتهم لغير الله فيشركوا به في الوهيته ، او يلحدوا في اسمائه وصفاته فيشركوا به في ذلك ومن هنا فلا بد من الحذر من الشرك كله ، والحذر منه يشمل عدة امور :

منها الدعاء لقول النبي صلى الله عليه وسلم (اللهم اني اعوذ بك ان اشرك بك وانا اعلم واستغفرك لما لا اعلم) وكذلك لقوله (اللهم اني اعوذ بك ان اشرك بك شيئآ اعلمه واستغفرك لما لا اعلمه)

ثانيآ : تعلم التوحيد والشرك يتعلم الانسان التوحيد والشرك حتى يعرف ما يلزمه ويجتنب ما هو منهي عنه

ثالثآ : تربية الانسان نفسه على الصلة بالله وحده والتعلق به وحده فإذا كان الانسان يخاف من المخلوق او يطمع فيه ويتعلق به او يزيد حبه المخلوق في ذهنه عن قدره المعتاد فذلك مظهر من مظاهر الشرك ولهذا لا بد من التحرر من كثير من الناس في احضان المخلوقين لا بد ان يتذر الانسان ان المخلوق لا يمكلك لنفسه ولا لغيره { حياة ولا موتآ ولا نشورآ } { وان يسلبهم الذباب شيئآ لا يتنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره } لهذا يقول المكودي رحمه الله :

اذا رعضت لي في زماني حاجةٌ .. وقد اشكلت عليّ فيها المقاصد

وقفت بباب الله وقفة ضارع .. وقلت الهي اني لك قاصدُ

ولست تراني واقفآ عند من ...يقول فتاه سيدي اليوم راقدُ

وكذلك يقول الآخر :

لا تسألن بُنيَّ آدمَ حاجةً .. وسل الذي ابوابه لا تحجبُ

فالله يغضب ان تركت سؤاله .. وبُنَيُّ آدم حين يُسأل يغضبُ

(ولو بما فيه اختلاف السلف) معناه ان الشرك الجلي والخفي يجتنبان معآ ولو ما اختلف فيه السلف من ذلك فما حصل فيه اختلاف من المسائل هل يدخل في الشرك او لا ؟ يجتنب سدآ لذريعة الشرك واحتياطآ فيه فمما اخلتلف فيه ، اختلف فيه السلف : تعلق شيء من القرآن ان يعلق الانسان شيئآ من القرآن رقية مثلآ هل يدخل ذلك في التمائم او لا هذا محل خلاف بين السلف ، وكذلك تعلق شيء من السنة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم هل يدخل ذلك في التمائم او لا ؟ محل خلاف بين السلف فجتنبه احتياطآ وسدآ للذريعة فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ان الحلال بين وان الحرام بين وبينهما امور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه وم وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يرتع فيه)

فَأَفْرِدُوهُ – جَلَّ– بِالعِبَادَهْ

لا تُشْرِكُوا فِي نَوعِهَا عِبَادَهْ

(فافردوه جل بالعبادة) بالعبادة كلها بأنواعها المختلفة { قل ان صلتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت } فهذا الصلاة والصوم والزكاة الصدقة والنذر والذبح والقسم وغير ذلك من انواع العبادات فلا بد من افراد الله بها جميعآ

(لا تشركوا في نوعها عبادة) لا تشركوا عباده سبحانه وتعالى في نوعها اي في ما هو من نوع العبادة فالعباد يقدرون ولا يقدسون فلذلك كل ماكان من نوع العبادة كالسجود والتقرب بما يتقرب به الى الله كالقسم والنذر فلا يمكن ان يُشرَكَ فيه العبادُ من جميع الوجوه ، انما يكون الاحسان الى العباد فيما ليس من جنس العبادة فتحسن الى العباد في خدمتهم والاهداء اليهم ونحو ذلك مما لا يدخل في جنس العبادة ، اما ما يدخل في جنس العبادة فلا بد من افراد الله به

فَلا تُسَمُّوا وَلَدَاً عَبْدَ عَلِيْ

أو تَنْذُرُوا لِصَالِحٍ أو لِوَلِيْ

ذكر بعض ما يقع فيه الناس من الشرك اي من اشراك العباد فيما نوعه عبادة فقال

(فلا تسموا ولدآ عبد علي) اي لا تسموا احدآ من اولادكم عبد علي ، لان في ذلك تعبيدآ لغير الله وقد نص الله سبحانه وتعالى على ان ذلك شرك فقال { فلما اتاهما صالحآ جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون }

(او تنذروا لصالح او لولي) كذلكم من انواع الشرك " النذر للانبياء اوالاولياء اوالصالحين او غير ذلك ، فالنذر للمخلوق عبادة له من دون الله ، والصالح هو من صلحت المعاملة بينه وبين الله وبين الناس على قدر الامكان ، والولي غير العدو فكل مطيع لله سبحانه وتعالى مقتد برسوله صلى الله عليه وسلم فهو ولي لله ، وولايتهم تتفاوت بحسب تمام طاعته يقول جدي محمد علي رحمه الله :

من ادعى محبة الله ولم.. يسر على سنة سيد الامم

فذاك كذاب اخو ملاهي.. كذب دعواه كتاب الله

وهي من المخالفات قالوا .. لا تنتفي بل ينتفي الكمالُ

ولاية الله لا تنتفي بالمخالفات بالكلية بل ينتفي كمالها ، فالمؤمن العاصي ولي لله بإيمانه ، عدوٌ له بمعصيته ، فيوالى ما قدر مافيهم من ولاية الله ويعادى على قد ما فيه من عداوة الله لذلك قال وهي من المخالفات قالوا .. لا تنتفي بل ينتفي الكمالُ

وَلا تَمَسُّوا قَبْرَاً اوْ تَمَسَّحُوا

وَلا تَطُوفُوا حَوْلَهُ أوْ تَذْبَحُوْا

كذلك مما جنسه عبادة مسح القبور والتمسح بها والطواف بها والذبح لها فكل هذا من اعمال اهل الجاهلية التي كانوا يفعلونها لأصنامهم ، فقد كانوا يتمسحون بها ،ويذبحون عليها ، ويطوفون حولها ، وكانوا ذلك في قبور المعظمين عندهم ، حتى ان هذه العادة بقيت في بعض المسلمين بعد دخول الاسلام كما قال زياد الاعجم :

يا من بِمَغْدَ الشمس او بِمُراحها .. او من يكون بقرنها المتنازحِ

قل لللفوارس والغزاة اذا غدوا .. للباكرين وللمُغِذِّ الرائحِ

ان السماحة والمروة ضمنا .. قبرآ بمروَ على الطريق الواضح

فإذا مررت بقبره فانحر به .. كُومَ الجيادِ وكل طِرفٍ سابحِ

وانضح جوانب قبره بدماءها .. فلقد يكون اخاد منه دبائح

فهذا من عمل الجاهلية ولا يجوز الاقدام عليه ، بل صاحبه ملعون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم (لعن الله من ذبح لغير الله) ومثل ذلك مايتعلق بتعظيم الاحياء ايضآ فليس هذا مختص بالاموات والقبور ،بل تعظيم الاحياء بنخالفة امر الله هو من هذا الشرك فالمبالغة في مدح الزعماء حتى يتعدى بهم الانسان طوره والتقرب اليهم بما لا يرضي الله كل ذلك من الاشراك بهم في عبادة الله ولهذا قال الشاطبي رحمه الله :

إن مما اهل به لغير الله ما يذبح بحضرة الملوك والرؤساء مما لا يقصد به الاكل

فقد كان كثير من الملوك اذا نزلوا على قوم ذبحوا لهم من الذبائح ونحروا لهم من النحائر ما لا يمكن ان يأكلوه ، فهو اكثر من حاجتهم ، فعلم انه قصد بالتقرب اليهم بالدماء فكان ذلك تقربآ بالذبح والنحر فكان مما اهل به لغير الله فلا يحل اكله ، فلذلك قال

ولا تمسوا قبرآ او تمسحوا .. ولا تطوفوا حوله او تذبحوا

لا تَعبدُوهُ بِسِوَى مَا قَدْ شَرَعْ

قَدْ نَتَقَرَّبُ بجلْبِ مَا نَفَعْ

(لا تعبدوه في سوى ما قد شرع)ايضآ من تمام توحيده في العبادة الا يعبد الا بما شرع ، وهو من مقتضيات شهادة ان محمدآ رسول الله ، لا يعبد الله الا بما بلغ عنه رسوله صلى الله عليه وسلم ،

لماذا ؟ قال :

.... قد نتقرب بجلب ما نفع

او دفع ما ضر لمخلوق ....

المخلوق الذي تعلم انك تنفعه وتضره يمكن ان تتقرب اليه بجلب ما ينفعه وبدفع ما يضره لكن الخالق لا يمكن ان تبلغه بنفع ولا ضر ولذلك قال : (ياعبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني) فلذلك لا يمكن ان تتقرب اليه الا بما شرع قال

.... قد نتقرب بجلب ما نفع

او دفع ما ضر لمخلوق ولا نبلغ ذا من مالك الملك علا

لا يمكن ان نبلغ ذلك من مالك الملك جل وعلا ،

وَبِالرُّبُوبِيَّةِ وَحِّدُوْهُ

فَهْوَ الذِي تَعنُوُا لَهُ الوُجُوْهُ

بعد ان فصل في توحيد الالهية بدأ في القسم الثالث من اقسام التوحيد، وهو توحيد الربوبية والمقصود به الايمان بأن الله سبحانه وتعالى وحده هو خالق هذا الكون المدبر لامره المتصرف بشؤونه كبيرها وصغيرها ، فلا خالق لشيء سواه ، ولا يستغني عنه شيء من خلقه في اصل انشاءه ولا في تدبير واستمراره معنى ذلك ، والربوبية مشتقة من رب الشيء يربه اذا ملكه ومنه قول صفوانَ بن امية :

لَئن يَرُبَني رجل من قريش خير من ان يَرُبني رجل من هوازن ، والعرب تستعمل من هذه المادة اربعة افعال فيقولون : ربه يربه كما ذكرنا ،ويقولون رببه يُرَبِبُه ومنه قول امية ابن ابي الصلت :

بيضاً مَرازِبَةً غُلْباً اساورةً ...أسداً تُرَبِبْنَ في الغَيْظات أشبالاً

ويقولون : ربته يربته بنفس المعنى ايضاً ومنه قول الشاعر :

الا ليت شعري هل ابيتن ليلة... بجمهور حُزْوى حيثُ رَبَّتَني اهلي

ربتني اهلي اي رباني اهلي ،ويقال ايضاً رباه يربيه وهذه هي الرابعة ،رباه يربيه اذا اوصله الى كماله شيئاً فشيئاً ومنه قول الشاعر :

وربيته حتى اذا ما تركته اخا.... القوم واستغنى عن المسح شاربه

وبالمحض حتى آض نهداً عَنَطْنَطاً ... اذا قام ساوى غالب الفحل غالبه

(وبالربوبية وحدوه) اي افردوه سبحانه وتعالى (فهو الذي تعنوا له الوجوه) فهو وحده الذي تعنوا له الوجوه وقد قال تعالى : { وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما } عنت له الوجوه اي ذلت له والمقصود بذلك انها تحت امره ، فالقلوب كلها بين اصبعين من اصابع الرحمن وكل هذا من تمام ربوبيته ،والنفوس كلها بيده متى شاء امسكها ومتى شاء ارسلها { الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى }

لا تَجْعَلُوُا إذَا دَعَوتُمْ وُسَطَا

بَينَكُمُ وَبَينَهُ فَهُوَ خَطَا

رجع الى توحيد الالهية فقال :

(لا تجعلوا اذا دعوتم) اي في دعائكم والدعاء من العبادة بل هو العبادة كما في الحديث

(لا تجعلوا اذا دعوتم وسطآ بينكم وبينه......................) اي لا تتوسطوا اليه بالوسائط ، بل ادعوه بالمباشرة ، وهذا رد لما كان اهل يفعلونه فإنهم يدعون من دونه آلهة ويزعمون انهم يتقربون اليه بذلك ولهذا رد الله عليهم بقوله { والذين يدعون من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى } فقد رد الله سبحانه وتعالى ذلك بالكلية قال { ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعائكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير } قال تعالى { اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورآ } قال تعالى { اليس الله بكاف عبده } قال تعالى { افرءيتم ام تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون } قال تعالى { قل افغير الله تأمروني اعبد ايها الجاهلون ولقد اليط والى الذي من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين } في الاصطلاح ان الالوهية معناها العبادة له ، المألوه المعبود ، والمقصود بذلك ان توحيده بالالوهية معناه توحيده في العبادة ان لا يعبد الا هو ، والعبادة هنا بمفهومها الواسع فيدخل فيها الصلاة والنذر والدعاء والتشريع والحاكمية والقسم كل ذلك داخل في العبادة بمعنها الواسع ، اما الربوبية فمعناها السيطرة على الكون لانه رب الكون اي هو خالقه ومدبر امره فهذا معناه في اللغة وهو ايضآ اصطلاح لا بأس به ، فمعنى الاله ومعنى الرب اذا بهذا معنيان متلازمان فالاله معناه المألوه اي المستحق للعبادة ، والرب بمعنى المدبر المالك لكل شيء الخالق له ، والربوبية تلازمها الالوهية ، فتوحيد الالوهية مقتضٍ لتوحيد الربوبية لانه اذا كان هو الوحيد الذي خلق الكون وهو الوحيد الذي يفعل به ما اراد فهو الوحيد اذا الذي يستحق ان يعبد فيه،

(لا تجعلوا اذا دعوتم وسطآ بينكم وبينه......................) ومن ذلك التوسل بالاشخاص فهو داخل في جعل وسطاء بين الداعي وبينه سبحانه وتعالى ولذها فإنه انما يفعله من ضعف ايمانه فهو يريد ان يتقوى بالاخرين وقد مثل الله لحاجة المشركين الى الشرك في مثل عجيب جدآ وهو بناء العنكبوت ، فبناء العنكبوت كأنه بنيان وله خيوط لكن لا يمسها شيء الا قطعها وافسدها ، { كمثل العنكبوت اتخذت بيتآ وان اوهن البيوت لبي العنكبوت لو كانوا يعلمون ان الله يعلم ما تدعون من دونه

من شيء وهو العزيز الحكيم وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون خلق الله السموات والارض } فجعنت هذه الايات بين الالوهية والربوبية ، جدي محمد علي رحمه الله يقول :

إني وان كنت محتاجآ لَمحتاجُ .. لخير من ترتجى اليه الحاجُ

فمنه اطلب حاجي دون واسطة .. تكون مثلي كما احتاج تحتاجُ

فإذا تذكر الانسان ان الذي يتوسط به هو محتاج ايضآ { اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسليلة ايهم اقرب } لم يتوسط به ويقول رحمه الله ايضآ :

لا آمل الناسَ في سر ولا علنٍ .. في حالتي ثروة مني وافلاسِ

ولا ارى الزرق الا عند خالقه .. ولا اضيء امور الله للناس

ذَلِكَ ، والإيمانُ كُلٌّ قَدْ شَمَلْ

عَقْدَاً بقَلْبٍ مَعَ قَوْلٍ وَعَمَلْ

(ذلك) اي اعرف ذلك كلهوهو تفصيلات الايمان بالله ، ثم رجع الى تعريف الايمان نفسه فقال

..... والايمان كل قد شمل عقدآ بقلب مع قول وعمل

بنية في سنة ....

هذا تعريف الايمان ، فالايمان في اللغة . يطلق على التصديق مثل قول الله تعالى { وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين } ويطلق ايضآ على الاطئمنان بالشيء اي التصديق الذي معه جزم التصديق الجازم { فآمن له لوط } صدق به مع جزم بذلك ، وهو في الاصطلاح : ما عرفه النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل بقوله (ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره) فالتصديق بالاطمئنان والجزم بهذه الاركان الستة هو الايمان اصطلآحآ

(كلٌ) اي يشمل كل ما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم فهذا الدين كله يسمى الايمان فيدخل فيه الاقوال والافعال والاعتقادات ، كل ذلك داخل في مسمى الايمان ، ودليل ذلك ما ثبت في الصحيح في حديث وفد عبد قيس حين اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالو يارسول الله " مرنا بأمرٍ فصل نعلمه من وراءنا وندخل به الجنة فقال : آمركم بأربع وانهاكم عن اربع ، آمركم بالايمان بالله وحده

، اتدرون ما الايمان وحده؟ قالوا الله ورسوله اعلم قال : ان تشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدآ رسول الله وان تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وان تؤدوا الخمس من المغنم) فجعل هذه هي الايمان وهذه كلها اعمال اعمال من اعمال الجوارح ، وكذلك فإنه جعل الحب في الله والبغض في الله اقوى عرى الايمان فدل ذلك على ان امور العاطفة ايضآ داخلة في مسمى الايمان وهي من العمل ، وقد كثرت النصوص عن النبي صلى الله عليه وسلم التي تقتضي ان الاعمال داخلة في الايمان ، اما ان تدل على انها تزيد الايمان ، او ان تدل على انها اجزاء منه، مثل قوله (الحياء شعبة من الايمان) فجعل الحياء شعبة اي جزءآ من الايمان وبين ان شعبه بضع وستون شعبة كما في صحيح البخاري او بضع وسبعون شعبة كما في صحيح مسلم ، وهذا هو الاطلاق الشائع في النصوص الشرعية ، اطلاق الايمان على الكل على كل الدين وورد اطلاقه على عمل القلب فقط الذ هو الاعتقاد ، جاء ذلك في حديث جبريل كما شبق فإنه سأله عن الايمان وسأله عن الاسلام وعن الاحسان وجاء ايضآ في آية الحجرات في قول الله تعالى { قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا } وجاء ايضآ في حديث سعد ابن ابي وقاص في الصحيحن (اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اقومآ وسعد جالس وترك رجلآ هو احبهم اليّ فقلت يارسول الله ما لك عن فلان فإني والله لاراه مؤمنآ فقال او مسلما) فميز النبي صلى الله عليه وسلم هنا بين الايمان والاسلام ، فهذا الاطلاق الثاني هو من اطلاق الشيء على جزءه كإطلاق الرقبة على الانسان ، { تحرير رقبة } هل معناه الرقبة التي هي العضو ؟لا بل معناها الانسان بكامله ولذلك فهو حينئذ مجاز اذا اطلق على الاعتقاد وحده فهو مجاز ، وقد عقد له البخاري بابآ في الصحيح فقال " بابٌ اذا لم يكن الايمان على الحقيقة " لم يكن على الحقيقة معناه اذا اطلق اطلاقآ مجازيآ ، وقد اختلف الائمة في تفسير الايمان على هذين الاطلاقين ، فذهب جمهورهم الى الاطلاق الاول : ان الايمان يشمل القول والعمل والاعتقاد انه هو : اعتقاد بالجنان ، ونطق باللسان ، وعمل بالاركان ، يزيد بالطاعات وينقص بالعصيان ، وذهب آخرون الى انه عمل القلب فقط وبهذا قال عدد من التابعين منهم حماد ابن ابي سليمان وهو شيخ ابي حنيفة ، وعدد من اهل العراق وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية والحافظ الذهبي ان هذا الخلاف لفظيٌ فقط لان الجميع يتفقون على انه لا فائدة من الاعمال اذا لم يكن هنا عمل القلب ، والجميع يتفقون كذلك ان عمل القلب هو الذي يقتضي عمل الجوارح ، فإذا لم يحصل عمل القلب فلا يمكن ان يستقيم الانسان بعمل الجوارح امثالآ واجتنابآ ، والجميع كذلك متفقون على ان الايمان يزيد وينقص ،

*سائل يسأل : المرجئة ايش يقولون ؟ قال الشيخ : المرجئة يرون ان الايمان هو العمل الظاهر الذي نراه نحن ويكلون باطن الانسان الى الله ،ويرون انه لا يضر مع الايمان عمل كما لا ينفع مع الكفر عمل ، فيقولون من شهد ان لا اله الا الله وان محمدآ رسول الله ولو ترك الصلاة ولو زنى ولو سرق ولو شرب الخمر يبقى دائمآ ايمانه كاملآ ، فلا ينقص الايمان عندهم بهذا ، ويرون ان الايمان لا يزيد ولا ينقص وانه مجرد عمل القلب ، القناعة فقط ، وهذا الذي رأوه غاية في الخلل فإن الله سبحانه وتعالى اثبت زيادة الايمان في عدد كبير من الايات كقوله تعالى { واذا ما انزلت سورة فمنهم يقول ايكم زادته هذه ايمانآ فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانآ وهم يستبشرون } قال تعالى { إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى } قال تعالى { ولكن ليطئن قلبي } في قصة ابراهيم قال تعالى { والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم } فزيادة الايمان ثابتة بالنصوص الكثيرة ، نعم لم يرد نص من قرآن ولا من من سنة فيه نقص الايمان ، ولذلك روي عن بعض السلف انهم قالوا :الايمان يزيد ولا ينقص ومقصودهم بذلك الوقوف عند النص ، فالنص جاء فيه ذكر زيادة الايمان ولم يرد فيه ذكر نقصه ، وايضآ فإن شروح الحديث والمفسرين اختلفوا في الوجه الذي يدخل على الايمان منه الزيادة والنقص وماهو ؟ فمنهم من قال : الزيادة والنقص يلحقان بأصل الايمان اي بحصول الطمئنينة ، وهذا لا شك فيما يلحظه الانسان في نفسه ، فليحظ انه اذا كان في اقبال على الله وفي طاعة وعمل والتزام لا تأتيه الوساوس والظنون والاوهام ، ويكون موقنآ قد حلت السكينة في قلبه مثل ما يحصل لكثير منكم في رمضان مثلآ في وقت الصيام والقيام والصدقة والقرآن ، فلا شك انه يحس في نور في قلبه وطمئنينة كاملة ، واذا كان الانسان مقصرآ في بعض النوافل او صاحبآ لصحبة السوء ، او مبتعدآ عن الصلاة في المسجد حال بينه وبين المسجد عدد من الصلوات لم يصلها فيه فسيحس بالوساوس والاوهام والشكوك والظنون فإذآ هذا القول الاول

القول الثاني :ان زيادة الايمان هو زيادة افراد ما يؤمن الانسان به ، معناه ان قوله { واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانآ } فالمؤمنون زادتهم ايمانآ لانهم كانوا يؤمنون بما انزل قبلها من السور فجاءت هي فآمنوا بها فازداد ايمانهم اي ازداد ما يؤمنون به .

القول الثالث : ان المقصود بزيادة الايمان زيادة العمل كلما ازداد الانسان في الطاعة ازداد في الايمان فيدل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم (اكمل المؤمنين ايمانآ احسنهم خلقآ) فمن كان اطوع لايمانه فهو اكثر ايمانآ من غيره لان الانسان يدعوه الايمان الى الخوف من الله ويدعوه الى الالتزم بالطاعة ويدعوه الى التواضع ، ويدعوه الى الرحمة بالمؤمنين ، والشفقة عليهم ، فمن كان فيه اغلب كان احسنهم خلقآ كان اكمل ايمانآ واتم ، ومن كان جواظآ شديدآ سيء الخلق فمعناه ان ايمانه خفيف ولهذا فإن الايمان

يزايل الانسان في وقت الاقدام على المعصية (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا ينتهب النهبة ترفع اليه الرؤوس حين ينتهبها وهو مؤمن) فحينئذ يزايله ايمانه ، والبرهان في قلب الله تعالى الذي يحول بين الانسان وبين المعصية يتفاوت ، فمن الناس من يكون برهان الله قلبه كالجبل بينه وبين المعصية فلا يتعلق بها ولا تخطر في قلبه ، ولا يرى لها لوناً ولا يشم لها رائحة ولا يسمع لها حساً ، وهؤلاء هم المعصومون والمحفظون من المعصية مثل الرسل ومثل المحفوظين من اولياء الله الذين لا تخطر المعصية على قلوبهم ،

القسم الثاني: الحائل بينه وبين المعصية وبرهان الله في قلبه مثل الزجاج الحصين لا يستطيع اختراقه ويحجب عنه الاصوات لكنه يرى الحركة والالون من ورائه ، وهؤلاء دون اولئك ،

القسم الثالث : الحاجز بينهم وبين المعصية كالماء يمكن اختراقه لكن بصعوبة ، ويرى الالوان من ورائه والحركات

القسم الرابع : الحاجز بينه وبين المعصية كالهواء يخترقونها في كل الاوقات نسأل الله السلامة والعافية ، وقد قال الله تعالى { إن الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون } وفي القراءة السبعية الاخرى {ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون } والطيف ما يرى في االمنام ،والطائف اللمة السريعة فإهل التقوى ليسوا دائماً معصومين فقد يقع منهم الميل الى المعصية باستماع او لحظة قلب او لحظة عين ،نظرة ، لكنهم يتذكرون الله فيقلعون ، سريعاً ما يتذكرون فيقلعون ، ولا يستنبئون المعصية لا يحبونها ابداً ولذلك عرّف النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن فقال (من سرته حسنته واساءته سيئته فذلك المؤمن) فالذي تسره حسن يسره، وتسوءه سيئته اذا وقع في معصية لله اينآ كانت ساءته ولم يُحِبَها ولم يعجب بها هذا هو المؤمن ، قد قال ابن الجوزي رحمه الله : " إن اشد الناس بلاءآ المحجبون عن الله " الذين حجبهم الله عن نفسه فلا تخطر شؤون الاخرة على قلوبهم اصلآ ، لا يدور امر الاخرة في خلد احد منهم "واشدهم حجبآ عنه الله من خذله بالاشتغال بالمعصية " لانه خذلهم حين سلطهم على انفسهم بارتكاب المعاصي ، "واشدهم حجبآ عن الله" اشد اهل المعاصي حجبآ عن الله من لا يشعر بالحجب ، فيحب المعصية ويستمرءها ويعجب بها فهم ثلاث درجات :

فالذي يحب المعصية وتعجبه اذا وقع فيها ويسر بها هذا هو اسوأ الناس حالآ واكبرهم مصيبة ، ودونه الذي يسلطه الله على نفسه في الوقوع في المعاصي ، ودون ذلك المحجوب الذي لا يدور امر الاخرة في

خلده ، فهؤلاء كلهم مطرودون عن الله سبحانه وتعالى مصرفون عن بابه نسأل الله السلامة والعافية ، قال :

(ذلك) وهذا يسمى الاقتضاب والقطع وهو ان نخرج من الاسلوب الذي كنا فيه الى اسلوب آخر ، مثل قول الله تعالى { ذلك ومن حرمات الله فهو خير له عند ربه } { ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب } والعرب يقولون في الاقتضاب (ذلك ، وهذا) ونحو ذلك من اسماء الاشارة ، مثل قول زهير:

إن البخيل ملوم حيث كانا .. ولكنّ الجواد على علاّته هَرِمُ

ومثل ذلك كثير جداً

ذَلِكَ ، والإيمانُ كُلٌّ قَدْ شَمَلْ

عَقْدَاً بقَلْبٍ مَعَ قَوْلٍ وَعَمَلْ

(والايمان كلٌ) اي حقيقة متكاملة يدخل فيها ما ذكر فلذلك قال (قد شمل) اي جمع (عقدآ) اي اعتقادآ بقلب (مع قول) وه والنطق بالشهادتين وذكر الله وكل الاقوال التي يحض الشرع عليها (وعمل)اي عمل الجوارح فيشمل ذلك عمل الصلاة والصوم والزكاة فيشمل الافعال والتروك ، الافعال كالصلاة والزكاة ، والتروك مثل ترك شرب الخمر وترك الزنا وترك القبائح كلها ترك الغيبة ترك النميمة ،و التروك تنقسم الى قسمين :

الى ترك خصص بوقت ، وترك مطلق

فالتروك المخصص بالاوقات مفتقرة الى النيات كالصوم فهو ترك مخصص بوقت اي ترك للمفطرات من طلوع الفجر الى غروب الشمس ، فيحتاج الى نية بخلاف التروك المطلقة كترك الزنا وترك شرب الخمر فهذا ترك مطلق مدة العمر فلا يحتاج الى نية في الامتثال يمتثله الانسان ولو لم ينوه ، لكن يزداد ثوابه بالنية من نوى انما يترك تلك القبائح امثالآ لامر الله واجتنابآ لنهيه وطمعآ في رضاه وخوفآ من عقوبته فلا شك انه يثاب ثوابآ اكبر (مع قول وعمل بنية)فإنما يكمن العمل كله بالنيات لقول النبي صلى الله عليه وسلم (إنما الاعمال بالنيات) والمقصود بذلك ما كان من الايمان عملآ ظاهرآ والا فالاعمال الباطنة كأعمال القلب لا تحتاج الى النية فلو كان كذلك لكانت النية تحتاج الى نية وحصل التسلسل ، فالايمان القلبي لا يحتاج الى النية ، والايمان الظاهر الاعمال الظاهرة هي التي تحتاج الى النية ، فقول النبي

صلى الله عليه وسلم (إنما الاعمال بالنيات) المقصود به اعمال الجوارح لا اعمال القلب ، إذ لو احتاجت اعمال القلب الى نية لاحتاجت النية الى نية لانها من اعمال القلب ، فيحصل التسلسل ، والنية ترد بالتشديد والتخفيف وهي في الاصل نُوْيةٌ فسكنت الواو اجتمعت الواو والياء فسَبقت احداهما بالسكون فوجب قلب الواو ياءآ ، وادغام الياء في الياء فقيل نيّة وجمعها نيات ، قال النبي صلى الله عليه وسلم (إنما الاعمال بالنيات وإنما لكل امرء ما نوى)

بِنِيَّةٍ فِي سُنَّةٍ وَبِالعَمَلْ

زِيَادَةً ونَقْصَاً المِثْلَ احْتَمَلْ

(في سنة)اي في موافقة لهدي النبي صلى الله عليه وسلم فالاعمال التي لا توافق الاعمال التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم باطلة مردودة لقول النبي صلى الله عليه وسلم (من عمل عملآ ليس عليه امرنا فهو رد) (من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد)

(وبالعمل زيادة ونقصآ المثل احتمل) يقول ان الايمان يزيد وينقص ، وزيادته ونقصه بالعمل فإن زادت الطاعة زاد الايمان ، وان زادت المعصية نقص الايمان ، (وبالعمل زيادة ونقصآ المثل احتمل) ففي زيادة العمل الصالح يزداد بنقصه، ينقص (المثل) اي الزيادة والنقص ايضآ احتمل الايمان

وَالوَحيُ حقٌّ لَيْسَ قَوْلاً يُخْتَلَقْ

وَالكُتْبُ حَقٌّ وَالمِلائِكَةُ حَقّْ

(والوحي حقٌ) والوحي هو ايحاء الله الى عباده وهو في الغة : الاسراع يقال : اوحى ، ووحى اذا اسرع ويطلق ايضآ على الكتابة ، فوحي القلم كتابته ، وهو من الافعال التي تستعمل في الثلاثي والرباعي فيقال : وحى ، وأوحى ، وهو في الاصطلاح : ما ينزل الله من علمه وشرعه الى من اختاره من رسله { الله يصطفي من الملائكة رسلآ ومن الناس } { الله اعلم حيث يجعل رسالته } وهو (حقٌ) يجب الايمان به وله انواع كثيرة وقد سبق ان اشرنا الى بعضها اوصلها اهل العلم الى اثني عشر نوعآ (والوحي حق ليس قولآ يختلق) اي ليس قولآ يكْذب على الله سبحانه وتعالى والاختلاق : هو اقتطاع الشيء من

غير اصله ، والمقصود بذلك القول الذي ليس له اصل ، فلهذا فإن مكذب الرسل كانوا يقولون { إن هذا الا اختلاق } كماجاء ذلك في سورة ص إن هذا الا اختلاق اي كذب على الله سبحانه وتعالى والله سبحانه وتعالى منع حصول ذلك بقوله { ولو تقوّل علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين } ولو تقول علينا اي لو كذب علينا بأي نوع من انواع القول لو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين اي لاخذ منه كل ذلك عن قوة وبطش نسأل الله السلامة والعافية ثم لقطعنا منه الوتين اي لاهلكناه وقطع الوتين يطلق على الذبح والمقصود به الاخذ الوبيل مطلقآ فيشمل الذبح وغيره من انواع الاهلاك فلا يمكن ان يختلق احد على الله سبحانه وتعالى بالكذب الا فضحة واهلكه كما حصل لمدعي الرسالة في عصر من العصور فهذا الاسود العنسي وهذا مسيلمة الكذاب وسجاح تعرفون ماذا خذلهم الله به واهانهم ...

تنبيه :

الى هنا انتهى الشريط الخامس والظاهر ان فيه قطع

الشريط السادس

(وَالكُتُبُ حَقٌّ وَالمِلائِكَةُ حَقٌّ) من اركان الايمان الايمان بالكتب المنزلة اي بكتب الله التي انزل على رسله فيجب الايمان بها اجمالآ على انها من عند الله وانها حق ويجب الايمان تفصيلآ بما ذكر منها بالقرآن والتواراة والانجيل والزبور ووبصحف ابراهيم كذلك ، ويجب الايمان ان القرآن مهيمن عليها ناسخ لها ، وهو مصدق لما بين يديه من الحق ، (والملائكة حق) كذلك من اركان الايمان الايمان بالملائكة وهم عباد مكرمون { لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون } محضهم الله لطاعته ، وجعلهم جندآ من جنده ينزلهم بالسكينة على المؤمنين { إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن تولياءكم في الحياة الدنيا وفي الاخرة } ولا يحصي عددهم الا الله ، كثرتهم عجيبة جدآ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (اطت السما وحق لها ان تئط فما

فيها موضع اربعة اصابع الا وملك لله فيه ساجد او راكع) وكذلك كثرتهم في الارض عجيبة فمنهم الملائكة السيارون الذين يغشون حلق الذكر ، ومنهم الكُروبيون ، ومنهم الذين يعدون اوراق الشجر ما يسقط منها ، ومنهم الذين يأتون مع المطر فلا تسقط قطرة منه الا في يد ملك منهم حتى يرسلها الى مكانها ، ومنهم الذين يتعاقبون في الناس في كل يوم (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار) وافضلهم المقربون منهم ، ومن المقربين جبريل وميكائيل واسرافيل وقد ذكرهم النبي صلى الله عليه وسلم في داعاء الاستيقاظ آخر الليل (اللهم رب جبريل واسرافيل وميكائيل ورب محمد النبي صلى الله عليه وسلم) وجاء ذطر جبريل وميكائيل في القرآن فقال الله تعالى عندما جاء النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة اتاه اليهود فقالوا : من يأتيك بالوحي من الملائكة ؟ فقال جبريل فقالوا : ذلك عدونا من الملائكة ، فأنزل الله تعالى : { من كان عدوآ لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين } وهم مشغولون بالطاعة في كل اوقاتهم كما قال تعالى { يسبحون الليل والنهار لا يفترون } وهذا مقتضٍ لئن لا يشتغلوا بغير التسبيح كما يشتغل به الناس من الاكل والشرب والملذات ، هم لا يشتغلون بهذا لانهم { يسبحون الليل والنهار لا يفترون } والله سبحانه وتعالى جعل البشر بين جنسين جنس اسمى منهم وجنس ادنى ، قالجنس الاسمى الملائكة كلهم الله بالطاعات ولم يمتحنهم بالشهوات ، والصنف الادنى الحيوان البهيمي لم يكلفه الله بالتكاليف والطاعات ولكنه سلط عليه الشهوات ،والانسان جمع الله له بين الامرين فهو مكلف بالتكاليف وسلطت عليه الشهوات ، فإن هو ادى التكاليف ولم يتبع الشهوات التحق بالصنف الاسمى وهو الملائكة في القرب الى الله سبحانه وتعالى وعبادته ، وان هو ضيع التكاليف واتبع الشهوات التحق بالصنف الادنى وهو الحيوان البهيمي بل كان شرآ منه لانه قام عليه من الحجة ما لم يقم على الحيوان البهيمي كما قال تعالى { إن هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلاً } قال تعالى { مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارآ بئس مثل القوم الذين كذبوا بأيات الله }

* سائل يسأل* قال الشيخ : بالنسبة للتفاضل بين الملائكة والبشر إنما يجزم فيه بفضل النبي صلى الله عليه وسلم وابراهيم والوا العزم من الرسل ويونس على سائر الخلائق ،فإن الله شرفهم على كل الخلائق فيشمل ذلك اولئك ، اما غيرهم من الرسل فلا يجزم بشيء فيه بل يسكت الانسان عن هذا فنحن لم نؤتَ من العلم الا قليلاً { وما اوتيتم من العلم الا قليلاً } ولا يتوقف على ذلك لنا تكليف لا يتوقف تكليف على ان نقول فلان من الناس افضل من فلان من الملائكة، هل هو قرين هو افضل من مقارنه ام لا ، لا نتكلم بهذا ، لكن نعلم ان اولئك الرسل الذين فضلهم الله واجتباهم بين النبي صلى الله عليه وسلم درجتهم في الفضل فقد كان ابراهيم في زمانه وزمان الذي بعده افضل خلق الله ، فلما اختار الله محمدآ صلى الله عليه وسلم لخلته ايضآ وطلعه على ذلك في آخر عمره علم انه افضل خلق الله فكان

محمدٌ صلى الله عليه وسلم افضل من ابراهيم هكذا اولوا العزم من الرسل " موسى وعيسى ونوح ومعهم ايضآ يونس بن متى لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في اول الاسلام : لا تفضلوني على يونس بن متى قبل ان يعلم ان الله فضله على كل الانبياء انه جعله سيد الخلائق ، والمقامات التي وصلها مثل الشفاعة التي لا يمكن ان يؤذن فيها لغيره ، لا ملك مقرب ولا ملك مرسل ، وايضآ التقريب الذي حصل ليلة المعراج عندما قال له جبريل : هذا مقامي لا اتعداه فإن الله فضله على جبريل في مقامات كثيرة جدآ ، واعظم ما فضل به النبي صلى الله عليه وسلم على الخلائق كلها مقام الشفاعة ، المقام المحمود الاكبر ، والشفاعات ثمان :

خُص الله النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث منها :

خصه بالكبرى ، والصغرى ، والوسطى

فالكبرى : الشفاعة في اهل المحشر جميعآ يدخل فيها آدم ومن دونه ، والصغرى شفاعته في رجل كافر مات على الكفر وقد اوجب النار بتخفيف العذاب عنه وهو كناية عن ابي طالب عمه فقد شفع فيه لتخفيف العذاب عنه فأخرج من النار وجعل في طرفها في ضَحْضَاح من نار تغلي منها دمائه وفي رواية " على جمرتين من نار يطأهما بأخمصيه يغلي منهما دماغه لا يظن ان احدآ اشد منه عذابآ " وهو اخف اهل النار عذابآ

والشفاعة الثالثة الخاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم الشفاعة لاهل الجنة في دخول الجنة ، فهو اول من تفتح له ابواب الجنة ، اول من يحرك الحلقة فتفح له ابواب الجنة ،

الشفاعات الاخرى مشتركة بينه وبين الانبياء والملائكة ، مثل الشفاعة فيمن استوت حسناتهم وسيئاتهم ، ومثل الشفاعة في العصاة الذين استحقوا النار ان لا يدخلوها ، ومثل الشفاعة في العصاة الذين دخلوا النار ان يخرجوا منها ، وهذا النوع شفاعتان : شفاعة المخلوقين ، ثم شفاعة ارحم الراحمين لان الله تعالى يقول : (إنتهت شفاعات الشافعين وبقيت شفاعة ارحم الراحمين) فيقول للملائكة اخرجوا من النار من قال لا اله الا الله ، ثم يمكث ماشاء ثم يقول اخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان) او مثقال ذرة من ايمان الى آخر الحديث ...

فيخرجون من النار قد اسودوا وانتحشوا فيلقون في نهر الحياة فتنبت اجسامهم كما تنبت الحِبة في حميل السيل ثم يُدخلون الجنة بعد ذلك ، وكذلك الشفاعة في اهل الجنة أن يُرَفَّع بعضهم عن مقام هو الذي استحقه في عمله ان يُرفع الى مقام لم يستحقه ثم الشفاعة الثانية لاهل الجنة ، وهي الشفاعة لهم بجمع

الكلمة ان يجمع معهم ذووهم واقاربهم { والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان الحقنا بهم ذريتهم وما التناهم من عملهم من شيء كل امرء بما كسب رهين } فهذه هي انواع الشفاعات وهي تدلك على الدرجة العليا التي خص الله بها محمدآ صلى الله عليه وسلم بين الخلائق ، والله سبحانه وتعالى عظّم شأن الشفاعة فقال : { من ذا الذي يشفع عنده الا بإذنه }قال في الملائكة { وكم من ملكٍ في السموات والارض لا تغني شفاعتهم شيئآ الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى }وقال في وصف الملائكة ايضآ { ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك مجزي الظالمين}بقية الوا العزم من الرسل دليل فضلهم مابينه النبي صلى الله عليه وسلم في ذكرهم وما بينه الله في عطفهم عليه في قوله { واذا اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم ومسى وعيسى ابن مريم }وانهم هم الذين سئلوا الشفاعة يوم القيامة ولو كان آدم سئل الشفاعة معهم ، فذلك لمنزلة ادم ايضآ ، فهم الذين سئلوا الشفاعة يوم القيامة ولم يسأل معهم الا آدم (والرسل حقٌ) والرسل : جمع رسول ، والرسول فعول للدلالة على المبالغة من الرسالة ، تطلق على الرسالة وعلى حاملها ، فالرسالة نفسها تسمى رسولا ، ومن ذلك قول الشاعر :

لقد كذب الواشون ما بُحتُ عندهم .. بليلى وما ارسلتهم برسولِ

أي: ما ارسلتهم برسالة ، وتطلق على حامل الرسالة لكن لا بد ان يكون حملها وضيفته ،فالمسافر اذا ارسلت معه رسالة فإنك لا تقول ارسلت رسولآ الى كذا ، لانه كان مسافرآ الى تلك الجهة ، وانما تقول ارسلت مع فلان رسالة ، لكن اذا كان هدف سفره واصله ان يؤدي تلك الرسالة سمي رسولآ ، هذا وجه المبالغة في ذلك

فما كلُّ يوم لي بأرضكِ حاجةٌ.. ولا كلُّ يومٍ لي اليكِ رسولُ

أي: الشخص الذي يرسل ليس له مهمة الا الرسالة التي يؤديها ، وفي الاصطلاح : مَن ارسله الله برسالة الى الناس ، الى الخلائق فيشمل ذلك من جاء مجددآ لملة من قبله ، ومن جاء بشرع جديد ناسخ لما سبق ، وهذان قسمان :

فالقسم الاول:الذين يأتون بشرائع ناسخة لكل ما سبق، كرسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، ورسالة موسى، ورسالة وابراهيم .

القسم الثاني: المجددون الذين يجددون رسالات السابقين ، وتجديدهم لا شك فيه نسخ لبعضها وتخفيف لاصرها

،كما جاء في رسالة عيسى ، فإنه قال في نِذارتِه لبني اسرائيل ما بينه الله في كتابه ،(وسولآ الى بني اسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرآ بإذن الله وابرئ الاكمه والابرص واحيي الموتى بإذن الله وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين ومصدقآ لما بين يدي من التوراة ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم)

ومنهم من يأتي في دعوته لاصلاح خلل انتشر في الارض ،طبعآ لا يكون ذلك الا بعد اصلاح التوحيد ، اصلاح العلاقة بالله ، فذلك دعوتهم جميعآ فهم جميعآ متفقون في منهجهم الذي هو الايمان كما قال الله تعالى : (شرع لكم من الدين ما وصى به والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إنا معاشرَ الانبياء إنا ابناء علّاتٍ ديننا واحد) ديننا واحد ابناء علاتٍ، ديننا واحد فهو الايمان بالله ، وهم ابناء علاتٍ ، وابناء العلات معناه: الاخوة الذين يجمعهم ابٌ وتختلف امهاتهم ،فهم يجمعهم اصل وهو الايمان ، وتختلف شرائعهم بالاباحة والتحريم ونحو ذلك ، فلهذا قال: (ديننا واحد ابناء علات) ولا ينافي هذا قول الله تعالى : (ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) فالشرعة : السنة ، والمنهاج: السبيل والمقصود بذلك ان كل واحد منهم له طريقته المختصة بحسب زمانه ومكانه وبحسب من ارسل اليه كثرة وقلة ، فيختلفون باختلاف ذلك ولهذا اختلفت معجزاتهم لاختلاف الاحوال كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما من بني ارسله الله في امة قبلي الا اوتي ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيآ اوحاه الله الي فأرجوا ان اكون اكثرهم تابعآ يوم القيامة) وامر النبي صلى الله عليه وسلم باتباع ملة ابراهيم انما يقصد به ما يتعلق بالفطرة ، وما يتعلق بطريقته في الدعوة ، ولا يقصد بذلك اتباعه لما كان مشرعا لابراهيم من الاباحة ولاتحريم ونحو ذلك ، وقد شُرع للنبي صلى الله عليه وسلم ما لم يشرع لاحد من قبله اباحة وتحريمآ،

ولم يكمل الشرع كمالا مطلقآ الا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، لذلك قال :

وَالرُّسْـــــلُ حَـــقٌّ وَالنَّـــبِيُّ العَـــرَبِيْ خَـــــاتِمُهُمْ ، أعْلاهُـــــمُ فِي الرُّتَـــــبِ

قد اختلف في الفرق بين الرسول والنبي فقيل : هما واحدٌ ، قال بعض اهل العلم : كل رسول نبي ، وكل نبي رسول ، وذهب الجمهور الى التفصيل ، الى التفريق ، قالوا : بين النبوة والرسالة فرقٌ ، ثم اختلفوا فيه ما هو ؟ فقيل : النبي : هو الذي ارسل اليه وحي ولم يأمر بتبليغه للناس ، والرسول: هو الذي انزل اليه وحي وامر بتبليغه للناس ، وقيل الرسول هو الذي يأتي بشرع جديد ، والنبي هو الذي يأتي بتكميل رسالة من قبله وتجديدها ، ولعل الفرق السابق وهو التفريق بين الامر بالتبليغ وعدمه هو ارجح الاقوال في هذا ، والنبي العربي هو محمد صلى الله عليه وسلم المنسوب الى العرب وهم الناطقون بلغة القران على وجه السجية ، والعرب ثلاثة اقسام :

1.العرب العاربة 2. العر ب البائرة 3.والعرب المستعرِبة

فالعرب العاربة هم ذرية قحطان بن هود بن عابر بن يرفخشذ بن متوشلخ بن سام بن نوح بن لامك بن مهلائيل بن يارد بن اخنوخ بن اينوش بن قينان بن شيت بن ادم ، وقد نسب النبي صلى الله عليه وسلم لسبأ بن يشجب بن يعرب ين قحطان عشرَ قبائل كما في سنن الترمذي وهم(الأزْدُ ، والاشعريون ، وحمير ، ومَدحج ، وكندة ، وانمارٌ) وهذه القبائل الستة يمانيون استقروا في جهة اليمن في العصور

الاولى ومعهم (غسان ، ولخم ، وجذام ، وعاملة) وهذه القبائل الاربعة شامية أي استقرت في الشام وما حول الشام من جهة العراق ، فهؤلاء هم العرب العاربة .

أما العرب المستعربة ، فهم ذرية عدنان بن اد بن الهميسع بن قيدان بن نبْت بن حمَل بن اسماعيل بن ابراهيم بن آزر بن ناحور بن عابر بن فالغ ارفخشذ بن متشولخ بن سام بن نوح بن لامك بن مهلائيل بن بن يارد بن اخنوخ بن اينوش بن قينان بن شيت بن ادم ، وهم قبائل العدنانية ، ومنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والعرب البائرة او البائدة ، والبوار الهلاك(أحلوا قومهم دار البوار) هم عاد وثمود وباري وطسم وجديس ، الذين انتفوا لوم يبق لهم اثر ومنهم جرهم [10]

(**وَالنَّبِيُّ العَرَبِيْ خَاتِمُهُمْ**) لقول الله تعالى (وخاتم النبيين)قرأت بالكسر والفتح ، في السبع (خاتِم النبيئين) و(خاتَم النبيين) والمقصود خاتمهم لا نبي بعده .

(**أعْلاهُمُ فِي الرُّتَبِ**) أي هو اعلاهم رتبة ومنزلة عنتد الله تعالى.

وَكُلُّهُـــــمْ أُوْتِيَ إذْ جَــــا بِالبُشَــــرْ : (مَـــا مِثْلُـــهُ عَلَيـــهِ آمَـــنَ البَشَـــرْ)

(وكلهم) أي كل الرسل (**أوتي**) أي اعطي من عند الله ، (**إذ**) معناه حين ، (**جا بالبشر**) جمع بشارة ، والرسل جميعآ جاءوا مبشرين ومنذرين كما قال الله تعالى : (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون على الله حجة بعد الرسل) .

(**مَا مِثْلُهُ عَليه آمن البشر**) أي اعطي معجزة لو رآها البشر جميعآ لآمنوا ،كناقة صالح ، وعصا موسى ، وكإحياء عيسى للموتى وابرائه للأكمه والابرص وميلاده من غير اب وتكلمه في المهد ، وغير ذلك ، فكل هذه المعجزات لو رآها البشر جميعآ لآمنوا ، ولكنها من الامور المادية التي لا تقوم بها الحجة الا على من رآها او نقلت اليه تواترآ ، فلذلك جعلها الله كذلك لتقوم بها الحجة فقط على العصر الذي يصلح له الشرع الذي جاء به النبي الذي أويد بتلك المعجزة ، فلما جاء محمد صلى الله عليه وسلم بهذا الشرع الخاتِم الذي يصلح لما بعده الى يوم القيامة كان لا بد من معجزة مستمرة باقية خالدة فكانت المعجزة هو هذا الوحيَ الذي اوحاه الله اليه ، فقد تحدى الله به الثقلين ان يأتوا بسورة من مثله ، فهو باق خالد الى ان يرفعه الله ، فلو كانت معجزة محمد صلى الله عليه وسلم كالمعجزات المادية السابقة كناقة صالح او كعصا موسى وغير ذلك لانقطعت الحجة بها في العصور التي تلي ، لكن جاءت حجته هذا الوحيَ الذي لا يزال متحدآ به لا يستطيع احد ان يأتي بمثله فلذلك قال :

وَكُلُّهُـــــمْ أُوْتِيَ إذْ جَــــا بِالبُشَــــرْ : (مَـــا مِثْلُـــهُ عَلَيـــهِ آمَـــنَ البَشَـــرْ)

---

[10] سائل يسأل : لم سموا (المستعربة) قال الشيخ : لان اباهم اسماعيل بن ابراهيم لم يكن في الاصل من الناطقين بلغة القران على وجه السجية ، لكنه عندما تزوج من جرهم وعاش فيهم وعشرهم تعلم لغتهم ، وكانت ذريته ناطقين بالعربية .

وَإنَّمَـــــا كَـــــانَ الـــــذِي الأَوَّاهُ أُوتِيــــــهِ وَحيَــــــاً إلَيْــــــهِ اللهُ

(**وَإنَّمَا كَانَ الذِي الأَوَّاهُ**) الاواه هو محمد صلى الله عليه وسلم ، والاواه التواب ، (**أوتيه**) هو فعلا اوه لان قال : (اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة) من حديث ابن عمر قال: (كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد اكثر مائة مرة ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك).

وَإنَّمَـــــا كَـــــانَ الـــــذِي الأَوَّاهُ أُوتِيــــــهِ وَحيَــــــاً إلَيْــــــهِ اللهُ

أوحاه ....

هو هذا القرآن .

أوْحَـــاهُ فَهُـــوَ أكْثَـــرُ الجَمَاعَـــهْ مَتَّبَعَـــاً يَـــوْمَ تَقُـــومُ السَّـــاعَهْ

(**فَهُوَ أكْثَرُ الجَمَاعَهْ**) اي جماعة الرسل ، (**متبعآ**) اي تابعآ اي اتباعآ ، (**يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَهْ**)

كَمَا رَجَا............................... ....

لانه قد صح عنه في صحيح البخاري انه قال : (ما من نبي بعثه الله قبلي الا أوتي ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيآ اوحاه الله الي فأردت ان اكون اكثرهم تابعآ يوم القيامة)

وقد حقق الله له رجاءه فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم انه عرضت عليه الامم فرأى النبيَ ومعه الرهط ،والنبي ومعه الرُهَيطُ، والنبي ومعه الرجل، والنبي ومعه الرجلان ، والنبي وليس معه احد ، حتى راى سوادآ عظيمآ فظنه امته فقيل هذا موسى وامته ولكن انظر الى الافق فراى سوادآ عظيمآ قد سد الافق فقيل هؤلاء امتك ومعهم سبعون الفآ يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب) فبين انهم اكثر الامم ، سوادٌ عظيمٌ قد سد الافق .

كَمَـا رَجَـا ، كَـذَا مِـن الـذِي اصْـطُفِي بِـــهِ الشَّـــفاعةُ لأهْــــلِ الموقِــــفِ

كذلك مما اصطفي به النبي صلى الله عليه وسلم بالاضافة الى تشريفه على الناس بالوحي الباقي الخالدِ (مِن الذِي اصْطُفِي به) أي من الذي اصطفاه الله به وميزه به عمن سواهم (الشَّفاعةُ لأهْلِ الموقِفِ) وهي الشفاعة الكبرى التي يدخل فيها آدم ومن دونهم ، هي المقام المحمود الذي ادخره الله له فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم انه ذكر ان الناس يحشرون الى الساهرة فتحيط بهم جهنم من كل جانب يؤتى بها تقاد بسبعين الف زمام في كل زمام سبعون الف ملك وتدنو الشمس حتى تكون كالميل ويشتدُّ العرق بالناس حتى يسيل في الارض سبعين ذراعآ فمنهم من يصل الى كعبيه ونهم من يصل الى ركبتيه ومنهم من يصل الى حقويه ومنهم من يصل الى سرته ومنهم من يصل الى ثدييه ومنهم من يصل الى ترقوتيه ومنهم من يُلجمه العرق الجاما فيطول بهم الموقف فيلجئون الى الانبياء فيبدأون بآدم فيقولون يا ادم خلقك الله

بيمينه ونفخ فيه من روحه واسجد لك ملائكته وجعلك خليفته في الارض فاشفع بنا الى ربنا اما الى جنة واما الى نار فيقول ادم نفسي نفسي ربي لا اسألك الا نفسي ان ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب مثله بعده ، واني قد عصيت الله فأكلت من الشجرة ولكن اذهبوا الى نوح فيأتونه فيقولون يانوحٌ انت اول الرسل الى اهل الارض فاشفع لنا الى ربنا ، اما الى جنة واما الى نار فيقول نوحٌ نفسي نفسي رب اني لا اسألك الا نفسي ، ان ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، واني سألت الله ما لم يأذن لي به ولكن اذهبوا الى ابراهيم فيأتونه فيقولون يا ابراهيم قد اصطفاك الله لخلته فاشفع لنا الى ربنا اما الى جنة واما الى نار فيقول ابراهيم نفسي نفسي رب لا اسألك الا نفسي ان ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله واني قد كذبت ثلاث كَذَبات وما كنت الا قليلاً من وراءَ وراء ولكن اذهبوا الى موسى فيأتونه فيقولون : يا موسى قد اصطفاك الله برسالاته وبكلامه فاشفع لنا الى ربنا اما الى جنة واما الى نار فيقول موسى نفسي نفسي رب لا اسألك الا نفسي، ان ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، واني قتلت نفساً لم يؤذن لي بقتلها ولكن اذهبوا الى عيسى فيأتونه فيقولون : يا عيسى انت روح الله وكلمته القاها الى مريم فاشفع لنا الى ربنا اما الى جنة واما الى نار فيقول عيسى: نفسي نفسي رب لا اسألك الا نفسي، ان ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله واني عبدتُ من دون الله لا يجد شيئاً يذكره غير ذلك ولكن اذهبوا الى محمد فيأتونني فيقولون: يا محمد انت خاتم الانبياء وامامهم فاشفع لنا الى ربنا اما الى جنة واما الى نار فأقول : انا لها فأخر ساجداً ، وفي رواية فأخر راكعا تحت العرش فيلهمني الله ثناءا عليه بمحامد لا احسنها ولم يحسنها احد قبلي فأثني عليه بها فيقول: يا محمد ارفع رأسك واشفع تشفع وسل تعطه) فذلك المقام المحمود الذي وعده الله سبحانه وتعالى وهو الشفاعة العظمى فلذلك قال :

.... كَذَا مِن الذِي اصْطُفِي .. بِهِ الشَّفاعةُ لأهْلِ الموقِفِ

واهل الموقف هم اهل الساهرة وهم الخلائق جميعاً ، والساهرة ارض جرداء كالكُرْسُفّةِ يقف الواقف بها فيرى طرفها الاخر يجتمع فيها الناس حفاة عراة غرلاً ليس مع احد منهم الا عمله يستظلون بظل صدقاتهم فمن مستكثر ومن مستقل.

فَـــآمِنُوا بِــــهِ وَمَــــا أتَـــى بِــــهِ فَـــــــاقْفُوا وَإنْ لم يَأْتِ في كِتَابِـــــــهِ

(فَآمِنُوا بِهِ) فيجب الايمان به صلى الله عليه وسلم، وهو الشهادة الثانية شهادة ان محمداً رسول الله

(وَمَا أتَى بِهِ فَاقْفُوا) أي ما جاء به من عند الله فاتبعوه وخذوا به وقد قال الله تعالى {فلا ربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما}

(وَإنْ لم يَأْتِ في كِتَابِهِ) وان لم يأتِ ذلك التشريع في كتابه أي: في القران .

(فَإنَّهُ أُوتِيَ مثلُهُ مَعَهْ) فإنه اوتي القران ومثله معه كما صح عنه صلى الله عليه وسلم في حديث المقداد بن معد كرب انها قال: (الا هل يوشك رجل شبعانُ متكئٌ على أريكته يأتيه الامر مما أمرت به او نهيت عنه فيقول بيننا وبينكم كتاب الله ما ووجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه الا وان رسول الله حرم مثل ما حرم الله ، الا إني أوتيت القران ومثله معه)

فَإنَّــــــــهُ أُوتِيَ مثلُـــــــــهُ مَعَـــــــــهْ مِـــــنْ حِكْمَـــــةٍ وَسُـــــنَّةٍ متَّبَعَـــــهْ

فالحكمة هي السنة فلذلك قال الله تعالى : {واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمه} قال تعالى: { لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من انفسهم يتلوا عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم} كما قال تعالى في سورة الجمعة: { هو الذي بعث في الاميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين} فالحكمة التي يُعلِمُها معطوفة على الكتاب هي السنة في هذه المواضع كلها.

(من حكمة وسنة متبعه) وهذا من عطف التفسير وعطف السنة على الحكمة عطف تفسير لها ، والحكمة "فِعْلة" من الحُكم وهو الاتقان والامساك ، فأمسك الشي بقوة يعبر عنها بإحكامِه وأحكم فلان الفرس أي امسكها بقوة فيقال : احكم فلان الفرس أي امسكها بقوة ومنه "حَكَماتُ اللجام" التي تمسك بها الفرس ولذلك قال زهير بن ابي سلمى:

بل اذكُرَنْ خيرَ قيسٍ كلِها نسباً .. وخيرَها نائلاً وخيرَها خُلُقا

القائد الخيلِ منكوباً ذوائدها .. قد احكمت حكمات القدِّ والابقا

وكذلك إحكام السفيه معناه: امساكِه عن سفهه كما قال جرير:

أبني حنيفة أحكموا سفهائكم .. إني أخاف عليكمُ أن اغضباً

أبين حنيفة إنني إن اهْجُكم .. أدعِ اليمامة لا تُواري أرنبا

والحكمة : إتقان وولذلك جعل الله من وسائل الدعوة الحكمة فقال تعالى : {أدعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة } والحكمة في هذه الاية هي موضع الشيء في موضعه ، أي : وضع القول في موضعه ، والفعل في موضعه، والشدة في موضعها ، واللين في موضعه ، والدليل في موضعه ، فكل شيء يوضع في موضعه فهذه هي الحكمة ، ولهذا قال ابو الطيب المتنبي :

ووضع الندى في موضع السيف في العُلى .. مُضرٌّ كوضع السيف في موضع الندى

(وسنة ومتبعه) يلزم إتباعها .

وَاليَــــومُ الآخِــــرُ وَمَــــا قَــــدْ اشْــــتَمَلْ عَلَيــــهِ مِــــنْ حَشْــــرٍ وعَــــرْضٍ لِعَمَــــلْ

حقٌّ ....

من أركان الايمان الايمان باليوم الاخر وهو يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين وقد سماه الله في كتابه بعدد من الاسماء المفضعة فسماه : بالواقعةِ وسماه بالقارعة وسماه بالحاقة وسماه بالازفة وسماه بالقيامة وكل ذلك تعظيم لشأنه وتكبير لأمره ، وهذا اليوم الاخر يشتمل على كثير من المشاهد من مشاهد القيامة ، فأجملها بقوله:

(وَمَا قَدْ اشْتَمَلْ عَلَيهِ) وما قد اشتمل عليه اليوم الاخر وذلك أنواعٌ : منه الحشر وهو حشر العباد الى الله ، يحشرون جميعآ الى الساهرة (وعَرْضٍ) وهو العرض على الله سبحانه وتعالى {يومئذٍ تعرضون لا تخفى منكم خافية} {ولو ترى إذ قفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق} والعرض هو عندما تبلى السرائر {يوم تبلى السرائر} .

قال: (وعَرْضٍ لِعَمَلْ) فعنئذٍ تعرض الاعمال وأهلها على الله سبحانه وتعالى فيفضح أقوم على رؤوس الاشهاد نسأل الله السلامة والعافية ، ينصب لكل غادرٍ لواءٌ لنفسه ينادى على رؤوس الاشهاد هذه غدرة فلان بن فلان فيستر الله بستره الجميل من شاء من عباده ويبسط كنفه على المؤمن فيقول: أي عبدي أتذكر يوم كذا إذ فعلت كذا وكنت قد نهيتك عنه فيقول نعم يارب وكنت قد نسيتك فيقول لكنني لم أنسك.

حــقٌّ ، كَــذَا الــوَزْنُ وَمَــا بِــهِ التَحَــقْ وَالنَّـــارُ حَـــقٌّ وَكَـــذَا الجَنَّـــةُ حَـــقْ

(كَذَا الوَزْنُ وَمَا بِهِ التَحَقْ) كذلك من مشاهد القيامة وزن الاعمال عندما توضع الموازين بالقسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئآ ويؤتى بالميزان وهو ميزان حقيقي له كفتان ولسان فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون} {ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون} فالوزن من المواقف المنطقة يوم القيامة فالذين يشهدونه هم من الذين لم يكونوا يؤمنون به في الحياة الدنيا فيقولون : {ياويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ماعملوا حاضرآ ولا يظلم ربك أحدآ} وهذا المشهد هو الذي ذكره الله سبحانه وتعالى بقوله: {يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرآ وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه أمدآ بعيدآ ويحذركم الله نفسه} وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه في حال الوزن تعرض اعمال العبد فإذا فيها سجلات كمد البصر من السيئات فإذا رآها أشفق فيقول الله : إنك لا تظلم شيئآ فيأمر الله ملائكته هل لعبده من حسنة فيطلبون فيجدون قصاصة قدر ظفر فيها لا اله الا الله فيقول يارب ما تغني هذه عن هذه السجلات شيئآ فيقول إنك لا تظلم شيئآ فتوضع السجلات في كفة ولا اله الا الله في كفة فشالت السجلات ورجحت لا اله الا الله

(وَمَا بِهِ التَحَقْ) أي مما التحق بالوزن من مجيء كل انسان يحمل طائره في عنقه ويأتي معه الشهيد الذي يشهد عليه فيدعى الناس بأئمتهم كل أمة تجثوا على الركبِ يأتون حينئذٍ ، {وترى كل أمة جاثية} {يوم ندعوا كل أناس بإمامهم} حينئذٍ يأتي كل إنسان يحمل طائره في عنقه كما قال الله تعالى : {وكل إنسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابآ يلقاه منشورآ إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك

حسيبآ} ثم بعد ذلك تعطى الكتب للناس فمن آخذٍ كتابه بيمينه تلقاء وجهه واولئك الذين ينادون على رؤوس الاشهاد بالفرح وينادون حينئذٍ فيقول كل أحد منهم : {هائم اقرؤوا كتابيه اني ظننت اني ملاقٍ حسابية فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيئآ بما اسلفتم في الايمام الخالية} ويعطى آخرون كتبهم بشمائلهم تلقاءَ ظهورهم نسأل الله السلامة والعافية وأولئك الذين يتخبطون في الغم والهم نسأل الله السلامة والعافية {وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم أوتَ كتابيه ولم أدرِ ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانية} ثم بعد ذلك يبيض الله وجوه أهل الايمان ويسود وجوه اهل الكفر {يوم تبيض وجوه وتسود وجوهؤ فالذين يبيض الله وجوههم يسيرون في النور مسافة خمسمئة عام يسير نورهم أمامهم مسافة خمسمئة عام ، والذين يسود الله وجوههم يتخبطون في الظلام ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال في قول الله تعالى : {ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة} قال يسود الله وجوه أهل البدعة لأنهم الذين كذبوا على الله فافتروا عليه ما لم يأذن به فيسود الله وجوههم يوم القيامة عندئذٍ يضرب بينهم وبين أهل الايمان بسور له باب باطنه في الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتم الاماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور فاليوم لا يؤخذ منك فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير} ثم بعد ذلك تقرب النار وينصب فوقها الجسر وهو الصراط أرق من الشعر وأحد من السيف وعليه كلاليب كشوك السعدان يتفاوت الناس عليه بحسب اعمالهم فمنهم من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح المرسلة ومن من يمر كأجاويد الخيل والابل ومنهم من يمر كالرجل يشتد عدوى ومنهم من يزحف على مقعدته فناج مسلَّم ومخدوش مرسل ومكردس على وجهه في نار جهنم وبقدر استقامة الانسان على الصراط الدنيوي الذ هو هذه الملة المحجة البيضاء تكون استقامته على الصراط الاخروي ودعاء الانبياء يومئذٍ اللهم سلم سلم والنبي صلى الله عليه وسلم على مرْقَبةٍ من الصراط يقول : اللهم سلم سلم ، ثم بعد ذلك يخرج وفد الجنة الى الجنة ويزينهم الله سبحانه وتعالى فيخرجهم في صورة آدم ستين ذراعآ في السماء وسبعة أذرع في الارض أعمارهم في الثالثة والثلاثين كأن وجوههم الاقمار وألئك يقدمهم محمد صلى الله عليه وسلم فيحرك الحلقة وهو أول من يستأذن فيفتح الله لهم أبواب الجنة الثمانية فياندى أهل كل عمل من الباب المخصص له ، فأهل الصلاة من باب الصلاة وأهل الصيام من الريان ، وأهل الزكاة من باب الصدقة وهكذا حتى يدعى من كان من أهل هذه كلها من كل ابواب الجنة .

كما قال ابو بكر رضي الله عنه : يارسول الله أيدعى واحد من كل ابوابها؟ قال نعم واني لارجو أن تكون منهم ، وقد قال ابو بكر ما على من دعي من جميع ابوابها من بأس فهذا المقصود بقول: (كَذَا الوَزْنُ وَمَا بِهِ التَحَقْ) (وَالنَّارُ حَقٌّ وَكَذَا الجَنَّةُ حَقْ) يجب الايمان بالجنة والنار فالنار هي النار التي اعدها الله لعقوبة اعدائه والجنة هي الدار التي اعدها الله لجزاء اوليائه وكل واحدة من الجنة والنار فيها من الدرجات مالله به عليم ، فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في وصف الجنة أن قال: [إن اهل الجنة يتراءون الغرف كما يتراءى أهل الارض الكوكب الدري في السماء من تباعد منازلهم ، كما قال الله

تعالى : {هم درجات عند الله} وكذلك تفاوت درجات اهل النار نسأل الله السلامة والعافية فقد قال الله تعالى : { إن المنفقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرآ } (والنار حق وكذا الجنة حق) هذا البيت الذي بين القوسين ليس من نظم الشيخ ولكن انا اضفته لتمام الفائدة لذكر بعض الامور التي ذكرها الشيخ متفرقة ، لجمعها في هذا المقام المناسب لها ،

(حق عذاب القبر والاشراطُ .. والبعث بعد الموت والصراطُ)

(حقٌ عذاب القبر) عائذآ بالله منه فيجب الايمان به ، ومثله فتنة القبر أي : سؤال الملكين للانسان ، ما ربك ؟وما دينك؟ وما كنت تقول في هذا الرجل؟ فاما المؤمن فيقول : ربي الله وديني الاسلام والرجل المبعوث فينا محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – هو محمد هو محمد هو محمد ثلاثا ، جاءنا بالبينات والهدى فآمنا واتبعنا ، واما المنافق او المرتاب لا أدري ايَ ذلك_قالت اسماءُ_ فيقول ، هاهٍ هاه لا ادري كنت سمعت الناس يقولون ، شيئآ فقلته فيقولان ، لا دريت ولا تليت : ومثل ذلك عذاب القبر ونعيمه فإن الناس يعذبون في قبورهم وقد يحصل ذلك لبعض المؤمنين فيكون تكفيرآ لما اقترفوا فإن النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – مر على قبرين جديدن وقال اما انهما لعذبن وما يعذبان في كبير ، ثم قال : بلى أما احدهما فكان لا يستتر من البول ، واما الاخر فكان يمشي بالنميمة ، فدل هذا على انهما من المؤمنين ، وكذلك أنه قسَم سعف نخلة بينهما وقال : إنه يخفف عنهما ما لم تيبسا ، فدل ذلك على انهما من المؤمنين لكن مع ذلك يعذبان في قبريهما بسبب هذه الذنوب ، وصح عنه – صلى الله عليه وآله وسلم – أن كان ذات ليلة في ملإ من أصحابه ، فسمعوا اصواتآ مزعجه فقالك تلك : يهود تعذب في قبورها ، فدل هذا على ان الكفار ايضآ يعذبون في قبورهم :كما ان اهل الايمان يعذبون فيها ، عائذآ بالله ، وكذلك قول الله تعالى : {النار يعرضون عليها غدوآ وعشيآ} في قصة آل فرعون دليل ايضآ على عذاب القبر من القرآن (والاشراطُ) أي : أشراط الساعةِ وهي العلامات الكبرى كطلوع الشمس من مغربها بعد ان تحبس ثلاثآ وتدخل من باب التوبة فيغلق : وكخروج الدابة من صدع خلف الصفا وتذهب بشعب أجيادٍ تخرج في اعظم المسجدين حرمة وهو المسجد الحرام لا يدركها طالب ولا يفوتها هاربٌ ، تكلم الناس {إن النا كانوا بآياتنا لا يوقنون} {واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون} ومنها كذلك خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف في جزيرة العرب ن ومنها كذلك خروج المسيح الدجال ونزول المسيح عيسى ابن مريم وقتلُه له عند رملَةِ لُدٍّ ن فإن المسيح ابن مريم ينزل في آخر الليل عند المنارة البيضاء شرقيَ دمشقَ بين ملكين يمينه على ملك ويساره على ملك ن كأنما خرج من دَيْماسٍ أي ك من حمّام ن اذا رفع رأسه تحدر منه مثل الجمان ن واذا طأطأه تقاطر ن فلا يرتاب فيه احدٌ ن فيدخل المسجد فيجد الصلاة قد اقيمت فيقولون ك يانبي الله تقدم فصلِّ وامامكم يومئذٍ منكم فقول ك ما أقيمت لي ن لا يحل لكافر أن يجد ريح نفَسه الا ذاب كما يذوب الملح في الماء ن وان نفَسه ليبلغ ما يبلغ بصره ن وهو الذي يقتل الخنزير ويكسر الصليب ن وكذلك من هذه الاشراط خروج يأجوج ومأجوج المفسدين في الارض وهلاكهم ، وقد قال الله تعالى ك {فإذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدبٍ ينسلون واقترب الوعد الحق} وغيرها من

الاشراط الكبرى ن (والبعث بعد الموت) وقد سبق بينا أنه قد جاء فيه سبعمئة وسبعة وستون آية من القرآن (والصراط) وهو الجسر المنصوب على متن جهنم كما سبق ن ينطق بالصاد والسين ن وقد سبق ذكر القراءات في ذلك في نظم أصول التفسير .

وَالكَتْبُ للأَشْياءِ فِي الذِّكرِ سَبَقْ   مِن قَبلِ أن تُخْلَقْ فَهُوَ المنطَلَقْ

أي من أركان الايمان كذلك ك الايمان بالقدر خيره وشره وقد سبق تفصيله ن وأشار هنا الى رتبة منه لم يذكرها من قبل وهي ك كتابته فقال ك (والكتب للأشياء في الذكر سبق) فكل الاشياء مكتوبة عنده فقد سبق ذلك ن ذكر القدر قد سبق ن وايضآ فكتابته مذكورة في اذكر أي ك في القرآن كقول الله تعالى ك {وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم مافي البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين} من قبل ان تخلق الاشياء كلها وذلك في الصحف التي عند الله فوق عرشه ن (فهو المنطلق) أي ك ما كتبه الله قبل أن يكون الكون هو منطلق الكون كله فلا يقع شيء من الكون الا على وفق تلك الكتابة السابقة ن قال ك

وكلُّ ذَا في الذِّكرِ جَا أو فِي الخَبَرْ   وَالآنَ ابتَدِءُ نَظْمَ المختَصَرْ

(كل ذا) المذكور هنا من العقائد (في الذكر جا) أي في القرآن (أو في الخبر) أي في الحديث الصحيح ن فليس شيء منه من مقولات الناس واجتهاداتهم بل كل ما ذكر هنا في هذه العقيدة هو بنص القرآن أو بنص السنة (كل ذا في الذكر جا او في الخبر .

(والان ابتدء نظم المختصر) هذا استئناف لنظمه لمختصر خليل في الفقه المالكي ن الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ن اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد عبدِد ونبيك ورسولك النبي الامي وعلى آله وسحبه وسلم تسليما ، اللهم لك الحمد كالذي نقول وخيرآ مما نقول ولك الحمد كالذي تقول ن لك الحمد في كل شيءٍ تحب أن تحمد به على كل شيء تحب أن تحمد عليه ن لك الحمد في الاولى والاخرة ن لك الحمد كثيرآ كما تنعم كثيرآ ، لك الحمد أنت احق من ذكر وأحق من عبد وأنصر من ابتغي وأرأف من ملك وأجود من سأل واوسع من اعطى أن الملك لا شريك لك والفرد لا ند لك كل شيء هالك الا وجهك لن تطاع الا بإذنك ولن تعصى الا بعلمك ن تطاع فتشكر ن وتعصى فتغفر أقرب شهيد وادنى حفيظ حُلت دون النفوس وأخذت بالنواصي ونسخت الاثار ، وكتبت الاجال ، القلوب لك مفضية والسر عندك علانية الحلال ما أحللت والرحام ما حرمت والدين ما شرعت واالامر ما قضيت والخلق خلقك والعبد عبدك وانت الله الرؤوف الرحيم نسالك بعزك الذي لا يرام وبنورك الذي أشرقت له السموات والارض أن تهدي قلوبنا وان تستر عيوبنا وان تكشف كروبنا وان تجعل التقى زادنا وان تحقق مرادنا وان تصلح اولادنا ، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون بها علينا مصائب الدنيا ومتعنا بأسماعنا وابصارنا وقوتنا ما احييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ، ولا تجعل الدنيا اكبر همنا ولا مبلغ علمنا ، ولا نسلط علينا من لا يرحمنا ولا تجعل الى النار مصيرنا واجعل الجنة هي دارنا ، اللهم لا تدع لنا في مجلسنا هذا ذنبآ الا غفرته ولا همآ الا فرجته ولا دينآ

الا قضيته ولا مريضآ الا شفيته ولا مبتلىً الا عافيته ولا ميتآ الا رحمته ولا ضالآ الا هديته ولا حاجة من حوائج الدنيا والاخرة هي لك رضآ وفيها لنا صلاح الا قضيتها يا ارحم الراحمين ، اللهم هؤلاء عبادك وإماؤك قد اجتمعوا في بيت من بيوتك يرفعون اليك ايديَ الضراعة فلا تردهم خائبين ولا تجعلهم عن رحمتك من المطرودين وهب المسيئين منهم للمحسنين يا ارحم الراحمين ، الهم اختم بالصالحات اعمالنا واختم بالحسنات آجالنا واجعل خير أيامنا يوم نلقاك ، اللهم اعز الاسلام والمسلمين واذل الشرك والمشركين واوهن كيد الكافرين وانصرنا عليهم اجمعين ، اللهم ابرم لهذه الامة أمر رشد يعز به اهل طاعتك ويذل فيها معصيتك ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر وتقام فيه حدودك يا ارحم الراحمين ، اللهم انصر المجاهدين في سبيلك الذين يجاهدون لاعلاء كلمتك الله ثبت اقدامهم وسدد سهامهم واجمع على الحق قلوبهم وانصرهم على عدوك وعدوهم ، اللهم فك أسرى المسلمين في كل مكان يا ارحم الراحمين ، اللهم فك أسر المأسورين من المسلمين وفرج هم المهمومين ونفس كرب المكروبين واقض الدين عن المدينين ، اللهم اجعل خير ايامنا يوم نلقاك ، شبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

تم الشرح والحمد لله رب العالمين